تفسير البيان
في
الموافقة بين الحديث والقرآن

المجلد الرابع

تأليف
العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

تحقيق
أصغر إرادتي

دار التعارف للمطبوعات

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن

٤

دار التعارف للمطبوعات

شبكة الفكر
alfeker.net

تفسير البيان

في

الموافقة بين الحديث والقرآن

مجموعة الآثار ١٤

تفسير البيان

في

الموافقة بين الحديث والقرآن

المجلد الرابع

تأليف

العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي

تحقيق

أصغر إرادتي

دار التعارف للمطبوعات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مكتب تنظيم
ونشر آثار العلامة
الطباطبائي

دار التعارف للمطبوعات

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكّاش - بناية الحسنين

ص.ب: ٦٤٣ - ١١ - ٨٦٠١ - ١١

هاتف: ٢٧١٩٠٧ - ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٢٧١٩٠٨ ١ ٠٠٩٦١

موبايل: ٨٢٣٦٢٠ ٣ ٠٠٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم سورة المباركة الأنعام

قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
السور المفتتحة بحمد الله تبارك وتعالى وهي فاتحة الكتاب والأنعام والكهف والسبأ والملائكة
كما يعطيه التدبر تشترك جميعا [illegible] من صورها الجميلة المحمودة فيرجع حمده الى الله تبارك
وتعالى وهو المحمود بكل حمد وسورة الأنعام تتعرض من بينها انها تبين تجمع عالم الوجود كثرتها مع
من مبدء واحد ومرجعها الى واحد هو الله عز اسمه فيعرض منها بيان التوحيد وذلك
اعطت حسبه [illegible] الايجاد وحقيقة الدنيا الحيوة الدنيا والموت والقيمة ولذلك افتتحت
بالتوحيد واختتمت به ايضا كقوله سبحانه قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم الخ وقوله قل اغير الله
ابغي ربا وهو رب كل شيء الآية وقوله وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض الآية وقد ورد في
عدة روايات عن الخاصة والعامة نزولها جملة واحدة وهو يؤيد ما ذكرناه ففي الكافي عن الحسن
بن علي بن ابي حمزة قال قال ابو عبد الله ع ان سورة الأنعام نزلت جملة شيعها سبعون الف ملك
حتى نزلت على محمد فعظموها وبجلوها فان اسم الله عز وجل فيها في سبعين موضعا ولو يعلم الناس
ما في قراءتها ما تركوها اقول وفي رواها العياشي عن ابي بصير عنه ع متفاوت يسير في اللفظ
وفي تفسير القمي عن الرضا ع قال نزلت سورة الأنعام جملة واحدة شيعها سبعون الف
ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قرأها استغفروا لها الى يوم القيمة وفي
مجمع البيان قال وفي حديث ابي انزلت علي الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم
زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية في الأنعام يوما وليلة
قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والأرض لما كان الأنسب بحسب مقام الكلام ان يبدء
بالتكلم مع النبي كما سيعود اليه في قوله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم الخ لكن حيث كان الكلام
الى مخاطبة الكافرين المعرضين عن توحيد الله سبحانه والاسلام [illegible]

الصفحة الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة الأنعام

نحوه بمدار الخلوص واقترانه بالموانع وكلا ليس لهم مقياس حقيق بل يذهب في جانب الزيادة
الى ما لا يعلم بقدره كما قال سبحانه انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ويذهب تنزلا في
جانب النقيصة الى ما يعلمه الله سبحانه فانه بحسب [illegible] والمشابهة من جانب الشرك الى كمال
الاخلاص بتضعيف وزيادة وبالعكس تنقيص وتنزيل ونظير هذا الاعتبار يتأتى في السيئة
فالسيئة الواحدة يمكن اختلافها باختلاف العوارض والمواقع والاشخاص والازمان ونحو ذلك

قوله سبحانه دينا قيما اه القيم فرد وكسر القاف وفتح الياء مصدر اقيم مقام الوصف وقرئ قيما بفتح القاف
وكسر الياء المشددة كسيد وهي صفة مشبهة بمعنى القائم (تفيد المبالغة في القيام) ووصف به ملة ابرهيم كثرة قيامه بالتوحيد
او بمصالح العباد

قوله حنيفا مسلما اه في الكافي عن الصادق (ع) في الآية قال خالصا مخلصا ليس فيه شيء من عبادة الاوثان
الخ وروى العياشي قريبا منه وفي تفسير العياشي عن الباقر (ع) ما من احد من هذه الامة يدين
بدين ابرهيم غيرنا وغير شيعتنا الخ والوجه فيه ما مر من الروايات في الصراط المستقيم وانها الولاية
وقوله دينا قيما ملة ابرهيم اه بيان لقوله صراط مستقيم

قوله سبحانه ورفع بعضكم فوق بعض درجات اه في تفسير القمي قال قال (ع) في القدر والمال وفي
تفسير العياشي عن الصادق (ع) قال لا تقول درجة واحدة ان الله يقول درجات بعضها فوق بعض
انما تفاضل القوم بالاعمال الخ ولا منافاة بين الروايتين فان الاعمال وان كانت لها [illegible]
تلك الدرجات بعد تحقق بها من يشاء من عباده ليختبر بعضهم ببعض والجميع بما آتاهم والحمد لله رب [illegible]

تم ليلة الثلاثاء الحادي عشر من المحرم ١٣٦٩

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم الكلام في سورة الأعراف

قوله سبحانه المص الله. السورة مشتملة على مجموع ما اشتملت عليه السور المفتتحة بـ[illegible] الم وسورة ص
فليكن على ذكر منك حتى نعود إليه في أول سورة حم عسق إن شاء الله تعالى. والغرض من السورة على طولها
الاحتجاج على الله عن المؤمنين والتذكير لهم، وحيث كانت مكية فوجه الكلام فيها إلى الكفار غير أهل
الكتاب وإن كان ربما استهم الخطاب بعض المس فالسياق فيها [illegible] إلى الأتباع
[illegible] من احتجاج أو موعظة أو حكمة أو قصة وعبرة كقصة آدم وإبليس وقصص
نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وثانيها ذكرى بعد الأتباع كالآيات الدالة
إلى ذكر ما نسيه الإنسان من مقام ربه وما عهد به إليه، والسورة تشتمل مع ذلك على طرف
عال من المعارف الإلهية منها وصف الساعة والميزان والأعراف وذكر الأسماء الحسنى وذكر
العرش ووصف عالم الذر والميثاق وذكر التجلي ووصف الذاكرين

قوله سبحانه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اه من قبيل براعة الاستهلال لنوعي البيان الذي تشتمل عليه
السورة وهما الاحتجاج والتذكير على ما عرفت آنفا فقوله لتنذر به اه أي تحتج عليهم بالإنذار
وقوله وذكرى اه أي تكون ذكرى لهم رافعا لنسيانهم وسيعود سبحانه في آخر السورة إلى ما [illegible]
قوله بياتا اه قال في الصحاح بيت العدو أي أوقع بهم ليلا والاسم البيات فهو مفعول مطلق وقوله قائلون
من القيلولة وهي نوم وقت الظهيرة

قوله فلنسألن الذين ... تقدم الكلام في الآية في ذيله

قوله سبحانه والوزن يومئذ الحق اه ذكر الوزن صريحا يوم القيامة وقع في أربعة مواضع من القرآن
صريحا هذا الموضع والثاني قوله سبحانه في سورة المؤمنين فمن ثقلت موازينه فأولئك هم
المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون والثالث قوله
في سورة القارعة فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه [illegible]

الا ثمان آيات [illegible] من القرية إلى قوله وإذ نتقنا الجبل [illegible]

الصفحة الأولى من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة الأعراف

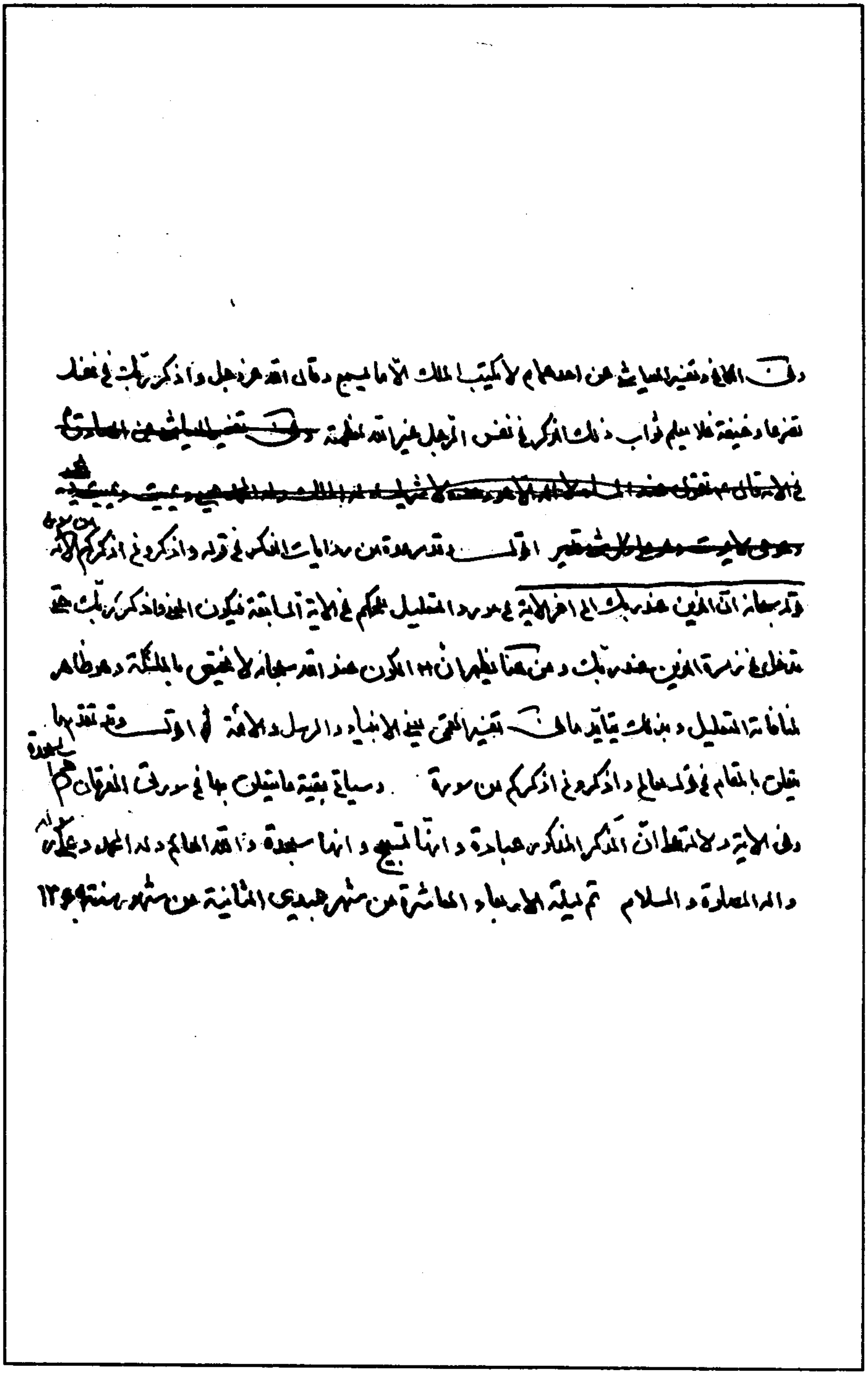

وفي الكافي وتفسير العياشي عن احدهما لا يكتب الملك الا ما سمع وقال الله عز وجل واذكر ربك في نفسك
تضرعا وخيفة فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله لعظمته وفي تفسير العياشي عن الصادق ع
في الاية [illegible]
[illegible] وقد مر وجه من وجوه النكتة في قوله واذكروني اذكركم الآية من سورة
وقوله سبحانه ان الذين عند ربك الى آخر الآية في مورد التعليل للحكم في الآية السابقة فيكون المعنى فاذكر ربك حتى
تدخل في زمرة الذين عند ربك ومن معانيها ان الكون عند الله سبحانه لا يختص بالملائكة وهو ظاهر
لمقام التعليل وبذلك يتأيد ما في تفسير القمي يعني الانبياء والرسل والائمة ع [illegible] وقد تقدم
ما يتعلق بالمقام في قوله تعالى واذكروني اذكركم من سورة البقرة وسيأتي بقية ما يتعلق بها في سورة الفرقان
وفي الآية دلالة على ان الذكر المذكور عبادة وانها تسبيح وانها سجدة والله العالم والحمد لله وصلى الله
وآله والصلاة والسلام تم ليلة الاربعاء العاشرة من شهر جمادي الثانية من شهور سنة ١٣٦٩

الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية المصححة من تفسير سورة الأعراف

الفهرس

سورة الأنعام

الآيات ١ ـ ٣ .... ١٩
الآيات ٤ ـ ١٠ .... ٢٧
الآيات ١١ ـ ١٨ .... ٣٠
الآيات ١٩ ـ ٢٠ .... ٣٣
الآيات ٢١ ـ ٣٢ .... ٣٦
الآيات ٣٣ ـ ٣٦ .... ٤٩
الآيات ٣٧ ـ ٥٥ .... ٥٣
الآيات ٥٦ ـ ٥٩ .... ٦٦
الآيات ٦٠ ـ ٧٣ .... ٧٥
الآيات ٧٤ ـ ٨٣ .... ٨٥
الآيات ٨٤ ـ ٩٠ .... ١٠١
الآيات ٩١ ـ ١٠٥ .... ١٠٧
الآيات ١٠٦ ـ ١١٣ .... ١٢٩

الآيات ١١٤ ـ ١٢١ ..... ١٣٥
الآيات ١٢٢ ـ ١٢٧ ..... ١٣٨
الآيات ١٢٨ ـ ١٣٥ ..... ١٤٥
الآيات ١٣٦ ـ ١٥٠ ..... ١٤٨
الآيات ١٥١ ـ ١٥٧ ..... ١٥٧
الآيات ١٥٨ ـ ١٦٠ ..... ١٦٤
الآيات ١٦١ ـ ١٦٥ ..... ١٧١

سورة الأعراف

الآيات ١ ـ ٩ ..... ١٧٧
الآيات ١٠ ـ ٢٥ ..... ١٨٩
الآيات ٢٦ ـ ٣٦ ..... ٢١٥
الآيات ٣٧ ـ ٥٣ ..... ٢٤٨
الآيات ٥٤ ـ ٥٨ ..... ٢٥٩
الآيات ٥٩ ـ ٧٢ ..... ٢٨٠
الآيات ٧٣ ـ ٨٤ ..... ٢٨٣
الآيات ٨٥ ـ ١٠٢ ..... ٢٨٥
الآيات ١٠٣ ـ ١٢٦ ..... ٢٨٩
الآيات ١٢٧ ـ ١٣٧ ..... ٢٩٢
الآيات ١٣٨ ـ ١٤٧ ..... ٢٩٨
الآيات ١٤٨ ـ ١٥٤ ..... ٣١٧
الآيات ١٥٥ ـ ١٦٠ ..... ٣٢١
الآيات ١٦١ ـ ١٧١ ..... ٣٣٧

الآيات ١٧٢ ـ ١٧٤ .... ٣٤٣
الآيات ١٧٥ ـ ١٨٠ .... ٣٥٨
الآيات ١٨١ ـ ١٨٨ .... ٣٨٦
الآيات ١٨٩ ـ ١٩٨ .... ٣٩٢
الآيات ١٩٩ ـ ٢٠٦ .... ٣٩٥
فهرس مصادر التحقيق ٤٠١

*

سُورَةُ الأَنعَامِ

[بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمَّىً عِندَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللهُ فِى ٱلسَّمٰاوَاتِ وَفِى ٱلأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)]

قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰاوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وٱلنّور ثمّ ٱلّذين كفرُوا برَبّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

السور المفتتحة بحمد الله تبارك وتعالى ـ وهي: فاتحة الكتاب، والأنعام، والكهف، وسبأ، والملائكة[1]،كما يعطيه التدبر ـ تشترك جميعاً ببيان صور من صور الموجودات الجميلة المحمودة، فيرجع حمده إلى الله تبارك وتعالى، وهو المحمود بكلّ حمد.

وسورة الأنعام تختصّ من بينها أنّها تبيّن بدء عالم الوجود على كثرتها من

١. اي: سورة فاطر.

مبدأ واحد ورجوعها إلى واحد هو الله عزّ اسمه، فالغرض منها بيان التوحيد، ولذلك أعطت حقيقة الإيجاد وحقيقة الحياة الدنيا والموت والقيامة وحقيقة الهداية والإضلال بأقسامها ولذلك افتتحت بالتوحيد واختتمت به أيضاً، كقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[٣].

وقد ورد في عدّة روايات عن الخاصة والعامّة نزولها جملة واحدة، وهو يؤيد ما ذكرناه.

ففي *الكافي*: عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، قال: «قال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ: إنّ سورة الأنعام نزلت جملة، شيّعها سبعون ألف ملك، حتى أُنزلت على محمّد فعظّموها وبجّلوها، فإنّ اسم الله عزّ وجلّ فيها في سبعين موضعاً، ولو يعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها»[٤].

أقول: رواها العيّاشي: عن أبي بصير، عنه ـ عليه السلام ـ بتفاوت يسير في اللفظ[٥].

وفي *تفسير القمّي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ قال: «نزلت سورة الأنعام جملة واحدة، شيّعها سبعون ألف ملك، لهم زَجَل بالتسبيح والتهليل والتكبير، فمن قرأها استغفروا[٦] له إلى يوم القيامة»[٧].

---

١. الأنعام (٦): ١٦١.

٢. الأنعام (٦): ١٦٤.

٣. الأنعام (٦): ١٦٥.

٤. *الكافي* ٢: ٦٢٢، الحديث: ١٢.

٥. تفسير *العياشي* ١: ٣٥٣، الحديث: ١ و ٣.

٦. في المصدر: «سبحوا»

٧. تفسير *القمي*: ١: ١٩٣؛ مجمع *البيان* ٤: ٥.

وفي *جوامع الجوامع*: قال: وفي حديث أُبيّ: «أُنزلت عليّ الأنعام جملة واحدة، يشيّعها سبعون ألف ملك لهم زَجَل بالتسبيح والتحميد، فمن قرأها صلّى [عليه اولئك] السبعون ألف ملك بعدد كلّ آية في الأنعام يوماً وليلة»[١].

قوله سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾

كان الأنسب بحسب مقام الكلام أن يبدأ بالتكلّم مع الغير، كما سيعود إليه في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[٢]، لكن حيث كان الكلام سيعود إلى مخاطبة الكافرين المعرضين عن توحيد الله سبحانه والإسلام له، اجتنب عن تعريف التكلّم معهم بالمشافهة، فخاطبهم مخاطبة من لا يريد أن يعرف مقامهم، حفظاً عن التهتّك والإزراء ولذا ذكر عند العدول عن مخاطبتهم والإعراض عنهم، فقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾[٣]، ولم يقل: وما نكلّمهم إلّا وهم معرضون. فألبس نفسه لباس الغيبة، وخاطب النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ﴾ فنسب إليه سبحانه ما عليه مدار هذا العالم في نظامه من السموات والأرض والظلمات والنور، ولم يضلّ ضال في التوحيد كالدهرية والطبيعية والوثنية والمشركين وأهل التثنية إلّا فيها والكل لله، ثمّ ذكر أنّ الكفار مع ذلك يعدلون عن الله سبحانه إلى غيره، وقولنا: مع ذلك مفاد قوله: ﴿ثمَّ﴾ إذ قال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ وإذ كان عدو لهم بعد ذلك الوضوح من البيان مُستعجباً

---

١. *جوامع الجامع* ١: ٥٥٠.

٢. الآية (٦) من السورة.

٣. الآية (٤) من السورة.

مُستغرباً، عدل عن مخاطبة الرسول إلى مخاطبتهم أنفسهم لعلّهم يتنبّهوا ويستيقظوا عن نومة الغفلة، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمّىً عِندَهُ﴾، فأنتم ترون أنّكم لستم موجودين من تلقاء أنفسكم، بل موجودون من الغير مخلوقون له، وليس مجرد الإيجاد كيفما دام، بل وجودكم وجود مؤجّل مقدّر، فهذا الوجود المؤجل المقدّر المحدود هذا، لمفاض من عنده، فكما أنّ أصل وجودكم مقصود بالإفاضة فكذا أجله وقدره وحدّه، وليس الأجل الحقيقي المعيّن عندكم فهو عند غيركم، فوجودكم من عنده أوله وآخره وجيمع جهاته.

ثم إنّكم مع ذلك تمترون في توحيده، وليس كلّ هذا الإيجاد والتدبير منه سبحانه أمراً اضطراريّاً من غير علم وتدبير، حتى يكون إيمانكم وكفركم به على السواء، بل هو الله في السموات وفي الأرض، وفي تكرار «في» تفصيل الكلام يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ، لأنّه الله ـ عزّ اسمه ـ.

ولمّا بلغ الكلام هذا المبلغ واستشعر إعراضهم، أعرض عنهم وعدل ثانياً عن خطابهم إلى خطاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وعن غيبة نفسه ـ وهو على كلّ شيء شهيد ـ إلى التكلّم بالغير، فقال: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾(١).

ثمّ ذكر أنّ ذلك لتكذيب منهم سابق، وأنّه سيأتيهم أنباء ذلك. فقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم﴾، فهو وبال ما هو معهم من قبل ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(٢) وهي ما سيشاهدونه من وبال كفرهم.

فهذا ما افتتحت به السورة، ولا يزال يحوم إلى آخر السورة حول هذا البيان

---

١. الآية (٤) من السورة.
٢. الآية (٥) من السورة.

من توحيده سبحانه وآيات توحيده وشرك المشركين وأنّه وبال ما قدّموه، وأنّ له وبالاً سيشاهدونه في الدنيا وعند الموت والبعث.

فإن قلت: فماذا أفاد الإلتفات من الغيبة إلى التكلّم في قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[١] بعد قوله: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ والإلتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

قلت: أفاد جميعاً أنّه سبحانه ذو رحمة على كلّ حال، لا يرضى لعباده الكفر، بل يعود إليهم على كفرهم وتمرّدهم، فيدعوهم إلى ما فيه خيرهم كلّ الخير، فإن أعرضوا فيذرهم في طغيانهم يعمهون، فهو المحمود بكل حمد وله كلّ الثناء.

ولذلك افتتحت السورة بالحمد وللتصريح بهذا التلويح أمر رسوله بعد الإعراض عن مخاطبتهم لإعراضهم أن يقرع سمعهم برحمته مرّة بعد مرّة في هذه السورة فقال: ﴿قُل لِمَن مَا فِى ٱلسَّمٰاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِلّٰهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٣] وقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[٤] وقال: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَبُّكُمْ ذُورَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾[٥].

قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ﴾ في *الكافي*: عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق الجنّة قبل

---

١. الآية (٦) من السورة.
٢. الآية (١٢) من السورة.
٣. الآية (٥٤) من السورة.
٤. الآية (١٣٣) من السورة.
٥. الآية (١٤٧) من السورة.

أن يخلق النار، وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية»، [وخلق الرحمة قبل الغضب] وخلق الخير قبل الشر، وخلق الأرض قبل السماء، وخلق الحياة قبل الموت، وخلق الشمس قبل القمر، وخلق النور قبل الظلمة»[١].

أقول:[٢]

قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً﴾

فيه إشارة إلى أنّ الحدوث والبقاء كلاهما مستندان إليه سبحانه، وفي تنكير ﴿طين﴾ و ﴿أجل﴾ إشارة إلى تحقير أمرهما في جنب عظمة قدرته ونفوذ مشيئته، فيفيد فخامة القدرة ومضيّ الإرادة.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِندَهُ﴾

والأجل المسمّى هو المعين بالتسمية والتحديد كقوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[٣]، وفيه دلالة على أنّ الأجل أجلان: أجل غير مسمًّى ولا محدود، وأجل مسمًّى لا يقبل التغيّر والتبدّل، والدليل على ذلك قوله: ﴿عِندَهُ﴾، وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٤]، فهو من كلمات الله المكتوبة في أمّ الكتاب، ومن هنا يظهر معنى الأجل المسمّى، وأنّه أمر خارج عن موجودات هذه النشأة الدنيوية الفانية البائدة، غير قابل للفناء والتبديل.

وفي *تفسير العيّاشي*: عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله ـعليه السلام ـ

---

١. *الكافي* ٨: ١٤٥، الحديث: ١١٦.

٢. بياض في النسخة.

٣. البقرة (٢): ٢٨٢.

٤. النحل (١٦): ٩٦.

في قوله: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾ قال: الأجل الذي غير مسمّى موقوف، يقدّم منه ما شاء ويؤخّر منه ما شاء، [قال:] وأمّا الأجل المسمّى فهو الذي ينزّل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل، قال: وذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١][٢].

أقول: وروى هذا المعنى بطريقين عن حمران[٣].

وفيه أيضاً: عن حصين، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿قَضَىٰ أَجَلاً وأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ﴾ قال: «الأجل الأول هو ما نبذه الى الملائكة والرسل والأنبياء، والأجل المسمّى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق»[٤].

أقول: ورجوعه إلى جواز وقوع البداء وعدم جوازه، وسيجيء الكلام في البداء في آخر سورة الرعد إن شاء الله تعالى.

وفي *الكافي*: عن حمران، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «هما أجلان: أجل محتوم وأجل موقوف»[٥].

أقول: وفي هذا المعنى بعض روايات أُخر ومرجعه إلى معنى الروايات السابقة[٦].

وفي *تفسير القمّي*: عن الحلبي، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: «الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه [الله وحتمه] والمسمّى هو الذي فيه البداء، يُقدّم

---

١. الأعراف (٧): ٣٤.
٢. تفسير *العياشي* ١: ٣٥٤، الحديث: ٥.
٣. تفسير *العياشي* ١: ٣٥٤، الحديث: ٦ و ٧.
٤. تفسير *العياشي* ١: ٣٥٥، الحديث: ٩.
٥. *الكافي* ١: ١٤٧، الحديث: ٤.
٦. *الغيبة* للنعماني: ٣٠١، الحديث: ٥ و ٦.

ما يشاء ويُؤخّر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير»[١].

أقول: الظاهر أنّ في الرواية سهواً من أحد أو بعض الرواة، والمعنى الصحيح المؤيّد بالكتاب ما تدلّ عليه الروايات السابقة كما مرّ.

قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾

معنى كونه سبحانه في السماوات وفي الأرض عموم أُلوهيّته فيهما، فإنّ المظروف إذا لم يقبل الحلول في ظرفه، أفاد التركيب شمول وصفه له، كقولك: هو الأمير في شرق الأرض وغربها، وهو المعروف في البرّ والبحر.

وفي [التوحيد] روى الصدوق، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «كذلك هو في كلّ مكان»، قال الراوي: قلت: بذاته؟ قال: ويحك أنّ الأماكن أقدار، فإذا قلت في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك، ولكن هو بائن من خلقه محيط بما خلق علماً وقدرة وإحاطةً وسلطاناً [و ملكاً]، وليس علمه بما في الأرض بأقلّ ممّا في السماء، لا يبعد منه شيء، والأشياء له سواء علماً وقدرة وسلطاناً [و ملكاً] وإحاطة[٢].

أقول: لما كان الخلق والقضاء المذكوران في الآية السابقة في نفسهما غير كافيين في إيجاب الإسلام والعبودية، تمّم البرهان بالإبانة عن سعة أُلوهيّته، وركنها العلم والقدرة، والسلطان والإحاطة، والإبانة عن تعلق العلم بالأعمال وظرفها، سواء كان هو السرّ أو الجهر وإليه الإشارة بما في الرواية.

---

١. تفسير *القمّي* ١: ١٩٤.

٢. *التوحيد*: ١٣٢ ـ ١٣٣، الحديث: ١٥.

[وَمَا تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِن قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِى ٱلأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن
لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّماءَ عَلَيْهِم مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلأَنْهَارَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ
فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ
كِتَاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِىَ ٱلأَمْرُ ثُمَّ لَا
يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا
يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾]

قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾

تفريع اللمس على التنزيل؛ لإفادة كونه أبعد من السحر لاجتماع الحاسّتين: البصر واللمس، ولأنّ الناس يرون اللمس أقرب إلى الحقيقة من البصر.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾

لأنّ عادته سبحانه جرت أن لا يمهل قوماً بعد إذ سألوا آية فأجيبوا بها؛ لأنّ الحق إذا ظهر ولم يبق عليه لبس لم يُنظر الجاحدون، لعدم بقاء حاجة إلى وجودهم، كما قال سبحانه: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُّنْظَرِينَ﴾[١].

أو لأنّ عالم الملائكة أرفع أُفقاً وأعلى وجوداً من دار، يعيش فيها الإنسان الدنيوي وهي الدنيا، فظهور الملائكة لهم ظهوراً تامّاً لا يكون إلّا بتبديل دارهم بدارهم، وهو الموت والعذاب، كما هو ظاهر قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً * يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾[٢]، وحينئذٍ لم يبق مجال للدعوة النبوية لظهور الحقائق وارتفاع اللبس وانسداد باب الإختيار، ولذلك عقّبه بقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾.

وأنت إذا تأمّلت وجدت الوجهين جميعاً راجعين إلى مرجع واحد.

هذا وربّما يستفاد من قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾، عدم التباين النوعي بين الملك والإنسان لظهوره في إمكان صيرورة الملك إنساناً كما يظهر من قوله أيضاً: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَلَائِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾[٣].

ولبيانه محلّ آخر سيجيء إن شاء الله تعالى.

---

١. الحجر (١٥): ٨.

٢. الفرقان (٢٥): ٢١ ـ ٢٢.

٣. الزخرف (٤٣): ٦٠.

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً﴾

الضمير إلى مطلق الرسول المعلوم من السياق دون رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ لمنافاته إلى سؤالهم، فإنّهم قالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾، ولم يقولوا: لولا جعله الله ملكاً.

وقوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾

من اللَّبس بفتح اللام نظير الإلتباس بمعنى الريب، دون اللُّبس بضم اللام.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾

في مساق قوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[1]، والمعنى ـ والله العالم ـ: ولقرّرنا في قلوبهم مع الملك الريب الذي يرتابون به مع الإنسان، وإليه يرجع ما في *تفسير العيّاشي*: عن عبدالله بن أبي يعفور[2] قال: قال أبو عبدالله ـ عليه السلام ـ: «لبسوا عليهم لبس الله عليهم، فإنّ الله يقول: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ﴾»[3].

قوله: ﴿فَحَاقَ﴾

يقال: حاق بالشيء أي أحاط.

---

١. الصف (٦١): ٥.

٢. في المصدر: «عبدالله بن يعقوب» وهو تصحيف، والصحيح: «عبد الله بن ابي يعفور» كما في الأصل؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٣٣، الحديث: ٤، والطبعة المحقّقة من المصدر ٢: ٩١، الحديث: ١٠.

٣. *تفسير العيّاشي* ١: ٣٥٥، الحديث: ١٠.

[قُل سِيرُوا فِى ٱلأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (١١) قُل
لِمَن مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ قُل لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِى ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٣) قُلْ
أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ
إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّى
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ (١٦) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا
هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ
عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (١٨)]

قوله سبحانه: ﴿قُل سِيرُوا فِى ٱلأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا﴾

شروع في بيان التوحيد، بياناً تفصيلياً بعد الإفتتاح ببيانه الإجمالي، واختير الخطاب بواسطة الرسول، فقيل: ﴿قُل سِيرُوا﴾ ﴿قُل لِمَنْ﴾، ﴿قُل أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾، إلىٰ آخر الآيات، جرياً على ما يفيده الكلام في أول السورة من الإعراض عن

المخاطبة شفاهاً، مع الرحمة المقتضية لعدم تركهم وأنفسهم وبذل الشفقة عليهم، فينتج الخطاب بالواسطة.

وابتدأ بالأمر بالسير والنظر والإعتبار بعاقبة التكذيب لتنبيه السامع بما في هذه البيانات من الأهميّة، كما أنّ عطف قوله: ﴿ثُمَّ انْظُرُوا﴾ بـ: ﴿ثُمَّ لِذَلِكَ﴾.

قوله: ﴿قُل لِمَن مَا فِى ٱلسَّمٰاوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾

الآيتان بمنزلة الشرح لقوله في أول السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ﴾[1]، ثم قوله: ﴿لِمَن مَا فِى ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضِ﴾ استدلال بالملك، فله كلّ ما في العالم من كلّ ما يصدق عليه كلمة «ما» من ذات أو صفة أو غير ذلك، ولا ريب أنّ هذا الملك غير الملك الدائر بيننا في ظرف الإجتماع والمدنية القابل للنقل والإنتقال، بل هو قيام الأشياء به سبحانه بحيث يكون له التصرف فيما شاء منها كيفما شاء، غير أنّه سبحانه اختار الرحمة فلا يتصرّف إلّا بالرحمة، وهو إفاضة الشيء ما يطلبه ويستحقه ويسأله، فلا جرم يجزي المحسن بإحسانه جزاءاً حسناً والمسيء بإساءته جزاءاً وفاقاً، وهذا المعنى هو المقتضى لتذئيل قوله: ﴿لِمَن مَا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِى ٱلأَرْضِ﴾، بقوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، ثمّ تذئيله بقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾

كأنّه مبتدأ لخبر محذوف يدلّ عليه قوله: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، ويتفرّع

١. الأنعام (٦): ١.

عليه قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: منصوب على الذم، أو مرفوع والتقدير: أريد الذين خسروا أنفسهم، أو أنتم الذين خسروا أنفسهم.

قوله: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾

محاذاة لقوله في أول السورة، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورَ﴾[1]، وكان تقديم الليل لكون السكون أليق به، وكان تقديم الظلمات على النور أيضاً بتلميح الليل والنهار.

قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾

بيان ثانٍ للتوحيد، وهو أنه سبحانه هو الولي لا غير؛ لأنّه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ كغيره مما يدعي إلهاً، والولي هو الذي يلي أمرك وأنت لا تملك التدبير، وقد مرّ تفصيل معنى الولاية في سورة المائدة.

والدليل على ولايته رجوع أصل الإيجاد إليه سبحانه، ولذلك أضيف ﴿فاطِرِ﴾ إلى ﴿السَّمٰوات وَٱلْأَرْضِ﴾ ولم يضف إلى ﴿مَنْ فِى ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ولم يقل أيضاً خالق من في السموات والأرض، إشارة إلى أصل الإيجاد وشقّ العدم وابداع الوجود، فهو الوليّ في جميع التدبير، لا يملك غيره شيئاً من تدبير نفسه، ولذلك أيضاً عقّب ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ إشارة إلى نفي أهون التدبير عن غيره، كالصبي الذي لا يقدر حتى على الأكل فيطعمه وليّه.

---

١. الأنعام (٦): ١.

[﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾

محاذاة، وكالشرح لقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1] أولقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[2] والشهادة شهادة تحمل وشهادة اداء، والمراد به الثاني وإن كانا جميعاً واحداً، وهو المصحّح للحوق قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ﴾، كأنّه قيل شاهدي على صدق ما ادّعيه هو الله حيث أوحى إليَّ القرآن لأُنذركم به، فصدّق فيه وبه رسالتي ودعوتي، وإليه يشير ما رواه القمّي في تفسيره: عن الباقر [-عليه السلام-]

---

١. الآية (٥) من السورة.
٢. الآية (٨) من السورة.

أنّ مشركي أهل مكة قالوا: يا محمّد! ما وجد الله رسولاً يرسله غيرك؟ ما نرى أحداً يصدقك بالذي تقول، وذلك في أول ما دعاهم ـ وهو يومئذ بمكة ـ قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك ذكر عندهم فتأتينا بمن يشهد أنّك رسول الله، قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾»[١].

أقول: وبالرواية يظهر شأن نزول الآيتين.

في هذه الآية [جواز] إطلاق الشيء عليه تعالى.

وفي [*التوحيد*] روى الصدوق: عن محمد بن عيسى بن عبيد قال: قال لي أبو الحسن ـ عليه السلام ـ: ما تقول إذا قيل لك أخبرني عن الله عزّ وجلّ، أشيء أم لا شيء[٢]؟ قال: قلت: قد أثبت الله عزّوجلّ نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾، فأقول: إنّه شيء لا كالأشياء إذ في نفي الشيئية عنه نفيه وإبطاله، قال لي: صدقت وأحسنت[٣]، ثم قال الرضا ـ عليه السلام ـ: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي وتشبيه وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز [لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء]، والسبيل في ذلك الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه[٤].

أقول: وفي *تفسير العيّاشي*: عن هشام، ما يقرب منه[٥].

وقول الراوي: إذ في نفي الشيئية نفيه وإبطاله، إشارة إلى الوجه العقلي، إذ

---

١. *تفسير القمي* ١: ١٩٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٣٤، الحديث: ١.
٢. في المصدر: «أشيء هو أم لا»
٣. في المصدر: «أصبت»
٤. *التوحيد*: ١٠٧، الحديث: ٨؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٣٥.
٥. *تفسير العياشي* ١: ٣٥٦، الحديث: ١١.

الشيئية منتزعة عن الوجود ومساوقة له، فنفيها يساوق نفيه، والطريقة الثالثة التي عبّر عليه السلام عنها بقوله: إثباتٌ بغير تشبيه، يشير إلى ما ذكره الراوي بقوله: أقول: إنّه شيء لا كالأشياء، وحقيقته إثبات المفاهيم مع نفي خصوصيات المصاديق الممكنة، فله علم لا كالعلوم، وبصر لا كالأبصار، وهكذا.

قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾

في *المعاني*: روى الصدوق عن الحلبي عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: سُئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ قال: بكل لسان(١).

أقول: مرجعه إلى عطف قوله: ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ على محل المفعول ويؤيده قوله: ﴿أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الكتابَ ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾(٢).

وفي *الكافي*: عن مالك، قال: قلت لأبي عبدالله ـ عليه السلام ـ: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾، قال: من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله(٣).

أقول: وهذا المعنى روي بطرق أخرى(٤)، ومرجعه إلى عطف قوله: ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ على محلّ الفاعل، وقد مرّ ما يؤيده في آية المباهلة في سورة آل عمران.

---

١. لم نعثر عليه في المصدر، ولكنّه موجود في *علل الشرائع* ١: ١٢٥، الحديث: ٣؛ *بصائر الدرجات*: ٢٢٦، الحديث: ٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٣٧، الحديث: ٦.

٢. الكهف (١٤): ١.

٣. *الكافي* ١: ٤١٦، الحديث: ٢١.

٤. *الكافي* ١: ٤٢٤، الحديث: ٦١؛ *بصائر الدرجات*: ٥١١، الحديث: ١٨؛ *تفسير العياشي* ١: ٣٥٦، الحديث: ١٣.

[وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِـآيَاتِهِ إِنَّـهُ لَايُـفْلِحُ
ٱلظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَـقُولُ لِـلَّذِينَ أَشْـرَكُـوا أَيْـنَ
شُرَكَاؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَٱللهِ
رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَـا
كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ
يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ
عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ
وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّـنَا وَنَكُـونَ مِـنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِـمَا
نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْـيَا وَمَـا نَـحْنُ
بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا
بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَـدْ خَسِـرَ ٱلَّـذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ ٱللهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَـغْتَةً قَـالُوا يَـاحَسْرَتَنَا عَـلَىٰ

مَافَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَايَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾]

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ـ إلى آخر الآيات الثلاث ـ

محاذاة لقوله سابقاً: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[١]، وكالشرح له ببيان حقيقة حياتهم الدنيا، وأنّ لهم في باطنه حياة أخرى، ستنجلي عليهم في يوم يسقط فيه الأوهام وتظهر الحقائق، فيفقدون هؤلاء الشركاء ويكذبون على أنفسهم رغماً من شهادتهم: أنّ مع الله آلهة أخرى، ثم لا ينفعهم ولن ينفعهم الندم.

هذا وقد كرّر سبحانه في كتابه إنكار المشركين لشركائهم يوم القيامة في كلامه كقوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ * مِن دُونِ ٱللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَمْ نَكُن نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللهُ ٱلْكَافِرِينَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٣] وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ * وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٥].

---

١. الآية (٥) من السورة.
٢. غافر (٤٠): ٧٣ ـ ٧٤.
٣. يونس (١٠): ٣٠.
٤. فصلت (٤١): ٤٧ ـ ٤٨.
٥. القصص (٢٨): ٧٤ ـ ٧٥.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (١) إشارة إلى قولهم: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُم فَدَعَوْهُم فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقاً﴾ (٢).

والذي يتحصل بالتدبّر أنّهم وإن كذبوا يوم القيامة على أنفسهم إلّا أنّه متفرّع على ضلال شركائهم وفقدهم إيّاها ومزايلة ما بينهم على حضورهم وحضور شركائهم، وضلال شيء عن شي وخاصة مع حضورهما ليس إلّا بسقوط الرابطة بينهما وزوال التأثير والسعي وبطلان النفع والإنتفاع، على أنّه سبحانه يقول: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (٣) فنفي الأسباب يومئذٍ ونفي القدرة مطلقاً عن غيره، وقال سبحانه: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (٤) وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَومَئِذٍ لِلهِ﴾ (٥)، فنفي الملك والأمر عن غيره يومئذٍ.

وهذه المعاني أعني انتفاء الملك والأمر والقدرة عن غيره سبحانه، وإن اشترك بين يوم القيامة وغيره كسائر ما عدّ في القرآن من أوصاف يوم القيامة كقوله: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (٦) وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (٧) إلى غير ذلك من الآيات.

---

١. المجادلة (٥٨): ١٨.
٢. الكهف (١٨): ٥٢.
٣. البقرة (٢): ١٦٥ ـ ١٦٦.
٤. غافر (٤٠): ١٦.
٥. الانفطار (٨٢): ١٩.
٦. غافر (٤٠): ١٦.
٧. غافر (٤٠): ٣٣.

لكن مزايلة الأسباب تبيّن أنّ هذا اليوم يوم بروز الحقائق وانكشاف الأغطية، كما قال: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

ومن المعلوم أنّ بطلان السببيّة وأصل الملك والقدرة في الأشياء يوجب بطلان استقلالها، إذ ما من شيء ممّا نشاهده من أقواها ذاتاً إلى أضعفها وجوداً إلّا وهو يملك نفسه من نفسه، ويرتبط نوع ارتباط مع غيره، فإذا بطل منه ذلك عادت الأشياء فاقدة الإستقلال وعادمة الحكم، فلا يبقى لآمل أمل في شيء، ولا لشيء نفع في شيء ولا ضرّ في شيء، فلا يبقى أمر إلّا لله.

واتّضح حينئذٍ معنى ضلال آلهتهم وشركائهم وإنكارهم لعبادتهم وكذبهم على أنفسهم حيث كانوا في الدنيا يشهدون بألوهيتها وربوبيتها أو شراكتها لله، ثم يقولون هناك: ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾[2]، ويستفاد هذا الذي ذكرنا من الآيات الناطقة بإنكار شركائهم لعبادتهم كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3] حيث تثبت لهم عبادة وتنفيها عن أنفسها، ولا ينسب إليها كذب وافتراء، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ

---

١. ق (٥٠): ٢٢.
٢. فصلت (٤١): ٤٧.
٣. يونس (١٠): ٢٨ ـ ٣٠.

كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾[١]، حيث أثبتوا لأنفسهم إغواءاً وهو تكلّم بلسان الدنيا، ثم تبرّءوا إليه وهو تكلّم بلسان الآخرة.

وفي *تفسير العياشي*: عن أبي معمّر السعدي، قال: أتى عليّاً رجل فقال يا أميرالمؤمنين! إنّي شككت في كتاب الله المنزل، فقال له علي: «ثكلتك أُمك، وكيف شككت في كتاب الله المنزل»، فقال له الرجل: لأنّي وجدت الكتاب يكذّب بعضه بعضاً وينقض بعضه بعضاً، قال: «فهات الذي شككت فيه» فقال: لأنّ الله يقول: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾[٢]، ويقول: حيث استنطقوا قال الله: ﴿وَٱللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ويقول: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾[٣]، ويقول: ﴿إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾[٤]، ويقول: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾[٥]، ويقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٦]، فمرّة يتكلّمون ومرة لا يتكلّمون، ومرّة ينطق الجلود والأيدي والأرجل، ومرّة ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾[٧] قال: فأنّى ذلك يا أمير المؤمنين!؟

فقال له علي عليه السلام: «إنّ ذلك ليس في موطن واحد، وهي في مواطن

١. القصص (٢٨): ٦٢ ـ ٦٤.
٢. النبأ (٧٨): ٣٨.
٣. العنكبوت (٢٩): ٢٥.
٤. ص (٣٨): ٦٤.
٥. ق (٥٠): ٢٨.
٦. يس (٣٦): ٦٥.
٧. النبأ (٧٨): ٣٨.

في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة فجمع الله الخلائق في ذلك اليوم في موطن يتعارفون فيه فيكلّم بعضهم بعضاً ويستغفر بعضهم لبعض، أولئك الذين بدت منهم الطاعة من الرسل والإتّباع، وتعاونوا على البرّ والتقوى في دار الدنيا، ويلعن أهل المعاصي بعضهم بعضاً من الذين بدت منهم المعاصي في دار الدنيا وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا والمستكبرون منهم والمستضعفون [يلعن] بعضهم بعضاً ويكفّر بعضهم بعضاً، ثم يجمعون في موطن يفرّ بعضهم من بعض، وذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [١] إذا تعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [٢].

ثم يجمعون في موطن [يبكون فيه] فلو أنّ تلك الأصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلائق عن معائشهم وانصدعت قلوبهم[٣] إلّا ما شاء الله، فلا يزالون يبكون حتى يبكون الدم، ثم يجتمعون في موطن يستنطقون فيه فيقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ولا يقرّون بما عملوا فيختم على أفواههم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتنطق، فتشهد بكل معصية كانت[٤] منهم، ثم يرفع [الخاتم] عن ألسنتهم فيقولون لجلودهم وأيديهم وأرجلهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ فتقول: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [٥]، ثم يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق، فلا يتكلّم أحد ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ

---

١. عبس (٨٠): ٣٤ ـ ٣٦.

٢. عبس (٨٠): ٣٧.

٣. في المصدر: «وصدعت الجبال»

٤. في المصدر: «بدت»

٥. فصلت (٤١): ٢١.

ٱلرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾»[١].

ويجتمعّون في موطن يختصمون فيه، ويُدان لبعض الخلائق من بعض وهو القول، وذلك كلّه قبل الحساب، فإذا أخذ بالحساب شغل كلّ امرىء بما لديه نسأل الله بركة ذلك اليوم»[٢].

أقول: يمكن أن يكون المراد من تفريق المواطن، تفريقها بحسب الرتبة وحقيقة التدريج كما يقتضيه ما قدّمناه من البيان، ويمكن أن يكون المراد ظهور ملكة الكذب المستقرة في هذا العالم، فإنّ الملكة ينشأ منها أثرها سواء نفع أو أضرّ.

قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾

أي شركهم في الدنيا يعني نتيجتها كقول هارون لقومه لمّا عبدوا العجل: ﴿يا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ﴾[٣]، وأصل الفتنة: المحنة والبلاء، وقيل: المراد بالفتنة: الكذب.

قوله سبحانه: ﴿وَٱللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

في *الكافي*: عن أبي حمزة، عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «يعنون بولاية علي»[٤].

---

١. النبأ (٧٨): ٣٨.

٢. تفسير *العياشي* ١: ٣٥٧ ـ ٣٥٨، الحديث: ١٦؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٣٩، الحديث: ٥.

٣. طه (٢٠): ٩٠.

٤. *الكافي*: ٨: ٢٨٧، الحديث: ٤٣٢.

أقول: وروى مثله *القمّي* في تفسيره، عن الصادق[١] ـ عليه السلام ـ، وهو من الجري.

وفي *تفسير القمي*: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله يعفو يوم القيامة عفواً لا يخطر على بال أحد حتى يقول أهل الشرك: ﴿**وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾»[٢].

أقول: إنّه سبحانه إنّما أثبت كذبهم على أنفسهم، ولم يثبت كذب قولهم، كيف وهو سبحانه القائل: ﴿**فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ**﴾[٣]، فهم على كونهم مشركين في الظاهر غير مشركين بحسب الفطرة، فقولهم هذا ميل وانتزاع منهم إلى أصل الفطرة وحكم الحقيقة لكن الأوزار التي حملوها على ظهورهم لا تخلّيهم أن يرتقوا إلى مرتقى الصالحين، وهذا هو الطمع المذكور في الرواية، فتدبّر.

قوله سبحانه: ﴿**وَمِنْهُم مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**﴾

لمّا بيّن سبحانه أنّ أمام المشركين يوماً يشاهدون فيه بطلان ما يشهدون به في الدنيا، أخذ في بيان وبال هذا الشرك وعاقبته وهي النار، غير أنّ ذلك وبال حملوه إلى تلك الدار من هذه النار، وإنّما الفرق بالخفاء والظهور فهم يهلكون أنفسهم في هذه الدار بشركهم وعتوّهم، وإن لم يشعروا به لخفائه وغفلتهم، وسيشاهدونه إذ لا ينفعهم التمنّي.

---

١. *تفسير القمي* ١: ١٩٩.

٢. لم نعثر عليه في المصدر، لكنّه موجود في *تفسير العياشي* ١: ٣٥٧، ١٥؛ *الخرائج* ٢: ٦٨٦؛ *الصراط المستقيم* ٢: ٢٠٩، الحديث: ٢٨.

٣. الروم (٣٠): ٣٠.

والأكنّة: جمع كِنان بالكسر وهو الغطاء، والوقر: بفتح الواو الثقل في الأذن، وقُرِء بالكسر وهو الحمل، والأساطير: الأباطيل، جمع أسطورة بالضم، أو إسطارة بالكسر.

وقد مرّ تفصيل القول في هذا المعنى في أوائل سورة البقرة وللمقام ارتباط.

قوله: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾
وهو صور الشرك والأعمال الظالمة المصاحبة ناراً لهم من هذه الدار، ولذلك لم ينفعهم التمنّي، فإنّ رجوعهم إلى ما هم عليه في هذه الدار رجوع إلى ما لو بدا لكان.

قوله سبحانه: ﴿وإِنَّهُم كَاذِبُونَ﴾
قيل: إطلاق الكذب على التمنّي ـ وهو لا يقبل الصدق والكذب ـ لكونه مضمَّناً دعوى أنّهم إن أعيدوا صلحوا ولم يكذّبوا بآيات ربهم وهو كذب.

قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾
إنكار البعث كاللازم المتمّم لاّتخاذهم آلهة دون الله سبحانه، ولذلك أورد عقيبه، فبيّن سبحانه أنّهم سيشهدون على ما ينكرونه، وسيرون وباله ثم بيّن حقيقة الحياة الدنيا كلّ ذلك في أربع آيات.

قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ ٱللهِ﴾
لمّا تبيّن أنّ اليوم يوم القيامة يوم ضلال الأوهام وبطلان الأسباب، ولا يتعلّق العلم يومئذٍ إلّا وهو سبحانه قائم على نفسه، ثمّ ذكر وقوفهم على ربّهم وهو

كالنتيجة لما سبقه من البيان، تحقق أنّ اليوم يوم لقائه، ولذا عبّر عن يوم القيامة باللقاء، ثم عبّر عنه بالساعة لذلك ولما سيذكر من كونه بغتة وهو الفجأة وهو يناسب الساعة.

قوله: ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾

في *المجمع*: عن الأعمش، عن أبي صالح، عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في الآية قال: «يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون ﴿ياحسرتنا﴾»[1].

أقول: ظاهره رجوع الضمير إلى الساعة من حيث كونها لقاءً وحياة آخرة، وأمّا ارجاع الضمير إلى الحياة الدنيا فهو على بُعده لا يلائم قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾، إذ الحسرة لا تناسب ما لا حقيقة له إلّا اللعب واللهو.

قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾

وهو أحسن القول وأوجزه في بيان حقيقة الحياة الدنيا، واللعب: هو العمل الذي لا غاية له إلّا الخيال، فلا يكتسب به إلّا صورة ذهنية من غير نتيجة خارجية.

واللهو: ما يشغلك عمّا يهمّك، والحياة الدنيا وهي مجموع ما يناله الإنسان الدنيا بتحوّلاته وتقلباته الإرادية، أمور يتعلق بها أو بعدمها الإرادة الإنسانية، والإرادة لا تتعلق إلّا بمعلوم حاصل قبلها، يقصد ترتّبه على الإرادة والفعل ترتّبَ الغاية على ذي الغاية، وجميع هذه المقاصد والمطالب أمور اعتبارية وهميّة، غير متحققّة الحقيقة في العين أو منتهية إليها بالأخرة. يتّضح لك ذلك إذا تتبعت أصناف مقاصد الإنسان، من مأكل أو مشرب أو منكح أو ملبس أو

---

١. *مجمع البيان* ٤: ٤٠.

مسكن أو مال أو بنين أو تكاثر أو تعاضد، أو شيء من أصناف الجاه، كـ: رئاسة أو تقدم أو شهرة أو راحة، فإنّ ذلك جميعاً أمور إعتبارية وعناوين وهمية غير خارجية، أو أمور خارجية ارتباطها بالإنسان ارتباط اعتباري كالمال والبنين.

وهذا هو اللعب يلعب به الصبيان ونواقص العقول من الناس غير أنّ اللعب وسائر الأمور الوهمية لا تقوم بذاتها إلّا بأمور خارجية وأفعال وأشياء عينيّة، هي الأسباب العامّة المستقلة في تأثيرها النافعة أو الضارة، الجالبة أو الدافعة، وهذا إذعان بأنّها مالكة لتأثيرها، وقادرة على أحكامها وآثارها.

وبالجملة: فهو إعطاء ربوبيّة وملك لها، وغفلة عمّا هو الحق والحقيقة من اختصاص الربوبيّة بالله سبحانه، من غير شريك في الملك ووليّ من الذلّ، وهذا هو اللهو يلهو به الإنسان عن ربّه ويغفل به عن العكوف على بابه ومشاهدة ما عنده.

قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾[٢].

وإذ كان هذا حقيقة هذه الحياة ومآلها إلى الفناء، ومرجعها إلى البطلان، ولا مناص للإنسان عن الرجوع إلى ربّه والحياة عنده، تعيّن له أن يسير في ساحة الحياة على ما يهديه ربّه ويجتنب بالتقوى عن غير ذلك، ويتأدّب بأدب الله، ليرتسم له في باطن هذه الحياة حياة يعيش بها يوم اللقاء، دون ما يؤدّيه إلى دار البوار وقرار الهلاك.

---

١. النور (٢٤): ٣٩.
٢. الفرقان (٢٥): ٢٣.

قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

ولهذا الذي ذكرناه عقيب قوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ بقوله سبحانه: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فأخذ بوصف التقوى، ثمّ عقّبه بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. وقرء بالياء وهو أنسب بالسياق، فإنّ التكلّم مع المشركين بطريق الغيبة.

وبالجملة؛ فالناس في هذا المسمى ـ لعباً ولهواً ـ على ثلاث طبقات: الأولياء، ومثلهم مثل العاقل يتّخذ اللعب لغرض صحيح عقلائي، والمؤمنون، ومثلهم مثل الصبي يلعب على ما يختاره له وليّه العاقل، وسيجد فائدة لعبه من حيث لا يشعر، وغير المؤمنين، ومثلهم مثل الصبي يلعب بما بدا له من غير رؤية ونظر، وسيعود صفر الكفّ، ولم يبق له إلّا التعب البدني وفوت الوقت وعتاب الولي، والله الهادي إلى سواء السبيل.

فالسراب أرض سبخة ملحة ينعكس عندها أشعة البصر إلى خضرة الجو فيلمع كالماء فما يناله البصر حقيقة من الحقائق، غير أنّ الإنسان يحكم بأنه ماء بحكم الشبه، وهذا هو الخيال، وهذا حال الدنيا عندها حقيقة ينالها الإنسان، لكنّه يحكم بما ليس له وهو الخيال، وهو ما يرى من استقلال الأسباب ويقصد بها معاني ليس لها إلّا الوهم، فظهور هذه الحقيقة الظاهرة هو الدنيا، وحقيقة هذا الظاهر هي الآخرة، فمن اغترّ بالظاهر احتجب عن الباطن وضلّ سعيه في الحياة، ومن أراده لباطنه فقد أخذ لآخرته متاعاً حسناً، قال علي ـ عليه أفضل السلام ـ: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»،[2] وقال ـ أيضاً ـ فيما يصف به الدنيا:

---

١. الكهف (١٨): ٧.

٢. *نهج البلاغة*: ٥٥٧، قسم الحكم، رقم ٤٦٣.

«ومن أبصر بها بصّرته ومن أبصر إليها أعمته»[١]، وقال ـ أيضاً ـ: «إنّما الدنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر ممّا وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره ويعلم أنّ الدار وراءها، فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص والبصير منها متزوّد والأعمى إليها متزوّد»[٢]، الخطبة.

وهو قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ ٱلْحَيوةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلأخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٤].

هذا ما يعطيه كلامه سبحانه في حقيقة الدنيا، وأمّا ما يصف حالها من فنائها وانقطاعها وغرورها وخيبة طالبيها ممّا يجري مجرى المواعظ، فالكتاب والسنة مملوءان منه، والله الهادي.

*

---

١. نهج البلاغة: ١٠٦، قسم الخطب، رقم ٨٢.

٢. نهج البلاغة: ١٩١ ـ ١٩٢، قسم الخطب، رقم ١٣٣.

٣. النجم (٥٣): ٢٩ ـ ٣٠.

٤. الروم (٣٠): ٧.

[قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ
ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ آللهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا
عَلَىٰ مَاكُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ آللهِ وَلَقَدْ
جَاءَكَ مِن نَبَإِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ آسْتَطَعْتَ
أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِى ٱلسَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ آللهُ
لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ
يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ آللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾]

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ آللهِ يَجْحَدُونَ﴾
تسلية منه سبحانه وتعالى لرسوله فيما تجرّى به المشركون من تكذيبه وإنكار التوحيد، فسلّاه:

أولاً: بأنّ تكذيبهم إنّما يرجع إلى الله سبحانه لا إليه، لأنّهم لم يبطلوا دعوته الباهرة، وإنّما جحدوا آيات الله، وهذا بحسب نظام التشريع والفرعية في ظرف الإختيار.

وثانياً: إنّ الله لم يشأ منهم الإيمان والإهتداء، لأنّهم بحسب الباطن، موجب الحقيقة أموات غير أحياء لا يعقلون، فلا يسمعون دعوة حتّى يستجيبوا

وهذا بحسب حكم القدر.

وفي *تفسير العياشي*: عن عمّار بن ميثم، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ، قال: قرأ [رجل] عند أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: ﴿**فَإِنَّهُمْ لَايُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بِآيَاتِ ٱللهِ يَجْحَدُونَ**﴾، فقال: «بلى فإنّهم لايكذّبونك والله لقد كذّبوه أشد التكذيب ولكنها مخففة «لاَيُكْذِبُونَكَ» لا يأتون بباطل يُكِذبون به حقك»[١].

أقول: وروي هذا المعنى في *الكافي* و*تفسير القمي*: وغيره بعدّة طرق عن أميرالمؤمنين والصادق ـ عليهما السلام[٢] ـ، فهو من «أكذبه» إذا وجده كاذباً، لا من كذّبه إذا نسبه إلى الكذب[٣].

وقوله: ﴿**بِآيَاتِ ٱللهِ يَجْحَدُونَ**﴾

الإلتفات من ضمير المتكلم إلى الظاهر وهو لفظ الجلالة للتلويح إلى موقع هذا الجحود، وإنّه جحود بآيات الله، فلا ينتهي إلّا إلى خسران الجاحدين فتسلّى نفس النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ احسن التسلية، وعلى هذا الطريق، أن يتلقى الإلتفاتات اللاحقة في قوله: ﴿**لِكَلِمَاتِ ٱللهِ**﴾، وقوله ﴿**وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ**﴾ وقوله: ﴿**يَبْعَثُهُمُ ٱللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾.

قوله سبحانه: ﴿**أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي ٱلْأَرْضِ**﴾

في *تفسير القمّي*: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في قوله:

---

١. *تفسير العيّاشي* ١: ٣٥٩، الحديث: ٢٠.
٢. *الكافي* ٨: ٢٠٠ الحديث: ٢٤١، *تفسير القمّي* ١: ١٩٥ ـ ١٩٦.
٣. *لسان العرب* ١٢: ٥٣، مادّة «كذب».

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾، قال: كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ يحب إسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، دعاه رسول الله وجهد به أن يسلم فغلب عليه الشقاء، فشقّ ذلك على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿نَفَقاً فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: سربا(١).

أقول: السرب بفتحتين، قال في *الصحاح*: بيت في الأرض، تقول إنسرب الوحشي في سربه، وأسرب الثعلب في جُحره(٢) انتهى.

والنفق بفتحتين: ثقبة إلى محل معهود.

قوله: ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾

أي فافعل فجواب ﴿إِنَ اسْتَطَعْتَ﴾ مقدّر يدل عليه الكلام.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾

في مقام التعليل بقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾

فيه إيماء إلى علّة ما سبقه، ومآل المعنى ـ والله العالم ـ: لا تحزن على تكذيبهم وجحودهم واستنكافهم عن الهدى، ولا تطمع في استجابتهم فإنّهم لا يسمعون لأنّهم موتى، لكنّهم لا يفوتوننا فسوف يبعثهم الله فيفقهون ويسمعون، ثم

---

١. *تفسير القمي* ١: ١٩٨.

٢. *صحاح اللغة* ١: ١٤٧.

يرجعون إليه فيخزيهم بما كانوا يعملون.

ففي الكلام فائدة أخرى وهي دفع الدخل وتحكيم ما مرّ من وصف بعثهم وحشرهم.

وقرء: يَرجعون بفتح الياء، والضم أبلغ وأنسب للسياق.

*

[وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ
يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ
عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ
تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ
لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ
أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم
مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَنْ إِلَٰهٌ
غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ

أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ ٱللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ ٱللهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾]

وقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

إنّهم موتى لا آذان لهم ولا قلوب، ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾(١) حتى يبعثهم الله، فلا يبقى لنزول الآية تبعة إلّا نزول العذاب، وفيه بطلان الدعوة، فلا مانع عن نزول الآية من قبل الله لقدرته على كل شيء، بل من قبلهم، وإلى ذلك

---

١. الأنعام (٦): ٢٥.

يشير ما في *تفسير القمي* في الآية قال: قال: لا يعلمون أنّ الآية إذا نزلت[١]. ولم يؤمنوا بها لهلكوا [٢].

ثم إنّ قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ﴾ بعد ما نزل عليهم القرآن وهو الآية المعجزة الباهرة، وقد تحدّى به الرسول فلم يقدر على مقاومتها أحد، وبعد ما تلى عليهم القرآن آيات الله من سماء وأرض وما بينهما من خلق وتصريف، فقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ﴾ في هذا الموقف ليس إلّا أنّه لا يعتنون بهذه الآيات الباهرة ويهملون ذكرها من أصلها فلم تبق فائدة في مخاطبتهم ولا جدوى لمشافهتهم، لأنّهم لا يرون شيئاً من الآيات آية وإن تفوّهوا بلفظه واعترفوا بمفهومه، لكن لا يرون له مصداقاً.

ولهذا أجابهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ آيَةً﴾ فأجاب بقدرة الله عليها، وأكّده بـ: ﴿إِنَّ﴾، لكونهم في مقام الإنكار، ولم يزد على أصل القدرة شيئاً ولم يذكر أنه هل نزّل شيئاً أو هل سينزل أو لا ينزّل لعدم إجدائه لهم شيئاً وإنما ذيّله بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعند ذلك سقط خطاب النبيّ لهم، ولذلك أخذ سبحانه يخاطبهم من غير وساطة النبي في الآيتين التاليتين.

قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾

ذكر الوصفين، أعني قوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ لتحقيق الموصوفين وتثبيتهما كما في كل وصف لازم لموصوفه، كقولنا: الشمس مضيئة والبدر منير ومن هذا الباب أيضاً أمثال قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ *

---

١. في المصدر: «جاءت»

٢. *تفسير القمي* ١: ١٩٨.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[١] أخذ الوصف فعلاً في هذا الباب أبلغ من الإسم بوجه، وقوله: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، أي يجري فيهم ما أجراه فيكم من شؤون الحياة جمعاً وفرادى، فكما أفاض عليكم جميع ما يستعدّه وجودكم وتأليف طبائعكم من الإستكمال في الحياة الدنيا، فكذا في كلّ أمة من أمم الدوابّ والطيور، فبينها نظام تكويني ونظام اعتباري، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ بمنع ما يستحقه شيء بحسب فطرته والبخل عمّا يسأله بحسب جبلّته، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٣] أي طريق غير مختلف ولا متخلّف.

فإذا كان الأمر على هذا وجميع الإنسان والحيوان أُمم متماثلة، فكلّ إلى ربِّهم يحشرون، إذ هو الآخذ لما أعطيت من الحياة والوجود، وفي الآية التفات بتبديل الغيبة إلى الخطاب، فإنّ الآية السابقة قطعت خطاب النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ لهم بالإعراض.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾

فهم ﴿صُمٌّ﴾ لعدم استماع الدعوة و﴿بُكْمٌ﴾ لعدم التفوّه بكلمة الحق، وقوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾، بمنزلة العمى، ولم يصرّح به إذ لم يسبق المقام إلّا عدم وصول الدعوة إليهم وعدم استجابتهم، فليس للبصر هناك حظّ حتى ينسب إليهم

---

١. الطارق (٨٦): ١١ ـ ١٢.

٢. هود (١١): ٦.

٣. هود (١١): ٥٦.

العمى، لكن أُشير إليه ضمناً، فما ألطفه من سياق، وهذه الدعوى وهي دعوى الصمم والبكمة أوجب ثانياً الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة، فإنّ الأصمّ الأبكم لا مطمع في خطابه مع أنّ الآية من تمام الآية السابقة.

وملخّص المعنى أنّ كلّ طائفة من طوائف دوابّ الأرض ومنهم الناس، وطوائف الطير أمة متماثلة لغيرها أمر حياتها وتدبيرها إلى ربّها في الدنيا محشورة إلى الله، والمكذّبون بالآيات من بين جميعهم صمّ وبكم في الظلمات فهم لا يعلمون. فتكون في معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ ٱللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

قوله سبحانه: ﴿مَن يَشَاءِ ٱللهُ يُضْلِلْهُ﴾

في مقام التعليل لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، لأنّ الصمم والبكمة والظلمة وخلافها صور الإضلال والهداية الإلهيتين، وسيجيء بعض الكلام فيه في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيَهُ﴾[٣] من هذه السورة.

وفي *تفسير القمي*: عن أبي حمزة، قال: سألت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ عن الآية، فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: نزلت في الذين كذّبوا بأوصيائهم، صمّ بكمّ كما قال الله: ﴿فِى ٱلظُّلُمَاتِ﴾، من كان من ولد إبليس فإنّه لا يصدّق

---

١. الأنفال (٨): ٢٢ ـ ٢٣.
٢. الأنفال (٨): ٥٥.
٣. الأنعام (٦): ١٢٥.

بالأوصياء ولا يؤمن بهم أبداً، وهم الذين أضلّهم الله ومن كان من ولد آدم آمن بالأوصياء فهم على صراط مستقيم.

قال: وسمعته يقول: كذّبوا بآياتنا كلّها، في بطن القرآن: «كذّبوا بالأوصياء كلّهم»[١].

أقول: كون الأوصياء آيات الله قد مرّ بيانه في آية النسخ من سورة البقرة، ومعنى كونهم من ولد ابليس، مشاركته في ولادتهم، كما قال تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ﴾[٢].

وقوله: في بطن القرآن إلى آخره، من الشواهد على اطلاق التنزيل في كلامهم على أعم من شأن النزول المصطلح عليه، وأنّ جلّ ما ورد في نزول الآيات في شأن الولاية من قبيل الجري بحسب بطن القرآن.

قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَيْتَكُمْ﴾

رجوع إلى الخطاب بواسطة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ. وقوله: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ فعل مضمَّن معنى اخبروني، وكأنه تحوّل في الكلمة بحسب الإستعمال، وقد ضمن أرأيت معنى الإستخبار أوّلاً، ثم ضمّ إليه علامة الخطاب ثانياً، فقيل: أرأيتك، أرأيتكما، أرأيتكم، فلا محل لعلامة الخطاب من الاعراب نظير قولنا: ذلك، ذلكما، ذلكم إلى آخره، وفي الآية استدلال بما يقصده الإنسان عند ضلال الأسباب وسقوطها عن التأثير؛ فلا يقصد الإنسان في كشفه إلّا الله، فهو الله دون غيره.

---

١. تفسير *القمي* ١: ١٩٩.

٢. الإسراء (١٧): ٦٤.

قوله سبحانه: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ﴾

قال في *الصحاح*: البأساء والضرّاء: ـ المشدّدة ـ، وهما إسمان مؤنثان من غير تذكير[١]، إنتهى. وكأنّ الأُولى شدّة من خارج، كحرب وفتنة، والثانية شدة من داخل كمرض وسوء حال، والبأس: العذاب، وكأنّ الأصل في معناه التأثير السيىء المكروه والإبلاس: اليأس.

و مورد الآية ما لا يسقط الاسباب دونه من أنواع المكاره والبلايا، فلا ينافي الآية السابقة.

وفي بعض الأخبار تطبيق الآيات على دولة بني أمية وبني العباس وقيام القائم [عجلّ الله فرجه][٢] وهو من الجري.

قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾

وهذا هو الإستدراج وسيأتي بيانه في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣] من سورة الأعراف.

قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾

دابر الشيء آخره، والكلام من الإستعارة بالكناية والإستعارة التخييليّة، شبّهوا ـ وهم أعقاب متعاقبون ـ بأمر جارٍ يبدو شيئاً فشيئاً، فإذا قطع الدابر منه فنى.

---

١. *الصحاح* ١: ٧٢٠.
٢. تفسير *القمي* ١: ٢٠٠؛ تفسير *العيّاشي* ١: ٣٦٠؛ *دلائل الإمامة*: ٢٥٠؛ تفسير *الصافي* ٣: ٣٥؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٥٤؛ *إثبات الهداة* ٣: ٥٢٠؛ *بحار الأنوار* ٣٥: ٣٧١.
٣. الأعراف (٧): ١٨٢.

قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾

في *تفسير القمّي* في رواية أبي الجارود: عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾، يقول: «[إن] أخذ الله منكم الهدي ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾، يقول: يُعرضون»[١].

أقول: وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ تمهيد لصرف الكلام عن أدلة التوحيد إلى التعرض بحال الظالمين.

قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ﴾

في *تفسير القمي*: إنّها نزلت حين[٢] هاجر رسول الله إلى المدينة وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إلى رسول الله، فأنزل الله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمّد!: ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾، أي لا يصيبكم[٣] إلّا الجهد والضرّ في الدنيا؛ فأمّا العذاب الأليم الذي فيه الهلاك فلا يصيب إلّا القوم الظالمين[٤].

أقول: ويضعفّه على أنّه لا ينطبق على اللفظ البتة.

فإن قلت: إنّ الأخبار مستفيضة أنّ الأنعام نزلت جملة واحدة والسورة مكية، وهذا ينافي كون الآية مدنيّة وكذا ما ذكره أنّ قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢٠١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٥٧؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٥.
٢. في المصدر: «لمّا»
٣. في المصدر: «إنّهم لا يصيبهم»
٤. *تفسير القمّي* ١: ٢٠١.

رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ نزلت بالمدينة.

قلت: نزول السورة جملة واحدة وفي مكة لا يوجب كون جميع آياتها المثبتة في المصاحف مكيّة لجواز أن يُثبتوا عند التأليف بعض الآيات من غير السورة في السورة، وله نظائر، وأمّا العامّة فقد استثنوا عدّة آيات من سورة الأنعام، فصرحوا أنّها مدنية، سيأتي الإشارة إليها.

قوله سبحانه: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾

قيل: الترديد والمقابلة بين البغتة والجهرة لما في البغتة من معنى الخفاء.

قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾

قد مرّ معنى الصلاح، وحذف المتعلق للإهمال لا للإطلاق بقرينة المقابلة مع التكذيب، أي أصلح إصلاحاً مّا إمّا نفسه أو عمله، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

قوله سبحانه: ﴿يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾

قال في *الكشاف*: جعل العذاب ماسّاً كأنّه حيّ يفعل بهم ما يريد من الآلام، ومنه قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[1][2].

أقول: فيكون من الإستعارة بالكناية والإستعارة التخييلية، والظاهر أنّ مورد الإستعارة قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، فإنّه من فسقت التمرة، إذا خرجت عن

---

١. الفرقان (٢٥): ١٢.

٢. *الكشاف* للزمخشري ٢: ٢٥.

قشرها، فهم بالتكذيب والتمرّد يخرجون من لباس الإيمان والطاعة الحافظ لأبدانهم من الآفات الماسّة، فيمسّهم حينئذٍ العذاب كما يمس التمرة ما لا يلائمه على لطف جرمها.

قوله سبحانه: **﴿وَأَنْذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا﴾**

في *المجمع*: قال الصادق ـعليه السلام ـ: «أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربهم برغبتهم[١] فيما عنده، فإنّ القرآن شافعٌ ومشفّع»[٢].

أقول: كان بيانه عليه السلام مبني على كون قوله سبحانه: **﴿لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾** جملة معترضة أوردت لتهييج رجائهم وإثارة رغبتهم بأنّه الولي الشفيع، فيرجوا الوصول إليه بتولّيه أمره وشفاعته لهم، فينذروا فيتّقوا ممّا يخافون، فيكون القرآن شافعاً في إيصالهم إلى قربه مشفعاً في ذلك، ولذلك بدّل عليه السلام في تفسيره الخوف بـ: الرجاء والرغبة، وأثبت للقرآن الشفاعة مع نفيه في الآية عن غيره سبحانه.

وأمّا ما قيل: إنّ قوله: **﴿لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾** في موضع الحال من **﴿يُحْشَرُوا﴾**، بمعنى يخافون ان يحشروا إلى ربهم غير منصورين ولا مشفوعاً لهم، ولابدّ من هذا الحال؛ لأن كلّاً محشور، فالمخوف إنّما هو الحشر على هذا الحال، إنتهى[٣].

يبعّده السياق لمكان قوله: **﴿مِن دُونِهِ﴾**، فافهم، على أنّه أحد [معاني]

---

١. في المصدر: «ترغبهم»

٢. مجمع *البيان* ٤: ٦٠، في المصدر: «شافع مشفع لهم».

٣. جوامع *الجامع* ١: ٣٨٠.

الولاية بمعنى النصرة، وإنّما هي ولاية الأمر.

قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾

في *تفسير القمي*: إنّه كان سبب نزولها أنه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يُسمّون أصحاب الصفّة، وكان رسول الله أمرهم أن يكونوا في صفّة يأوون إليها، وكان رسول الله يتعاهدهم بنفسه، وربّما حمل إليهم ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى رسول الله فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ويقولون له: أطردهم عنك، فجاء يوماً رجل من الأنصار إلى رسول الله وعنده رجل من أصحاب الصفّة، وقد لصق برسول الله ورسول الله يحدّثه، فقعد الأنصاري بالبُعد منهما، فقال له رسول الله: تقدّم، فلم يفعل، فقال له رسول الله: «لعلك خفت أن يلزق فقره بك، فقال: أطرد هؤلاء عنك، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ...﴾[1].

ومن طريق العامة: إنّ رؤوساً من المشركين قالوا لرسول الله: لو طردت عنّا هؤلاء الأعبد ـ يعنون فقراء المسلمين وهم: عمّار وصهيب وخبّاب وسلمان وأضرابهم وأرواح جبابهم، وكانت عليهم جباب من صوف ـ جلسنا إليك وحادثناك، فقال صلّى الله عليه وآله: ما أنا بطارد المؤمنين، فقالوا: فأقمهم عنّا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت، فقال: نعم طمعاً في إيمانهم[2]، الحديث.

وهو أقرب اعتباراً نظراً إلى أنّ السورة مكيّة، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾،

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢٠٢؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٥٩؛ *تفسير الصافي* ٣: ٣٩.

٢. *تفسير الطبري* ٧: ١٢٨؛ *الكشّاف* ٢: ٢٧؛ *تفسير الثعلبي* ٤: ١٥٠؛ *تفسير ابن كثير* ٢: ١٢٥؛ *تفسير القرطبي* ٦: ٤٣١. السمرقندي في تفسيره ١: ٤٨٧؛ الرازي في تفسيره ١٢: ٢٣٤؛ *أسباب النزول* للواحدي: ١٧٨ ـ ١٧٩؛ ومِنَ الخاصة: *جوامع الجامع* ١: ٣٨٠.

قوله: ﴿وَمَا مِن حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ﴾ تفيد الجملتان معاً أن الحكم وهو البينونة من الطرفين، كقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[١]، وقوله: ﴿طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾[٢].

قوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾

الآية وان كانت مطلقة، لكن السياق يعطي أنّ المفتونين هم الأغنياء من المشركين، والمفتون بهم هم الفقراء من المؤمنين، وقولهم: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ..﴾ للتحقير، وقولهم: ﴿مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ كلام مسوق للسخريّة بتسمية الإيمان مَنّاً، ولذلك سمّاهم سبحانه: ﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾ لمكان قبولهم المنّ ووضعهم إيّاه موضعه وهو الإيمان.

قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، كأنّه مستعمل في الحال بالأشراف، والمراد به الذين يجيؤن النبي ليؤمنوا، ولذلك عقّبه بقوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾، ولم يجر على ما هو المعهود من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهذا هو الأنسب لقوله آنفاً: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِم لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾

تنكير المبتدأ كأنّه للتنويع.

---

١. الممتحنة (٦٠): ١٠.

٢. المائدة (٥): ٥.

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾

في مقام تفسيره وقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ..﴾، بـ: أَنّ المفتوحة تفسير الرحمة، وقرء بـ: إنّ المكسورة فيكون تقليلاً وتفسيراً لمجموع الجملة، وقوله: ﴿فَأَنَّهُ﴾، جواب الشرط، والخبر مقدّر.

وفي *المجمع* في الآية: قيل نزلت في التائبين وهو المرويّ عن أبي جعفر ـعليه السلام ـ[1][2].

وفي *تفسير البرهان*: ومن طريق المخالفين ما روي عن ابن عباس في الآية نزلت: في علي وحمزة [و جعفر] وزيد[3].

أقول: وما مرّ من معنى الآية يؤيّد الرواية الأولى كما لا يخفىٰ.

*

١. في المصدر: «أبي عبدالله»

٢. مجمع *البيان* ٤: ٦٥.

٣. *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٦١، عن *تفسير الحبري*: ٢٦٥، الحديث: ٢٦؛ و*شواهد التنزيل* ١: ١٩٦، الحديث: ٢٥٤.

[قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ قُل لَاأَتَّبِعُ
أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن
رَبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ
وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَاصِلِينَ (٥٧) قُل لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ ٱلأَمْرُ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَٱللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨) وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي
ظُلُمَاتِ ٱلأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)]

قوله سبحانه: ﴿قُل لَاأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾

كأنه بيان جيء به دفعاً لما يسبق إلى ذهن المخالف أنّ النهي تعبدي أو جزافي، فيكون المحصّل أنّ هذا النهي ليس نهي تعبدٍ فقط، بل العقل أيضاً يعاضده، فإنّي على بيّنة من ربّي، فأنا من المهتدين، ولا يجوز على المهتدي ضلال فلا يعبد ما تدعون من دون الله، لأنّه هوى منكم وضلال.

فهذه الجمل المتعاقبة يعلّل كلّ لاحقة منها لسابقته بحسب المعنى.

وقوله: ﴿أَهْوَاءَكُمْ﴾، جيىء بصيغة الجمع مع أنّه يشار به إلى عبادتهم، وهو معنى واحِد، لما كان في عبادتهم من الإختلاف بحسب اختلاف الآلهة والأهواء التي أوجبت اتّخاذ كلّ طائفة صنماً خاصّاً.

قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾

هذه الجملة وقوله: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾، كالعلل لمجموع ما يتحصّل من الكلام أنّ الآية ليست بيد النبي، بل بيد الله، ولو شاء لأنزلها، لكن لا ينزل إلّا على المشركين لا لهم، وقوله سبحانه: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾، من قصّ الأثر إذا تبعه، أي لا يفارق حكمة الحق وهو خير الفاصلين.

قوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾

قد تكرر في كلامه سبحانه ذكر الغيب، وربما قوبل بالشهادة، والشهادة هي كون الشيء بوصف الحضور والوجدان، وإذا نُسب إلى الشاهد كان بمعنى وجدانه المشهود من غير حجاب حائل، والغيب ارتفاع هذا الوصف وفقدان الحضور، فهو معنى عدمي، وعلى هذا كان كلّ شيء إذا قيس إلى نفسه لم يقبل إلّا معنى الشهادة لعدم غيبوبته عن نفسه ما خلا الله سبحانه؛ فإنّه أرفع وأعلى من الوصف وأكبر من أن يوصف فذاته ليس بغيب ولا شهادة، إلّا من جهة أسمائه وأوصافه المقدّسة، وإذا نسب الشيء إلى غيره أمكن أن يختلف اتّصافه بالوصفين، فيكون شهادة وغيباً باعتبارين كما أنّ ما في داخل الحائط شهادة لمن كان في داخله، غيب عمّن هو خارجه، وما في قلب الإنسان شهادة له، غيب بالنسبة إلى غيره، وما تحت إحدى الحواس مشهود له غائب عن غيره.

وبالتأمل في هذه الأمثلة ونظائرها يعلم أنّ من الغيب ما يمكن أن يكون شهادة، كمن يحجبه جدران الحائط عمّا وراءه فيشرف فيشاهد ما كان محجوباً غائباً عنه، أو يستدل بالآثار فيعلم ما كان مجهولاً، كما يستدل على ما في قلب زيد من الآثار البادية أنّه مسرور أو مغموم.

ومنه ما لا يمكن أن يكون شهادة كاللون والصور يحسه البصر ولا يناله السمع، وإن استدلّ على بعض لوازمه كالالتذاذ والتأثير، كما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[١]، وقوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ﴾[٢] فإنّ العلم من طريق الإستدلال أو بواسطة إخبار النبي -صلّى الله عليه وآله- كان موجوداً عندهم، وقد عدّ إيمانهم مع ذلك إيماناً بالغيب، فالغيب باقٍ على ما هو عليه وإن كان معلوماً من بعض وجوهه، فالإدراك المتعلّق بالغائب من جهة الإستدلال بآثاره لا يسمّى علماً بالغيب إلّا مسامحة.

ومن جهة أخرى العلم من جهة مطلق الإستدلال ربّما أصاب وربما أخطأ، ومع احتمال الخطأ لا علم، بل هو ظن وحسبان. إنّما يكون علماً، ثمّ علماً بالغيب إذا كان مأموناً مصوناً من الخطأ، كما يستفاد من قوله سبحانه: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[٣] فإنّ الإرصاد من جوانب الرسول، أو الخبر الذي أخبر هو إنّما به يتحقق العلم ولا يمسّ الشياطين شيئاً من الوحي بالخلط والدسّ.

ومن الشاهد على ذلك قوله سبحانه: في ذيل قصة يوسف: ﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ

---

١. البقرة (٢): ٣.

٢. يس (٣٦): ١١.

٣. الجن (٧٢): ٢٦ ـ ٢٧.

ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[١]، فإنّ القصة موجودة عند أهل الكتاب بعنوان التاريخ، غير أنّ ما عندهم غير مأمون عليه من تحريف المحرفين أو سهو الناقلين وبخلاف إخباره سبحانه الذي ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَاصِلِينَ﴾ وإليه يشير قوله تعالى في ذيل الآية: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ فانتفاء الحضور يجعله بناءاً غيبيّاً غير معلوم، وإنّ قصّة التاريخ فهو سبحانه لا يسمّي بالعلم كلّ ما نسمّيه علماً بالمسامحة العرفيّة، ونظير الآية قوله تعالى في قصة مريم: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[٢]، ونظيره أيضاً قوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى ٱلأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ﴾[٣]، وقريب منه قوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هٰذَا﴾[٤].

والآيات كما ترى تعلّق الوحي والعلم بنبأ الغيب لا بنفسه، وقد قدّمنا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلأَسْماءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى﴾[٥] الآيات من البقرة، إنّ العلم بالشيء غير العلم بنبأه وهو صورة الشيء بحسب الإخبار، فالعلم بالشيء إحاطة بنفسه، والعلم بنبأه إحاطة بنبأه وصورته دون نفسه، فالعلم بنبأه الغيب غير العلم بالغيب، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[٦].

---

١. يوسف (١٢): ١٠٢.
٢. آل عمران (٣): ٤٤.
٣. القصص (٢٨): ٤٤.
٤. هود (١١): ٤٩.
٥. البقرة (٢): ٣١.
٦. طه (٢٠): ١١٠.

وقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: ليس العلم بكثرة التعلم وإنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء[١].

ثم إنّ فرض تحقق الغيبة فرض خروج الشيء عن الإحاطة فلا معنى للعلم بالغيب حينئذٍ وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢]، فجعل كلّ شيء ينسب إليه الخلق ذا قدر وحدّ، ولا معنى لإحاطة الشيء المقدّر المحدود بما هو غائب عن ذاته خارج عن حيطته وحدّه، قال سبحانه: ﴿قُل لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[٣]، فمن في السماوات والأرض من شيء مخلوق مقدر محدود ومؤجلّ، قال سبحانه: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[٤].

وأما الله جلّ شأنه فهو محيط بكلّ شيء عالم به قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِن لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٦] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٨].

فلا يغيب عنه ولا يبعد منه ولا يخرج عن إحاطته وعلمه شيء، وحفظ هذه

---

١. *منية المريد*: ١٦٧؛ *مصباح الشريعة*: ١٦؛ *بحار الأنوار* ٦٧: ١٣٩.
٢. القمر (٥٤): ٤٩.
٣. النمل (٢٧): ٦٥.
٤. الأحقاف (٤٦): ٣.
٥. فصلت (٤١): ٥٣ ـ ٥٤.
٦. الطلاق (٦٥): ١٢.
٧. الحديد (٥٧): ٤.
٨. يونس (١٠): ٦١.

المعاني على حقيقتها يوجب أن يكون كل شيء على هويته وشخصيته محفوظاً عند الله سبحانه، لا كما تبقى الأشياء عندنا بصورها ومعانيها، وإن بطلت بزعمنا أشخاصها، وفقدتها الأمكنة ومحتها الأيّام، فإنّ ذلك من المجاز وحقيقته بقاء معانيها في ذكرنا، أو بقاء آثارها، بل هي باقية لله بأنفسها محفوظة له بهويّتها وحقيقتها لا بصورها، لا تفوته سبحانه ولا تغيب، وإن فاتت الأيّام وغابت عن أبصار الناظرين وبصائر المدركين فإنّ مرجع هذا الفقد والغيبة إلى تقدر الوجود ومحدودية الذوات كما عرفت.

وهو إنّما يتحقّق بين محدود ومحدود، بل في المحدود فقط، وأمّا بين محدود وغير محدود، ومحيط ومحاط، فغير المحدود لا يفقد المحدود والمحاط لا يغيب عن المحيط، فقد تحقق أنّ شيئاً من الأشياء سواء كان محدوداً متناهياً على الإطلاق، أو غير محدود بالنسبة إلى غيره، وإن كان محدوداً بالنسبة إلى الله سبحانه لا يفوته تعالى ولا يخرج عن إحاطته وعلمه.

ومن هنا يظهر أنّ لو تحقق في الموجودات عدة محدودة وأخرى غير محدودة، كان غير المحدود غيباً بالنسبة إلى المحدود مطلقاً، وأمّا المحدود فالغيب والشهادة فيه بالنسبة إلى مثله نسبيّ كالُمبصَر بالنسبة إلى الباصر، ربّما كان غائباً وربّما كان مشهوداً، والغيب من حيث غيب لا يكون مشهوداً للمغيب عنه وهو ظاهر، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ﴾(١)، فعلم هذا القسم مقصور بما أودع الله فيهم من إطلاق الوجود قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾(٢).

---

١. النمل (٢٧): ٦٥.
٢. البقرة (٢): ٢٥٥.

وكلّ شيء بالنسبة إليه، سواء كان محدوداً مقدراً كمن في السموات والأرض، كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١]، أو غير مقدر ولا محدود، كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٢]، فإنّ القدر مصاحب للنزول وملازم له فجميع القسمين بأي حيثية أخذا غيباً أو شهادة محدود متناهٍ بالنسبة إليه سبحانه، كما يشير إليه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[٣]، وهي جميعاً معلوم محاط له سبحانه لا يشاركه غيره، وقد جمع الجميع قوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، وهذه هي الموجودات التي وراء ساحة السموات والأرض الغائبة عنها.

ومفاتح جمع مفتح، بفتح الميم وهو المخزن، فيكون المراد خزائن الغيب، وإمّا جمع مِفتح بكسر الميم، وهو المفتاح فيدلّ على أنّ هناك خزائن مسدودة الأبواب مغلّقتها، عنده مفاتيحه لا يتصرف فيه إلّا هو سبحانه أو من أذن له وإرتضاه.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وهذه هي الموجودات الجسمانية، فقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تعميم لما في الأرض أنفسها، وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، تعميم لحالاتها وتحوّلاتها، وقوله: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ وقرءت بالرفع، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، إشارة إلى حفظ كلّ شيء في الكتاب

---

١. القمر (٥٤): ٤٩.
٢. الحجر (١٥): ٢١.
٣. الرعد (١٣): ٨.

المبين، وهو الكتاب الذي لا تغيّر فيه ولا تبدّل، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَابِ﴾[١]، وقال: ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[٢].

وسيجيء الكلام فيه في آخر سورة الرعد إن شاء الله العزيز.

ويدلّ على ما مرّ من معنى خزائن الغيب ما في *التوحيد والمعاني والمجالس*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «لما صعد موسى إلى الطور فنادى ربه عزّ وجلّ، قال: يا ربّ! أرني خزائنك فقال: يا موسى! إنّما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن فيكون»[٣].

أقول: سيجيء تفسيره في سورة الحجر.

وفي *الكافي والمعاني وتفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ الورقة: السقط، والحبة: الولد، وظلمات الأرض: الأرحام، والرطب: ما يحيىٰ [من الناس]، واليابس: ما يغيض[٤]، وكلّ ذلك في كتاب مبين»[٥].

أقول: ورواه القمّي أيضاً في *تفسيره*[٦].

وفي *تفسير العياشي*: عن الكاظم ـ عليه السلام ـ: «الورقة: السقط، يسقط من بطن أمه من قبل أن يهلّ الولد[٧]، [قال: فقلت وقوله: ﴿ولَا حَبَّةٍ﴾ قال:

---

١. الرعد (١٣): ٣٩.

٢. ق (٥٠): ٤.

٣. *التوحيد*: ١٢٣، الحديث: ١٧؛ *معاني الأخبار*: ٤٠٢ الحديث: ٦٥؛ *أمالي الصدوق*: ٥١١، الحديث: ٤.

٤. في الكافي: «يُقْبَض»، في بقية المصادر: «يَغيِضُ» وفي *تفسير القمي*: «ما تغيض الأرحام».

٥. *الكافي* ٨: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، الحديث: ٣٤٩؛ *معاني الأخبار*: ٢١٥، الحديث: ١؛ *تفسير العياشي* ١: ٣٦١، الحديث: ٢٨.

٦. *تفسير القمي* ١: ٢٠٣.

٧. أهلّ الولد: رفع صوته بالبكاء حين الولادة.

يعني] الولد في بطن أمه إذا أهلّ ويسقط من قبل الولادة [قال: قلت: قوله ﴿وَلَا رَطْبٍ﴾ قال: يعني] المضغة إذا استكنّت في الرحم قبل أن يتمّ خلقها قبل أن تنتقل، [قال: قلت: قوله ﴿وَلَا يَابِسٍ﴾ قال:] واليابس الولد التام، و[قال: قلت: في] ﴿كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [قال: في] إمام مبين(١).

أقول: الروايتان من باب التطبيق والجري، سوى قوله في الثانية: والكتاب المبين: الإمام المبين، فهو من البطن وسيجيء إن شاء الله.

وفي *المعاني*: عن الصادق -عليه السلام- في قول الله: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةَ﴾، فقال: «الغيب ما لم يكن، والشهادة ما قد كان»(٢).

أقول: وهو بوجه راجع إلى ما مرّ، فما لم يكن وهو معلوم فإنّه ليس بمعدوم لله، بل موجود ومحفوظ في خزائن الغيب، وأمّا ما قد كان فقد خرج من الغيب إلى الشهادة، وإن صار من وجه آخر غيباً بعد انقضاء أجله.

*

١. *تفسير العياشي* ١: ٣٦١ ـ ٣٦٢، الحديث: ٢٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٦٤؛ *تفسير الصافي* ٣: ٤٤.
٢. *معاني الأخبار*: ١٤٦، الحديث: ١.

[وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ
لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾
وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ
ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَايُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ
أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ مِن ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ
وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنجَانَا مِن هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾
قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
ٱلآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُم
بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ
يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا
يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ٱللهُ كَالَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَاطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾]

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾

التوفّي والإستيفاء: أخذ الحقّ تماماً وقوله تعالى: ﴿جَرَحْتُم﴾، الجرح الفعل والإكتساب، ومنه الجارحة بمعنى العضو، وكان الأصل فيه الجَرح ـ بالفتح ـ بمعنى ايراد الجُرح بالضم، وهذه الآية واللّتان بعدها جميعاً كأنها من تمام الآية السابقة، فإنّها تبين سعة العلم، وهذه تبيّن سعة التدبير والحكم، وجميع الآيات الأربع بمنزلة التقرير والتوضيح للآية التي قبلها، أعني قوله: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [١]، فنسبة هذه الأربع إلى تلك الآية كنسبة قوله

---

١. الأنعام (٦): ٥٧.

سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[١] إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً﴾[٢] بعينها فيما تقدم بيانه.

وبذلك يظهر وجه الإلتفات من الغيبة إلى الحضور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ﴾، والإلتفات من الغيبة إلى التكلّم في قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾.

وبيانه أنّهم لمّا لم يعبأوا بالآيات التي أتى بها النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ وسألوا آية كان معناه استعجال العذاب، فلمّا قال لهم النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ كما أمر به: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِن رَبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾ ثم قال: ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، سقط الخطاب معهم عندئذٍ وانقطع الكلام، ولذلك تصدى هو سبحانه لخطابهم شفاهاً لكن مع حفظ الغيبة لنفسه، على ما يقتضيه التحرّز عن انهتاك مقام المتكلم على ما مرّ في أول السورة، فأبقى نفسه على الغيبة أولاً وجعلهم مخاطبين فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ﴾ أي يأخذ نفوسكم بالليل، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ أي ما اكتسبتم بالنهار، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي في النهار، ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي الموت، لأنّ أجل هذه الحياة الموت دون القيامة، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي في القيامة، وقيل: بالموت، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي بالمجازاة بتوفيتكم أعمالكم.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾

والقهر هو الغلبة بإعمال الإقتدار، ولذا قيّد بما يدل على الإستعلاء، كما في قوله:

---

١. الأنعام (٦): ٣٨.

٢. الأنعام (٦): ٣٧.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾(١)، مع كونه متعدّياً، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ كأنّه عطف على مقدّر وهو مصاديق القهر، كأنّه قيل: وهو القاهر يفعل كذا وكذا، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾(٢) وقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣).

وإذا بلغ الكلام هذا المبلغ استأنس الخطاب وقرب المتكلم من المخاطب، فناسب أن يعرّف نفسه وقد كان غير معروف فقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، فأخذ لنفسه مقام التكلّم ليعرف المخاطب أنّ المتكلم هو هو، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ولا يقصّرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾، بدل التكلم إلى الغيبة ثانياً، لأنّ المرجع إليه هو الله لألوهيته وليأخذ الوصف، وهو قوله: ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾، وإذا كان سبحانه هو الله العالم بكل شيء القاهر فوق عباده فهو المولى الحق، فله كلّ حكم، ولذا عقّبه بقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾، وإذا كان له كلّ حكم وهو أسرع الحاسبين لا يشغله شأن عن شأن.

وعند هذا تمّ بيان قوله سبحانه: ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فالحكم فيما يستعجلون به من الآية: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يعلم متى يستحقون وكيف يستحقون نزول الآية والعذاب، فالآيات في الإلتفات من الغيبة إلى الخطاب في طريق، وأيضاً من الغيبة إلى التكلم، ثم إلى الغيبة في طريق، نظير قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ

---

١. يوسف (١٢): ٢١.
٢. الحديد (٥٧): ١٨.
٣. آل عمران (٣): ١٤٠.

أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[١] بعينها.

ثم إنّ في قوله: ﴿يَتَوَفَّيكُم﴾ دليلاً على أنّ النفوس غير الأبـدان أولاً، وأنّ النوم والموت متّحدان من حيث الحقيقة، وهو توفّي النفس ثانياً، وقد مرّ بعض الكلام في [الآية ٣٨ من هذه السورة وسيأتى بعض الكلام فى] قـوله تـعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[٢] الزّمر.

قوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِن ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾

المراد بالظلمة الشدّة استعارة.

وقوله: ﴿يُنَجِّيكُم مِنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾

الضمير إلى هذه وهي الشدة الخاصة المـدعوّ فـيها يـنجيكم مـنها ومـن كـلّ كرب سواها.

قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً﴾

في التعبير بالبعث إيماء إلى أنّه مهيّأ لا يحتاج إلى أزيد من البعث كايقاظ النائم.

وقوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾

من اللبس بمعنى الخلط، و ﴿شِيَعاً﴾، حال أو مفعول به ليلبسكم بتضمين معنى الجعل ونحوه، أي يخلطكم فيصيروا شيعاً مختلفة كلّ يتبع إماماً ويأتمر آمـراً

---

١. الأنعام (٦): ٣٨.

٢. الزمر (٣٩): ٤٢.

فيذيق بعضكم بأس بعض بالقتال وإراقة الدماء وإفساد الأمور.

وفي *تفسير القمّي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِن فَوْقِكُمْ﴾ قال: «هو الدخان والصيحة، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: وهو الخسف، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ وهو اختلاف في الدين وطعن بعضكم على بعض، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ هو أن يقتل بعضكم بعضاً، فكل هذا في أهل القبلة، [كذا] يقول الله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾»[١].

وفي *المجمع* ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ السلاطين الظلمة، ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ العبيد السوء، ومن لاخير فيه.

قال: وهو المروي عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، سوء الجوار، قال: وهو المروي، عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ[٢].

أقول: كل ذلك من قبيل عدِّ المصاديق وهي غير منحصرة.

قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾

في *تفسير القمّي*: عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسبّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، إنّ الله يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا﴾»[٣].

وفي *المعاني*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «قال علي بن الحسين

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢٠٤.
٢. *مجمع البيان* ٤: ٧٨.
٣. *تفسير القمي* ١: ٢٠٤.

عليه السلام: ليس لك أنْ تقعد مع من شئت، لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾ الآية، وليس لك أن تتكلّم بما شئت، لأن الله عزّوجلّ قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1]، ولأنّ رسول الله ـصلى الله عليه وآله ـ قال: رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو صمت فسلم، وليس لك أن تسمع ما شئت لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[2] [3].

أقول: فيه كما ترى استفادة حكم المعاشرة والمجالسة مع من دأبه الخوض، وإنْ لم يخض بالفعل.

وفي *تفسير العيّاشي* عن أبي جعفر ـعليه السلام ـ في الآية: «الكلام في الله والجدال في القرآن: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، قال: ومنه القُصّاص»[4].

أقول: وهو من الجري والتعميم.

وقوله سبحانه: ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾

من وضع الظاهر موضع المضمر للإشارة إلى أنّ الإنسان ما لم يكن ظالماً لم يخض في آيات الله تعالى.

---

١. الإسراء (١٧): ٣٦.

٢. الإسراء (١٧): ٣٦.

٣. لم نعثر عليه في المصدر؛ ولكن رواه الصدوق في *علل الشرائع* ٢: ٦٠٥ ـ ٦٠٦، الحديث: ٨٠؛ *بحار الأنوار* ٢: ١١٦.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ٣٦٢، الحديث: ٣١، *تفسير الصافي* ٣: ٤٩؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٦٩.

قوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ﴾

في *المجمع*: قال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: «لما أنزل ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾، قال المسلمون: كيف نصنع إن كان كلّما استهزء المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم، فلا ندخل إذاً المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ﴾، أمرهم بتذكيرهم [وتبصيرهم] ما استطاعوا»[1].

أقول: ظاهر الخبر أنّ قوله: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ عطف على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فيكون أمراً بتذكيرهم إياهم لعلّهم أي المشركين يتّقون الخوض في الآيات.

قوله سبحانه: ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾

الإبسال الإسلام للهلاك والعدل الفداء، لأنّه يعادل المفدّى.

قوله سبحانه: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى ٱلْهُدَى﴾

هذا تصوير للحيرة، فهو بين داعيين اشتبه عليه أمرهما، داع يستهويه ويستغويه، وداع يستهديه.

قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾

قد مرّ بعض الكلام في معنى الهداية وسيجيء.

---

١. *مجمع البيان* ٤: ٨٠.

قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا ٱلصَّلاَةَ﴾

لمّا كان الأمر في معنى القول عطف: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا﴾ على قوله: ﴿لِنُسْلِمَ﴾، والمعنى: وقيل لنا: أن أقيموا الصلاة واتّقوه، وكأنه حذف عن الذكر لمكان قوله سبحانه: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾، فإنّ القول لا يطلق على الأوامر التشريعيّة كما في موارده كقوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾(١).

وقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾(٢)، وقوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(٣).

قوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾

الحق هو الثابت غير الزائل عن محلّه، والقول إنّما يوصف بالحق عندنا إذا كان إخباراً عند كون المخبر به مطابقاً له لا يزول عن هذا الوصف، ويوصف بالحق إذا كان إنشاءً، كالأمر والنهي إذا كان غير ممكن المخالفة، أي لا يتخلّف عن المطلوب ولا يفارقه، وإذا أُخذ هذا القول على حقيقته لزم أن يكون الأمر في نفسه واجداً للمأمور به، أي هو هو، وهو ظاهر، وفي النهج: «قوله فعله»(٤).

أقول: وقد تبيّن بما بيّنا معناه.

فقوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ في مقام التعليل لقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ﴾ في مقام التعليل لقوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾، فإنّه إذا كان له الملك وحده فله التصرّف كيفما

---

١. ق (٥٠): ٢٩.
٢. القصص (٢٨): ٦٣؛ فصلت (٤١): ٢٥؛ الأحقاف (٤٦): ١٨.
٣. الأعراف (٧): ١٦٦.
٤. نهج *البلاغة* : ٣٩١، من وصيته له، للحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ.

يشاء، وهو يعلم بظاهر كل شيء وباطنه، فلا يملك شيء من نفسه ما يـخالف أمره، ولا يحتجب عنه شيء يتخّلف عن أمره، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ بمنزلة الفذلكة لما سبقه.

*

[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً قَالَ هٰذَا رَبِّى
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَآأُحِبُّ ٱلآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّا
أَفَلَ قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا
ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ
مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ
حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّى فِى ٱللهِ وَقَدْ
هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَاتُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّى شَيْئاً وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ
عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلٰئِكَ لَهُمُ
ٱلْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ
دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾]

قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾

لما انتهى الكلام إلى الهداية الإلهيّة وهي حق الهداية، عقّب القول بقصة هدايته إبراهيم وذكر المهديّين من ذريته، وهم الأئمة من الأنبياء.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله، قال صلّى الله عليه وآله: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات، حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية»(١).

وفي *تفسير البرهان*: روى عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: «إنّ آزر كان أبا إبراهيم في التربية»(٢).

أقول: ومن أجل ذلك ذكر أصحابنا أنّ آزر ما كان والد إبراهيم ـعليه السلام ـ بل جدّاً لأمّه، أو عمه عليه السلام، وعليه يحمل قوله سبحانه: ﴿لِأَبِيهِ آزَرَ﴾، فإنّ لفظ ألأب أعمّ إطلاقاً من الوالد كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾(٣)، فقد عدّ إبراهيم أباً ليعقوب وهو جدّه، وإسماعيل أباً له وهو عمّه، وليس الإطلاق من باب التغليب لعدم جواز تغليب الواحد على الاثنين، ونظير الأب والوالد في النسبة: الأم والوالدة.

وعن الزجّاج قال: إنّه ليس بين النسّابين اختلاف أنّ اسم أبي إبراهيم تارخ(٤).

وهو يؤيّد ذلك، على أنّ كلامه سبحانه يشهد بذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ

---

١. *أوائل المقالات*: ٤٦؛ ايمان أبي طالب: ٥٧؛ *تصحيح الاعتقاد*: ١٣٩.
٢. *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٨٧.
٣. البقرة (٢): ١٣٣.
٤. *القصص للجزائري*: ١٠٨؛ *بحار الأنوار* ١٣: ٤٧.

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً﴾[١]، وهذا في أول ما يكلّم أباه ويشاجره، ثم قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ .. إلى أن قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾ .. إلى أن قال: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾[٢] الآيات، وهذا في أواخر حاله مع قومه، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[٣] ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً﴾ .. إلى أن قال: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٤].

وهذا من دعاء إبراهيم في أواخر عهده، وقد دعا لوالديه بالمغفرة مع نفسه والمؤمنين فهما غير أبيه الذي تبرأ منه وهو ظاهر، وما ألطف قوله: ﴿وَلِوَالِدَىَّ﴾ ولم يقل: لأبويّ، فما وقع في بعض الروايات من طرقنا أنّ آزر كان والد إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا ينبغي أن يركن إليه والله أعلم.

قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾

سياق الآية أنّها معترضة أو كالمعترضة، ولذلك لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى

---

١. مريم (١٩): ٤٧.

٢. الشعراء (٢٦): ٦٩ ـ ٨٦.

٣. التوبة (٩): ١١٤.

٤. إبراهيم (١٤): ٣٥ ـ ٤١.

أنّ إراءة الملكوت له عليه السلام كان قد شرع من حين قوله لأبيه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً﴾، وقوله: ﴿مَلَكُوتَ﴾ مصدر بمعنى الملك، والتاء للمبالغة فهي بمعنى الملك العظيم وحيث إنه سبحانه وصف لنفسه ملكاً وملكوتاً وهو الملك العظيم، فلملكه سبحانه مرتبتان: مرتبة الملك، ومرتبة عظمته، وقد فسّر سبحانه ملكوته في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] فتفريع قوله: ﴿فَسُبْحَانَ﴾ على ما سبقه، يدلّ على أنّ ملكوت كل شيء إفاضة وجوده بقوله: ﴿كُنْ﴾.

ومن المعلوم أنّ قول: ﴿كُنْ﴾ كناية عن إيجاده خارجاً، أي وجود الشيء ونفسه، فلوجود كلّ شيء وجهان: وجه أمري ملكوتي هو كلمته سبحانه، ووجه خلقي إلى نفسه، وهو الذي عبّر عنه بقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾، ولكلٍّ من الوجهين حكمه الخاصّ بنفسه، كما مرّ بعض بيانه فيما مرّ، وسيأتي تمام بيانه في سورة الإسراء، إن شاء الله.

وحكم الملكوت أنّه قوله وكلامه سبحانه، والقول حيث إنّه وسيلة التفهيم لا ينفكّ العلم به عن العلم بالقائل على قدر ما يعطيه القول من التعريف، كما أنّ الملك من حيث إنّه ملك قائم بمالكه، لا ينفكّ العلم به عن العلم بمالكه فرؤية الملكوت لا ينفكّ عن اليقين بالله تعالى، وكذا لا ينفكّ عن العلم بحقيقة الشيء ذي الملكوت، فإنّ الحقّ من وجود كلّ شيء هو مقدار ما قام منه بالله سبحانه، وهو وجود المحتاج المدبّر وأمّا ما وراء ذلك وهو الذي نتوهّمه من استقلال وجود الأشياء وقدرتها وتدبيرها لأنفسها، فذلك شيء يزيّنه الوهم ويسوّله الشيطان.

---

١. يس (٣٦): ٨٢ ـ ٨٣.

فظهر بذلك أن مشاهدة الملكوت يعطي أولاً: اليقين بالله سبحانه، وثانياً: العلم بحقائق الأشياء، وهو أنّها إن أضيفت إلى الله سبحانه فعين الإحتياج والفقر، وإن أضيفت إلى أنفسها فمحض الهلاك والبطلان، أموات غير أحياء لا يشعرون أيّان يُبعثون.

وقد ظهر بذلك: أولاً: أنّ قوله: ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ إلى آخر الآيات الثلاثة يمكن أن [يكون] من جملة ما شاهده عليه السلام من الملكوت.

وثانياً: معنى ترتب قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ على قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ﴾، ترتب الغاية على ذي الغاية.

وفي تفسيري *العياشي والقمي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، قال: «كُشط له عن الأرض ومن عليها، وعن السماء ومن فيها، والملك الذي يحملها، والعرش ومن عليه»(١).

وفي *البصائر*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: كشط له عن الأرض حتى رآها ومن فيها [وعن السماء حتى رآها ومن فيها]، والملك الذي يحملها، والعرش ومن عليه(٢).

أقول: قد مرّ تفسير معناه.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة، وفي عدّة منها أنّ ذلك فعل برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وبأمير المؤمنين والأئمّة من ولده(٣).

وفي خبر احتجاج علي ـ عليه السلام ـ مع الجاثليق، قال ـ عليه السلام ـ:

---

١. تفسير*القمي* ١: ٢٠٥؛ تفسير *العياشي* ١: ٣٦٣، الحديث: ٣٣.

٢. *بصائر الدرجات*: ١٢٦ ـ ١٢٧، الحديث: ١.

٣. *بصائر الدرجات*: ١٢٦ ـ ١٢٨، الجزء الثاني، الباب العشرين، الحديث: ١ ـ ١١.

«وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه وأراه خليله عليه السلام فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾»[١] الخبر.

وسيأتي بتمامه في آية العرش من سورة الأعراف.

ثم أقول: وقد أفادت الآية معنى مقام اليقين، فاليقين بالله سبحانه لا يتمّ من دون إراءة الملكوت ولذلك وقع في بعض الروايات تفسير اليقين في قوله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٢] بالموت، فإنّ من أسباب انكشاف الغطاء عن الملكوت الموت، وقد عرفت أن المشهود حينئذٍ أمران:

أحدهما: قيام الأشياء بالله سبحانه على ما يليق بساحة قدسه تعالى، وكيفيّة حفظه لها بنفسه وبملائكته، وما يؤول إليه حال الأشياء في سبيلي السعادة والشقاء، من كتاب وحساب، وجنة ونار، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[٤].

والآخر: بطلان الأشياء وهلاكها في أنفسها، ولا ينفكّ الأمران وخاصة أولهما عن ثانيهما، إذ الغفلة عن بطلان الأشياء وفقرها، وتوهّم استغنائها والإستقلال لها لا يجتمع مع اليقين بالله سبحانه، والحال أنّ اليقين علم لا يقبل الشك والريب وخطرة الوهم.

---

١. *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٧٣؛ *الكافي* ١: ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ الحديث: ١؛ *إرشاد القلوب* ٢: ٣٠٩؛ *بحار الأنوار* ٥٥: ٩، الحديث: ٨.

٢. الحجر (١٥): ٩٩.

٣. التكاثر (١٠٢): ٥ ـ ٦.

٤. المطففين (٨٣): ١٨ ـ ٢١.

قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً﴾

وأنت إذا أخذت هذه الآيات الأربع وضممتها إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، ثم تدبّرتها وتأمّلت في أطرافها وجدتها كلام إنسان قوي البيان أشدق اللسان، غير أنّه لا يحسن الإنباء عن أسماء الكوكب والقمر والشمس كأنّه لم يراهنّ فيما يرى أولّ مرّة، فيشير إليها لا بأسمائهن حتى أنّه يقول للشمس: هذا ربّي، ولو علم منها ما يعلمه القوم لقال: هذه ربّي، أو إنّها ربّي، على أن السياق أيضاً يُعطي ذلك حيث قيل: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً﴾، ثم قيل: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً﴾، ثم قيل: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾، وظهور الجميع في أنّ الرؤية كانت أوّلها.

فالاعتبار بهذا كلّه وما يلازمها يقتضي أنّه ـ عليه السلام ـ كان إنساناً نشأ وتربّى في معزلٍ لا يطأه الناس، ومكان بعيد عن الإجتماعات، مستور عن الناس ومعتقداتهم وآرائهم ورسومهم، محجوب عن مشاهدة ما يشاهده كلّ من يعيش حرّاً على بسيط الأرض.

فنشأ وليس معه إلّا المعلومات البسيطة غير المشوبة، والفطريات غير المموّهة، ولم يلق من الناس إلّا بعض من يقوم بأصول حياته من غذاء وستر وتكليم، ثم إذا بلغ مبلغ الشبّان خرج والتحق بأبيه وأهله، ورأى جماعات الناس وتحولاتهم وتقلباتهم، وكلّ ذلك جديد عنده ينظر إلى كلّ ما يشاهده بنظر الفكر وعين الإعتبار، فإنّ الأُنس بالشيء والإعتياد لا يدع النفس تبحث عن أصله وحقيقته فحاجَّ أباه وأنكر على أبيه في أمر الأصنام.

ثم إنّه جنّ عليه الليل وكانت الليلة لا محالة من ليالى النصف الأخير من

الشهر القمري، فإنّه رأى القمر بازغاً بعدما رأى كوكباً مشرقاً، ولعلّه كانت الزهرة ثم أفل، فرأى القمر وهذا لا يتحقق إلّا في النصف الأخير من الشهر، فخالف الناس في أمر الكوكب والقمر.

ثم إنّه أصبح ورأى الشمس واعتبر أمرها خالف فيه القوم ممن يعبدها، والدليل على أن الناس كانوا يعبدونها.

قوله: **﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾**، وقوله: **﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ﴾** فأفاد أنّ هاهنا قوماً ضالين، وقوله: **﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾** فأفاد أنّ مخاطبيه مشركون في عبادتهما وهو عليه السلام في جميع هذه الأحوال لم يكن بصدد هداية القوم، بل في طريق اهتداء نفسه كما يشعر به كلامه الذي نقله الله عنه وإن كان المنقول عنه في غير هذه السورة على غير هذا الوجه، بل مجموعاً فيه توحيده في نفسه ودعوته لقومه.

وهذا الذي ذكرناه من الإعتبار يؤيّد ما في بعض الروايات: أنّ ملك عصره عليه السلام كان يفرّق بين النساء والرجال ويقتل الصبيان، فحملت أم إبراهيم ـ عليه السلام ـ به وكانت تتستّر بحملها، ثم لمّا وضعته إحتضنت به في غار سرّاً وخوفاً عليه، وكانت تتعاهده أحيانا وترضعه وتربّيه، حتى إذا كبر خرج عن الغار على حين غفلة من أمّه ولحق بأبيه وأهله، فكان من أمره ما كان.

وفي *العيون*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ أنّه سأله المأمون فقال له: يا بن رسول الله! أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فأخبرني عن قول الله: **﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَباً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾**، فقال الرضا ـ عليه السلام ـ: إنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقع إلى ثلاثة أصناف، صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي

أُخفي فيه، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ﴾ رأى الزهرة قال: ﴿هٰذَا رَبِّى﴾ على الإنكار والاستخبار، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ الكوكب قال: ﴿لَاأُحِبُّ ٱلآفِلِينَ﴾ لأنّ الأفول من صفات المحدَث لا من صفات القديم، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هٰذا رَبِّى﴾ على الإنكار والإستخبار، ﴿فَلَمّا أفَل قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ﴾، فلمّا أصبح ﴿رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذا أَكْبَرُ﴾ من الزهرة والقمر على الإنكار والإستخبار، لا على الإخبار والإقرار، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ﴾ للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: ﴿ يا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وإنّما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت لهم أنّ العبادة لا تحقّ لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس وإنّما تحقّ لخالقها وخالق السموات والأرض، وكان ما احتج به على قومه ممّا ألهمه الله وآتاه، كما قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ﴾ فقال المأمون: لله درّك يا بن رسول الله [١].

وفي *تفسيري العياشي والقمّي*: وسئل أبو عبدالله ـ عليه السلام ـ عن قول إبراهيم ﴿هٰذَا رَبِّى﴾ أشرك في قوله هذا ربي؟ قال: «لا، بل من قال هذا اليوم فهو مشرك، ولم يكن من إبراهيم شرك، وإنّما كان في طلب ربّه وهو من غيره شرك» [٢].

وفي *تفسير العياشي*: عن أحدهما عليه السلام: «إنّما كان طالباً لربّه ولم يبلغ

---

١. *عيون اخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ١٩٧ ـ ١٩٨، الحديث: ١؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٧١.

٢. *تفسير القمي* ١: ٢٠٧؛ *تفسير العياشي* ٢: ٣٦٥، الحديث: ٤١.

كفراً وإنّه من فكّر من الناس في مثل ذلك فإنّه بمنزلته»[١].

أقول: ولا منافاة بين الأخبار، فإنّه كان بالنسبة إلى قومه إنكاراً وإنّ ـ عليه السلام ـ كان في نفسه طلباً وبحثاً كالواحد منّا إذا أردنا تعليل شيء وضعنا ما وجدناه علة، ثم طلبنا تقاديره، فإن وافقها فهو وإلّا طرحناه وأخذنا نبحث عن غيره، وقد مرّ أنه ـ عليه السلام ـ في هذه الخطابات في مقام اهتداء نفسه، وسيأتي تمام الكلام في ذلك إن شاء الله.

قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَاأُحِبُّ ٱلآفِلِينَ﴾

لما في الأفول وهو الغروب من وسمة التغير والحدوث، فلا يلائم الربوبيّة وملك التدبير، وجمعه جمع أولى العقل تنزيهاً لمقام الربوبيّة عن عدم الشعور.

وفي الآية دلالة على أنّ الحبّ إمّا عين العبادة أو مقوّم لها لا تنفكّ، حيث لم يقل لا أعبد الآفلين أو ما يؤدي معناه، وقد مرّت الأخبار في ذلك وبيانها في ذيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[٢] من سورة المائدة، فارجع.

قوله ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغاً﴾

البزوغ: الطلوع.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِن لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾

كان عليه السلام ما يرى إلى ربّه طالباً له كما في الرواية، ثم شاهد خطأ قياسه

---

١. *تفسير العياشي* ١ : ٣٦٤، الحديث: ٣٨؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٨٢.

٢. سورة المائدة (٥): ١٠٥.

أوّلاً، وثانياً: تبيّن له أنّ النظر وحده لا يوصله إلى مطلوبه وغايته، بل بهداية من ربه، فقال: ﴿لَئِن لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ﴾، غير أنّ هذا أيضاً نوع نظر لا يوجب الإتّصال بربّه والإستهداء بهدايته،ولذلك أخطأ النظر الثالث منه ـعليه السلام ـ أيضاً حينما ﴿رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وتبيّن له عليه السلام خطأ نظره، تبيّن له أن الأمر لله جميعاً لا ينجيه من الضلال إلّا البراءة النذّامّة إليه والإستعاذة به، فقال عند ذلك: ﴿يَاقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ فأكد الكلام بـ: إنّ والجملة الإسمية وجاء بالمسند اسماً دالاً على الثبوت فهداه الله سبحانه من غير فصل ومهلة بقوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ثم قال: ﴿حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، الحنف: الميل، أي مائلاً إلى التوحيد ومنفصلاً عن الشرك.

قوله سبحانه: ﴿قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذَا أَكْبَرُ﴾

ولو لا أنّه عليه السلام وجده أكبر لم يقل هذا ربّي لمساواتها القمر، ومن هنا يعلم أنّه إنّما قال في القمر هذا ربّي بعد ما قال مثله في الزهرة وتبرأ منها لمكان الكبر الذي وجده في القمر، ويؤمي إليه قوله تعالى: ﴿هٰذَا أَكْبَرُ﴾، فإنّ الأكبر يقتضي كبيراً يقاس إليه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّى فِى ٱللهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾

هذا يؤيّد ما قدّمناه أنّ المقام لبيان اهتداء إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا هدايته للناس.

قوله: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾

كأنّهم خوّفوه في رفض آلهتهم، فأجاب: إنّي لَا أخافهنّ لعدم أثـر فـيها، ولو أصابني شيء من جهة الرفض فبمشيئة الله أصابني لا بمشيئتهن، وهو سبحانه يعلم بحالى وإنّي غير ظالم في توحيدي.

ثم أجاب أن لو كان الخوف من الشرك ممّا يجب، لكان يـجب عـليهم أن يخافوا من شركهم بالله سبحانه ولا حجة لهم في شركهم لا عليه ـ عليه السلام، لكونه ذا حجة.

قوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ﴾

لم يقل فأينا أحق بالأمن أخذاً بالنصفة ورجوعاً إلى حكومة العقل كـما قـال: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، كما هو الأنسب في أدب المناظرة والإحتجاج عند رجوع الخصمين إلى حكومة الحكم أن يحذف خصوصية كلّ منهما فيقال: فـريقان، فريق يقول كذا وآخر يدّعي كذا أيّهما على الحق؟ ثم أجاب فـقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، وعـند ذلك نسب إلى نفسه الإهتداء بعدما اعترف لربّه بالهداية.

وقد اشتملت الآيات في سوقها على طرف عال من أدب العـبودية ومـقام المراقبة لما يفيض من جانب الحق سبحانه إلى قلب العبد.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾

لبست عليه الأمر ألبسه من باب ضرب: أي خلطه فـاشتبه عـليه، والإلبـاس والتلبيس التخليط، ولو كانت الآية من تتمة كلام إبراهيم ـ عليه السلام ـ كما هو

ظاهر السياق [فمعناه] أنّ المشركين اختلط عليهم الإيمان بالشرك، فعلموا أنّ للعالم رباً يجب أن يعبد فاشتبه عليهم الأمر، فحسبوا أنّه أصنامهم أو الكوكب أو القمر أو الشمس بعينه، أو أنّه يجب أن يعبد من طريق أحد هذه من غير ركون إلى حجة وبرهان، بل على شك وأمّا هو ـ عليه السلام ـ فقد آمن بالله ولم يشرك بعبادة ربّه أحداً.

وفي *الكافي*، و*تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: «بشك»[1].

وفي *تفسير العياشي*: عن يعقوب بن ليث عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾، قال: «الضلال وما فوقه»[2].

أقول: وفي هذا المعنى روايات أُخر لكن ينبغي أن تفسر على ما قدّمناه من المعنى، لا بأن يكون المراد عدم تلويث الإيمان وخلطه بالفسق، فإنّ لفظ اللبس يأباه، وإن كان هو أيضاً بوجه آخر راجعاً إليه.

وفيه أيضاً: عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال: قلت له: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ الزنا منه؟ قال: «أعوذ بالله من أولئك، لا، ولكنه ذنب إذا تاب تاب الله عليه»، وقال: «مدمن الزنا والسرقة وشارب الخمر كعابد الوثن»[3].

أقول: والرواية تؤيّد ما ذكرناه من معنى الظلم، وكون الزنا ذنباً إذا تاب تاب الله عليه دون الشك، هو أنّ الزنا وأمثالها من معاصي الجوارح يمكن أن يغفر للإنسان وهو حامل وزره، وأمّا الشرك والشك ونحوهما فليسا من قبيل الأفعال

---

١. *الكافي* ٢: ٣٩٩، الحديث: ٤؛ *تفسير العياشي* ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٨.
٢. *تفسير العياشي* ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٧.
٣. *تفسير العياشي* ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٦.

الخارجة عن النفس المحمولة للإنسان، بل هما مع الإنسان في مرتبة نفسه، فإنّ المغفرة لا تنال الزنا، بل الإنسان صاحب الزنا، فيمكن أن ينجي الله صاحب الحمل من وبال حمله، وأمّا الشرك مثلاً فليس من قبيل الحمل، فهو نقص وقصور في عين النفس الإنسانية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(١)، وليس المراد أنّ توبة المشرك غير مقبولة دون غيره وهو ظاهر بل المراد ما أشرنا إليه، فما لم يخلص الإنسان نفسه لربّه لم يغفر له، ولا يجتمع الشرك مع الرجوع إلى الله، بخلاف فعل المعصية فإنه موجود في مرتبة الفعل دون النفس، ولذلك ذكر في ذيل الرواية وهو كالإستدراك، فقال: «مدمن الزنا والسرقة وشارب الخمر كعابد الوثن» الخبر، فإنّ الإدمان وهو الإدامة والإصرار يصاحب ملكة نفسانية لا يدع للتوبة حقيقة وصدقاً ونظيره معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ٱزْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾(٢) وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾(٣) وقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾(٤).

وفي *تفسير العياشي* أيضاً: عن أبي بصير عنه عليه السلام في الآية قال: «نعوذ بالله يا أبا بصير أن تكون ممن لبس إيمانه [بظلم]» ثم قال: «أولئك هم الخوارج وأصحابهم»(٥).

وفيه وفي *الكافي*: عن عبدالرحمن بن كثير عنه عليه السلام قال: «آمنوا بما

---

١. النساء (٤): ٤٨.
٢. النساء (٤): ١٣٧.
٣. النساء (٤): ١٧.
٤. آل عمران (٣): ١٣٥.
٥. *تفسير العياشي* ١: ٣٦٧، الحديث: ٥٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٩٠، الحديث: ١١.

جاء به محمد من الولاية»[1]، الخبر.

أقول: والروايتان من باب بيان المصداق، وهما مع ذلك تؤيّدان ما قدمناه من المعنى.

قوله: ﴿أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

مقتضى المقام أنّ قوله: ﴿أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ لقصر التعيين، فاللام في الأمن للجنس، وإذا أخذ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ على حقيقته من دون مسامحة كما هو الجري بكلامه سبحانه، اتّضح كون اللام للجنس حقيقة لا إدعاءاً، فإنّ من آمن بالله من غير شك تمكنت في قلبه المعرفة بالله والعلم بمقام الله، وعلم أنّ كلّ شيء لله ملكاً طلقاً، فلم يبق شيء لاستقلال شيء بالتأثير عنده وقْع ووقر، فهو في أمن من كل شيء غير الله، إذ لا يملك شيء نفعاً يخاف فوته، أو ضراً يخاف وقوعه، وهو في أمن من جانب ربّه، إذ هو وليّه في كلّ ما تقوم به نفسه، غير أنّ الأمر كلّه لله، ليس له من الأمر شيء، فله الأمن مطلقاً وقد مرّ نظير الكلام في سورة [يونس] في ذيل قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾

والدرجات على ما ينطبق على المقام التذكّر والإهتداء والأمن واليقين، فالتذكر يفسّره مورده وهو الإنتقال من المقدمات الحقة العقليّة إلى المعارف الحقّة وهو

---

١. تفسير *العياشي* ١: ٣٦٦، الحديث: ٤٩؛ *الكافي* ١: ٤١٣، الحديث: ٣.

٢. يونس (١٠): ٦٢.

العلم النافع، والاهتداء والأمن سيفسّرهما قوله سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ﴾[١]، واليقين يفسّره بحسب لازمه الآية التي في مورده، ومن الدرجات على ما تشتمل عليه الآيات اللاحقة الإحسان والصلاح والإهتداء والإجتباء، وسيجيء تفسير الإحسان إن شاء الله.

وقد تقدم تفسير الباقي في بعض الآيات المشتملة على ألفاظها، ويمكن أن يكون من الدرجات مقام إيتاء الكتاب والحكم والنبوّة.

*

١. الأنعام (٦): ١٢٥.

[وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ
آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذٰلِكَ هُدَى ٱللهِ يَهْدِى بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا
لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾

الظاهر أنّ الضمير راجع إلى إبراهيم دون نوح ـ عليهما السلام ـ وإن كان أقرب لفظاً؛ لأن التعداد مقصور على ذرية إبراهيم ولم يذكر أحد من ذرية نوح من غير نسل إبراهيم كهود وصالح.

قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾

في *الكافي*: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال: «قال أبو جعفر يا أبا الجارود! ما يقولون لكم في الحسن والحسين»؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما إبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «فأشيء إحتججتم عليهم»؟ قلت: احتججنا عليهم بقول الله عزّ وجلّ في عيسى بن مريم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فجعل عيسى بن مريم من ذرية نوح ـ عليه السلام.

قال عليه السلام: «فأي شيء قالوا لكم»؟

قلت: [قالوا:] قد يكون ولد الإبنة من الولد ولا يكون من الصلب.

قال: «فأي شيء إحتججتم عليهم»؟

قلت: احتججنا عليهم بقوله تعالى لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(١).

ثم قال: «أي شيء قالوا»؟

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول أبنائنا.

قال: فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: «لأعطينّكما من كتاب الله عزّ وجلّ، أنّهما من صلب رسول الله لا يردّهما إلّا كافر»

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟

قال عليه السلام: «من حيث قال الله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

---

١. آل عمران (٣): ٦١.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾، إلى أن إنتهىٰ إلى قوله: **﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾**[١]، يا أبا الجارود! هل كان يحلّ لرسول الله نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا: نعم، كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا، فإنهما إبناه لصلبه»[٢].

أقول: وروى مثله *القمّي* في *تفسيره* إلّا أنّ فيه: فجعل عيسى من ذرية إبراهيم[٣]، والأخبار في هذا المعنى كثيرة[٤].

قوله: **﴿ذٰلِكَ هُدَى اللهِ﴾**

فهو كمال الهداية ومحضها لا يشوبها ولا يقارنها ضلال حتى تتخلف يوماً أو يختلف كما يشعر به قوله: **﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾**، ومع ذلك فأمر الهداية ليس بإجباري حتى يسقط اختيار هؤلاء المهديين، ولا لهم كرامة جزافية عليه سبحانه وإن فعلوا ما فعلوا، بل الأمر يدور مدار التوحيد والعبودية كلّ يدل عليه، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، ولقد أشبعنا القول في معنى هذه الهداية، وهي الإهتداء بهداية الله سبحانه في ذيل قوله: **﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾**[٥]، من سورة البقرة.

قوله سبحانه: **﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾**

ليس الكلام مسوقاً لبيان الإستثناء كقول القائل: إن لم تعنّي فقد أعانني فلان،

---

١. النساء (٤): ٢٣.
٢. *الكافي* ٨: ٣١٧ ـ ٣١٨، الحديث: ٥٠١.
٣. تفسير *القمي* ١: ٢٠٩.
٤. *البرهان في تفسير القرآن* ٣: ٥٩٣ ـ ٥٩٦؛ *تفسير الصافي* ٣: ٦٣.
٥. البقرة (٢): ١٢٤.

وإن لم تصغ إلى حديثي فقد سمعه آخرون، يعني لقد كفيت المؤونة أو لقد استوفيت الحظ وبلغت الغرض، فهذا غير جائز فيه تعالى لبراءة ساحته عن كل حاجة وعدم مغلوبيته فيما يريد، بل تسلية منه تعالى لرسوله، إنّه إن يكفر بها هؤلا الكفّار من أهل مكة وغيرهم ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾، وعلى هذا يجب أن يكون في كلّ عصر من هو موكلّ عليها مؤمن بها غير كافرٍ ألبتّة، ولازمه أن الأرض لا تخلو من معصوم.

ومن هنا يظهر أن لا معنى لقول من يقول: إنّ المراد بهم أصحاب النبي وكلّ من آمن به، وفيه: أنّ فيهم منافقون وأصحاب الردّة، وكذا ما قيل: إنّهم كلّ مؤمن من بني آدم، وكذا ما قيل: إنّهم الأنصار، وكذا ما قيل: إنّهم الفرس على أنّ كلامه في الإيمان غير المختلط بالشرك، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾(١)، وكذا ما قيل: إن المراد بهم الملائكة وكذا ما قيل: إنّهم الأنبياء المذكورون في الآيات السابقة، وليت شعري أيّ معنى لتسلية رسول الله: فإن كفر بها قومك وكذّبوا دعوتك فالملائكة يؤمنون بها أو الأنبياء الماضون قد آمنوا بها، فيتسلّى بذلك رسول الله ويذهب الحزن عن قلبه، وما وجه التعبير بقوله: هؤلاء وترك لفظ القوم، كما في أمثال هذه الموارد؟

فإن قلت: يدل على أنّهم هم الأنبياء وصلُ قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ﴾ بما قبله: وقوله تعالى بعده: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهِ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ كما في الآية.

قلت: لا دلالة فيه على ذلك، أمّا الآية الأُولي: فدلالتها مبنية على أن يكون المراد بالتوكيل الحمل، وليس كذلك البتّة، بل هو التحفّظ، كما سيجيء، وأمّا الثانية: فإنّما تتمّ دلالتها لو كان رسول الله ـ صلّى الله عليه ـ وآله مأموراً

---

١. يوسف (١٢): ١٠٦.

بالاقتداء بهم لا بهداهم، وليس كذلك كما سيجيء.

وفي *تفسير العياشي*: عن ابن سنان، عن سليمان بن هارون، قال: «قال الله: لو أنّ أهل السماء والأرض اجتمعوا على أن يحوّلوا هذا الأمر عن موضعه الذي وضعه الله فيه ما استطاعوا، ولو أنّ الناس كفروا جميعاً حتى لا يبقى أحد لجاء لهذا الأمر بأهل يكونون هم أهله، ثم قال: أما تسمع الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ﴾[١]. وقال في آية أخرى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾.

ثم قال: أما إنّ أهل هذه الآية هم أهل تلك الآية[٢].

وفي *الكافي*: عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ: «قال الله عزّ وجل: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ إلى قوله: ﴿بِكَافِرِينَ﴾ فإنّه وكّل بالفضل من أهل بيته والإخوان والذريّة، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أمّتك ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا﴾ أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلتك به فلا يكفرون به أبداً، ولا أضيع الإيمان الذي أرسلتك به من أهل بيتك من بعدك، علماء أمتك وولاة أمري بعدك، وأهل استنباط العلم الذي ليس فيه كذب ولا إثم ولا وزر ولا بطر ولا رياء»[٣].

أقول: ورواه العياشي في *تفسيره*[٤].

قوله عليه السلام: «بالفضل»، الظاهر أن المراد به كرامة الهداية التي فيها

---

١. المائدة (٥): ٥٤.

٢. تفسير *العيّاشي* ١: ٣٦٩، الحديث: ٥٦.

٣. *الكافي* ٨: ١١٩، الحديث: ٩٢.

٤. تفسير *العيّاشي* ١: ٣٦٩، الحديث: ٥٧.

التوكيل سمّاه فضلاً، كما سمّاه الله سبحانه فضلاً في قوله: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾، وقوله: «من أهل بيتك من بعدك مبتدأ خبره قوله: علماء أمّتك»، وإنّما، استفاده عليه السلام من رجوع الضمير إلى ﴿الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، فإنّ المراد بالتوكيل ليس هو الحمل بدل قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰؤُلَاءِ﴾ فإنّ الكفار ليس لهم أن يحملوا النبوّة بمعنى أن يتنبؤا باختيارهم، بل المراد التحفّظ بها علماً وعملاً وفيها كلّ علم نافع وعمل صالح، وعند ذلك يظهر وجوب كون هؤلاء القوم علماء الأمة وولاة الأمر بعد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلى آخر ما عدّه عليه السلام من فضائلهم.

قوله: ﴿أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾

الهاء للسكت، أثبت في الكتابة لثبوتها في المصحف، كما قيل، وقوله: ﴿أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ﴾، فذلكة لشرح هدايتهم وتفصيلها، وتقديم المتعلق على الفعل يفيد الحصر، وقد أمر ـ صلّى الله عليه وآله ـ بالإقتداء بهدايتهم لا بهم؛ لعدم كونه مفضولاً بالنسبة إليهم والمتبوع أفضل من التابع لا محالة.

فإن قلت: الإقتداء بهدايتهم اقتداء بهم

قلت: هو كذلك لو كانت الإضافة في قوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ﴾ من إضافة المصدر إلى الفاعل، وليس كذلك بشاهد جميع الآيات وخاصة قوله: ﴿أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهِ﴾ وهو متصل به، بل الهدى هدى الله، وإنّما أضيف إليهم؛ لتكون إشعاراً بأنّ الدين واحد، وهو عند الله الإسلام، فما عرّفه الله لأنبيائه من المعارف الحقّة واحد صراطاً مستقيماً، وما شرعه لهم أيضاً كذلك، ولو تطرّق إلى شيء منه نسخ فإنّما هو تكميل لا تغيير.

[وَمَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَاأَنْزَلَ ٱللهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ قُلْ
مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ
قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَالَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ
قُلِ ٱللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ
مُصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ
سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَاأَنْزَلَ ٱللهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ
وَٱلْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
ٱلْهُوْنِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَا
خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ
فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَاكُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ ٱللهَ
فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَناً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ٱنظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَاإِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾]

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ﴾

القدر: مصدر بمعنى التقدير، فهو في هذا المورد بقرينة قوله: ﴿مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ﴾ بمعنى الوصف، أي ما وصفوه حق وصفه فله سبحانه وصف،

على أنّ المصدر إذا أضيف دلّ على تحقّق معناه، كما ذكره الجرجاني في دلائل الإعجاز، وإذ أضيف إليه ﴿حَقَّ﴾ دلّ على أنّهم وصفوه ولكن لا وصفاً يحقّ له ويليق بساحة عظمته، فله سبحانه وصف قصر فيه القاصرون، إذ لم يتأدّبوا بأدب الله، ولم ينساقوا حسب ما ساقهم كتاب الله كما قال في آخر هذه الآيات: ﴿الْيَوْمَ تجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقال: ﴿وَلِلهِ ٱلأَسْماءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ﴾[1]، وهذا مع قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ ٱللهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾[3]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللهُ أَحَدٌ﴾[4]، وقوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْـمُتَعَالِ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنّه سبحانه أكبر من أن يوصف ببيان أو يقدّر بلسان، يدلّ على أنّه سبحانه أرفع من أن يحدّ بتحديد وصف أو يقدر بتقدير بيان، غير أنّه سبحانه جعل لنفسه نعوتاً وأسماءً إرفاقاً بعباده وتسهيلاً للأمر اليهم، فأمرهم أن يدعوه بتلك الأسماء والصفات، ويعبروا عنه بها لتكون وسيلة إلى إرتقائهم إلى ما يسقط دونه البيان، وذريعة إلى بلوغهم ما لا يبلغه عقل ولا وهم ولا حسّ، وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

وفي *تفسير القمي*: في الآية قال ـ عليه السلام ـ: «لم يبلغوا من عظمة الله أن يصفوه بصفاته»[6].

---

١. الاعراف (٧): ١٨٠.
٢. الصافات (٣٧): ١٥٩ ـ ١٦٠.
٣. الاسراء (١٧): ١١١.
٤. الإخلاص (١١٢): ١.
٥. الرعد (١٣): ٩.
٦. تفسير *القمّي* ١: ٢١٠.

وفي *التوحيد*: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في خطبة له قال ـ عليه السلام ـ «لمّا شبّهه العادلون بالخلق المبعّض المحدود في صفاته، ذي الأقطار والنواحي المختلفة في طبقاته، وكان عزّ وجلّ الموجود لنفسه لا بأداته، إنتفى أن يكون قدّروه حق قدره، فقال تنزيهاً بنفسه عن مشاركة الأنداد، وارتفاعاً عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفرة العباد، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ..﴾، فما دلّك القرآن عليه من صفته فاتبعه ليتوصل[١] بينك وبين معرفته فأتمّ به واستضيء بنور هدايته، فإنّها نعمة وحكمة أوتيتها فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما دلّك الشيطان عليه مما ليس في القرآن عليك فرضه ولا في سنة الرسول وأئمّة الهدى أثره فكِل علمه إلى الله عزّ وجلّ، فإنّ ذلك منتهىٰ حق الله عليك»[٢].

وفي *الكافي*: عن الفضيل قال: سمعت أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ يقول: «إنّ الله لا يوصف وكيف يوصف؟ وقد قال في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، فلا يوصف بقدر إلّا كان أعظم من ذلك»[٣].

أقول: ولعلّ الأخذ في الرواية باطلاق الجملة مع قطع النظر عن ذيلها ونظائره كثيرة في روايات أهل البيت، وعلى هذا فنفي الوصف والقدر والإستشهاد بالآية، مع أن الآية تثبت له تعالى قدراً كما عرفت مبني على إرجاع الآية إلى ما يعطيه قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٤]، وهو كونه موصوفاً بنفي الوصف، فإنّه تعالى أكبر وأعظم من أن يُوصف، ونفس هذا وصف، كما أنّ قوله ـ عليه السلام ـ:

---

١. في المصدر: «ليوصل» وفي نسخة: «لتوسّل»

٢. *التوحيد* للصدوق: ٥٥.

٣. *الكافي* ١: ١٠٣، الحديث: ١١.

٤. الصافات (٣٧): ١٥٩.

فلا يوصف بقدر ـ إلى آخره ـ توصيف في عين نفي التوصيف، فافهم ذلك.

قوله: ﴿مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أنزَلَ﴾

ظاهر كون السورة مكيّة أن يكون القائل: ﴿مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾ بعض مشركي مكّة، لكنّ سياق الجواب بقوله: ﴿قُلْ مَنْ أنزَلَ ٱلْكِتَابَ﴾ لا يلائمه فإنّ الأوصاف المذكورة إنّما هي لليهود دون مشركي مكة، فلعلّ الآية مدنية كما أن قوله تعالى بعدها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ يحكم بكونها مدنية لا مكيّة.

قوله: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾

في *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: كانوا يكتبونه في القراطيس ثم يبدون ما شاءوا ويخفون ما شاؤا وقال: كل كتاب أُنزل فهو عند أهل العلم[١].

قوله: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾

المراد به مكّة.

في *تفسير العياشي*: عن علي بن أسباط، قال: قلت لأبي جعفر ـ عليه السلام ـ: لم سُمّي النبيّ الأمي.؟ قال: «نُسب إلى مكة وذلك من قول الله: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، وأم القرى مكّة[٢] ومن حولها الطائف».

أقول: كون إنذار مكة والطائف غاية إنزال القرآن، لا ينافي تمام الغاية إنذار كل من بلغ من أهل الشرق والغرب فإنّها غاية ذات مراتب، وعلى ذلك جرت الدعوة النبويّة، فقدّمت العرب ثمّ الذين يلونهم وإليه يُشعر قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ

---

١. *تفسير العياشي* ١: ٣٦٩، الحديث: ٥٩.

٢. *تفسير العياشي* ٢: ٣١، الحديث: ٨٦.

عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ❊ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[١] وقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[٢]، إلى غير ذلك.

قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾

في *تفسير العياشي*: نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان [بن عفان] استعمله على مصر، وهو ممّن كان رسول الله يوم فتح مكة هدر دمه وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣]، كتب: إنّ الله عليم حكيم[٤]، وكان ابن أبي سرح يقول للمنافقين إنّي لأقول من نفسي[٥] مثل ما يجيء به فما يغيّر عليّ فأنزل الله تبارك وتعالى فيه الذي أنزل[٦].

وفي *تفسير القمّي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: إنّ عبدالله بن سعد ابن أبي سرح أخا عثمان [بن عفان] من الرضاعة، وقدم المدينة وأسلم، وكان له خط حسن، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله دعاه فكتب ما يمليه [عليه] رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله، [من الوحى] وكان إذا قال له رسول الله: سميع بصير يكتب سميع عليم، وإذا قال: والله بما تعملون خبير،

---

١. الشعراء (٢٦): ١٩٨ ـ ١٩٩.

٢. فصلت (٤١): ٤٤.

٣. البقرة (٢): ٢٠٩.

٤. في *الكافي* زيادة: فيقول له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: دعها فانّ الله عليم حكيم، *الكافي* ٨: ١٧٢، الحديث: ٢٤٢.

٥. هذا في *الكافي*، وفي المصدر: «لأقول الشيء»

٦. تفسير *العياشي* ١: ٣٧٠ ـ ٣٧١، الحديث: ٦٠.

يكتب بصير، ويفرّق بين التاء والياء، وكان رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ يقول: هو واحد[۱]، فارتد كافراً ورجع إلى مكة وقال لقريش: والله ما يدري محمد ما يقول، أنا أقول مثل ما يقول فلا ينكر عليَّ ذلك، فأنا إذاً أُنزل مثل ما يُنزل[۲]، فأنزل الله على نبيّه في ذلك: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَاأَنْزَلَ ٱللَّهُ**﴾، فلمّا فتح رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مكّة أمر بقتله فجاء به عثمان قد أخذ بيده ورسول الله في المسجد، فقال يا رسول الله: إعف عنه فسكت رسول الله، ثم أعاد فسكت، ثم أعاد فقال: هو لك، فلمّا مرّ قال رسول الله لأصحابه: ألم أقل من راه فليقتله؟ فقال رجل: كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليَّ فأقتله، فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله: إنّ الأنبياء لا يقتلون بالإشارة، فكان من الطلقاء[۳].

أقول: وعلى ما في الرواية فهو المقصود من جميع الجمل الثلاث، فكان تغييره القرآن من افتراء الكذب على الله، وقوله: أنا أقول مثل ما يقول دعوى للوحي، وقوله: فأنا إذاً أُنزل مثل ما يُنزل دعوى للقدرة على إنزال مثل القرآن، وهذا فوق الذي تقدّمه من الظلم، فإنّ الأولين طعن في رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ والثالث استعلاء على الله، ولعلّه لذلك غيّر السياق فقيل: ﴿**وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَاأَنْزَلَ ٱللَّهُ**﴾ ولم يقل أو قال.

وفي *تفسير الكشاف*: في ذيل قوله تعالى: ﴿**وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا**

---

١. اي من جهة رسم الخطّ.

٢. في المصدر: «أنزل مثل ما أنزل الله»

٣. تفسير القمّي ١: ٢١٠ ـ ٢١١.

أَنْزَلَ ٱللَّهُ﴾: هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي، كان يكتب لرسول الله صلّىٰ عليه وآله، فكان إذا أملى عليه: سميعاً عليماً كتب هو عليماً حكيماً، وإذا قال: عليماً حكيماً، كتب هو غفوراً رحيماً، فلمّا نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْأِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ..﴾[1]، عجب عبدالله من تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين فقال ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ: اكتبها فكذلك نزلت، فشك عبدالله وقال: لئن كان محمّد صادقاً لقد أوحي إليّ مثل ما أوحي إليه ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال، فارتدّ عن الإسلام ولحق بمكة، ثم رجع مسلماً قبل فتح مكّة[2].

أقول: هو انطباق جميع الجمل الثلاث عليه، ثم الوعيد الذي يتلوها وهو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ﴾، فأخذ فيه الظلم، وظاهر السياق كون اللام للعهد، واختتام آخره بقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، كل ذلك يوجب أن يكون ممّن ختم له بالشقاء، ويؤيده ما مرّ من روايتي القمّي والعيّاشي رحمهما الله.

قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ﴾

غمرات الموت شدائده من غمره الماء إذا علاه وغشيه، والغمرة الماء الكثير.

قوله: ﴿بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾

أي يطالبون أنفسهم كما يبسط المتقاضي المتسلّط يده لغريمه يستوفيه دينه، أو كناية عن شدّة الزجر والعذاب وعدم الكفّ عن أنواع الأذى.

---

١. المؤمنون (٢٣): ١٢.

٢. تفسير *الكشاف* ٢: ٤٥.

وقوله: ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾

الهُون: شدّة الهوان والمذلّة.

وفي *تفسير القمي*: في قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ قال ـ عليه السلام ـ: «العطش»[١]. ورواه العياشي في *تفسيره*: عن الصادق ـ عليه السلام[٢] ـ.

وفي *تفسير القمي*: عنه ـ عليه السلام ـ: «إنّ الآية نزلت في أعداء آل محمد ـ عليهم السلام ـ»[٣].

أقول: وهو من الجري.

قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾

وصف سبحانه يوم الموت بنظير ما وصف به يوم القيامة فيما مرّ من زوال المعين وضلال ما يدعونه شركاء لله سبحانه ولذا ورد عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «من مات فقد قامت قيامته»[٤] الخبر.

وقوله: ﴿خَوَّلْنَاكُمْ﴾

التخويل: الإعطاء والتفضل وهو دون التمليك، فإنّ التمليك يوجب انفصال المال عن المالك الأوّل، وليس يصح ذلك فيما يخوّله الله عباده ويملّكهم؛ فإنّه تعالى المالك لما يملكهم قبل التمليك وبعده، ولذلك فالقرآن لا يقرّ لغيره سبحانه

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢١١.

٢. *تفسير العياشي* ١: ٣٧٠، الحديث: ٦٣.

٣. *تفسير القمي* ١: ٢١١.

٤. *بحار الأنوار* ٥٨: ٧؛ ٧: ٦٥؛ *الحدائق الناضرة* ٧: ٤٤٣؛ ورواه أيضاً عن الرسول ـ صلّى الله عليه وآله ـ في *كنز العمال* ١٥: ٥٤٨، الحديث: ٤٢١٢٣؛ *كشف الخفاء* ٢: ٢٧٩.

ملكاً، بل يعبّر عنه بنحو التخويل والإستخلاف، فالتخويل تمليك ظاهري.

وقوله: ﴿فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾
الظرف لغو متعلّق بما بعده.

قوله: ﴿إِنَّ ٱللهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾
معنى الآية ظاهر
فإن قلت: ما وجه التعبير بالفعل في قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، وبالإسم في قوله: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾؟
قلت: قيل إنّ قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الميّت﴾ عطف على قوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾، وقوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالتفسير لفلق الحبّ، كأنه قيل: إنّ الله فالق الحبّ والنوى ومخرج الميّت من الحيّ، ومعنى فلق الحبّ إخراج الحي من الميت.
في *الكافي*: عن الصادق -عليه السلام- في رواية: «فالحبّ طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبّته، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير، وإنّما سمي النوى من أجل أنّه نأى [عن كل خير][١] وتباعد منه، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ويُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ من ٱلْحَيِّ﴾[٢]، فالحي المؤمن الذي تخرج [طينته] من طينة الكافر، والميت الذي تخرج من الحي؛ هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن، فالحي المؤمن، والميت الكافر» الخبر[٣].

١. الاصل: «من الحق»
٢. يونس (١٠): ٣١.
٣. *الكافي* ٢: ٥، الحديث: ٧.

أقول: وروي ما في معناه العياشي والقمي: في تفسيرهما، وجميعها من قبيل الجري بحسب الباطن[١].

وفي *تفسير القمّي*: وقال أيضاً: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾، [الحبّ أن] يفلق العلم من الأئمّة، ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ ما بعد منه[٢].

أقول: وهو من الجري كسابقه.

وقوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾

أي تصرفون عنه إلى غيره، وأصل الإفك القرية.

قوله سبحانه: ﴿فَالِقُ ٱلإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ سَكَناً﴾

وقرء: وجاعل الليل، وقرء: خلق الإصباح وجعل اللّيل، والإصباح: مصدر سمّي به الصبح، والظاهر أنّ الإضافة بمعنى «في»، مثل: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[٣]، أي شاقّ محلّ الصبح، أو ظلمة الأفق وقت الإصباح لإطلاع الفجر، والسَّكَن: ما يسكن فيه، والليل سكن بالطبع تسكن فيه الموجودات المتحركة.

وفي *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «تزوّجوا بالليل فإن الله جعله سكناً ولا تطلبوا الحوائج بالليل فإنه مظلم»[٤]، وفيه عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها بالنهار، فإنّ الله جعل الحياء في العينين، وإذا

---

١. تفسير *العياشي* ١: ٣٧٠، الحديث: ٦٤ و٦٥؛ تفسير *القمي* ١: ٢١١.
٢. تفسير *القمي* ١: ٢١١.
٣. سبأ (٣٤): ٣٣.
٤. تفسير *العياشي* ١: ٣٧١، الحديث: ٦٨.

تزوّجتم فتزوجوا بالليل، فإنّ الله ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾[١]، وفيه: عن الرضا ـعليه السلام ـ: «إنّ الله جعل الليل سكناً وجعل النساء سكناً، ومن السنة التزويج بالليل وإطعام الطعام»[٢].

وفي *نهج البلاغة*: قال ـ عليه السلام ـ: «وَلَا تَسِرْ أوّل الليل، فإنّ الله جعله سكناً وقدّره مُقاماً لا ظَعْناً فَأَرِحْ فيه بدنك ورَوِّح ظَهرك»[٣].

وفي *الكافي*: كان علي بن الحسين ـعليه السلام ـ يأمر غلمانه أن: لا يذبحوا حتى يطلع الفجر، ويقول: «إن الله جعل الليل سكناً لكلّ شيء»[٤].

أقول: وجميع ما مرّ من الأحكام كماترى مستفادة من لفظ: السكن، ومن السكن الأنس، ولذا كانت النساء سكناً.

قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا﴾

في *تفسير علي بن إبراهيم*: قال: قال ـعليه السلام ـ: «النجوم آل محمد»[٥].

أقول: وسيأتي إن شاء الله نظير الرواية في سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٦].

قوله: ﴿مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾

---

١. تفسير *العياشي* ١: ٣٧٠، الحديث: ٦٦، *وسائل الشيعة* ١٧: ٨٠، الحديث: ٢.
٢. تفسير *العياشي* ١: ٣٧١، الحديث: ٦٧.
٣. *نهج البلاغة*: ٣٧٢، من وصيّة له ـ عليه السلام ـ وصى بها معقل، قسم الكتب، الرسالة: ١٢.
٤. *الكافي* ٦: ٢٣٦، الحديث: ٢ و٣.
٥. تفسير *القمي* ١: ٢١١.
٦. النحل (١٦): ١٦.

في *تفسير العياشي*: عن أبي بصير عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال: قلت له: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾، قال: «ما يقول أهل بلدك الذي أنت فيه»، قال: قلت: يقولون مستقر في الرحم، ومستودع في الصلب فقال: «كذبوا، المستقرّ، ما استقرّ الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودَع الذي يستودع الإيمان زماناً ثم يُسْلَبُهُ، وكان الزبير منهم»[١].

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة، وبنائها على كون المستقر والمستودع إسمَي مكان، والمعنى: فمنكم من هو محل استقرار الإيمان، ومنكم من هو محل استيداعه، وأما كونهما مصدرين أو كون المستقر بكسر القاف فبعيد من اللفظ، يحتاج إلى تقدير أو تقريب، ولذا كان تفسيرهما بالمستقر في الرحم والمستودع في الصلب بعيداً من اللفظ وإن فسر بذلك بعض المفسرين لاحتياجه إلى تقدير، أي ذو استقرار وذو استيداع، على أنّه كما أنّ الصلب مستودع بالنسبة إلى الرحم، كذلك الرحم ليس مستقراً بالنسبة إلى الأرض وهكذا.

ولذلك احتمل بعض المفسرين أن يكون المعنى: فمستقر فوق الأرض ومستودع تحتها فزاد اشكالاً، وهو أنّ الأمر فيها فوق الأرض وما تحتها على خلاف ما ذكره، مع أن ما مرّ من الإشكال على حاله.

وفي *الكافي* و*تفسير العياشي*: عن محمد بن مسلم عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ قال: سمعته يقول: «إنّ الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له، وخلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك، فاستودع بعضهم الإيمان، فإن شاء أن يُتِمَّه لهم أتمّه، وإن شاء أن يسلبهم إيّاه سلبهم»[٢].

---

١. *تفسير العياشي* ١: ٣٧١، الحديث: ٦٩؛ *بحار الأنوار* ٦٩: ٢٢٢، الحديث: ٨.
٢. *الكافي* ٢: ٤١٧، الحديث: ١؛ *تفسير العياشي* ١: ٣٧٣، الحديث: ٧٦.

أقول: والرواية غير مفسرة للآية لجعلها الأقسام ثلاثة: كفر غير زائل، وايمان غير زائل، وما بين ذلك وهو أيضاً بوجه قسمان: كفر غير ثابت، وإيمان غير ثابت، وسياق الآية وأدب الكلام يأبى عن إسناد الكفر المستقر أو الكفر المستودع إليه تعإلى، ولذا غيّر عليه السلام السياق ثانياً فقال: «فاستودع بعضهم الإيمان»، إنتهىٰ فالرواية ناظرة إلى آيات الطينة والضلال والهداية فتدبّر.

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ﴾

المتراكب: ما ركب بعضه فوق بعض، والطلع من النخل بمنزلة الزهر، والقنوان: جمع قنو بالكسر فالسكون كصنوان وصنو: العنقود، والينع: البلوغ، وختم هذه الآية بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ والتي سبقتها بقوله: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ والسابقة عليها بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لتفاوت الآيات في القرب من الفهم.

فانّ نزول المطر وتربيته لأنواع النباتات والأشجار أبسط دلالة وأقرب فهماً، ثمّ النجوم في هدايتها في ظلمات البر والبحر أسهل نيلاً عن اختلاف احوال الناس في الإستقرار والإستيداع، والتلون والثبات، مع انتهائهم جميعاً إلى نفس واحدة فاهل الآية الثانية أدقّ نظرا بالنسبة إلى أهل الاولى والثالثة كذلك بالنسبة إلى الثانية، ولذلك خصَّ الأولى بقوم يؤمنون، والثانية بقوم يعلمون والثالثة بقوم يفقهون.

قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

في *الكافي* عن أبي سدير قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر ـ عليه السلام ـ عن قول الله عزّ وجلّ: « ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ:

إنّ الله عزّ وجلّ إبتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله، فأبتدع السماوات والأرضين ولم يكن قبلهن سماوات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ﴾[١]»[٢].

أقول: وروى مثله الصفّار في *البصائر* والعيّاشي في *تفسيره*[٣].

وإذا كانت السماوات والأرض مبدعات بطلت دعوى الولد له سبحانه، إذ الولد إنّما يكون عن صاحبة، والصاحبة ممّا أبدعه الله فيما بين الأزواج، فلم يكن قبل إيجاد الخلق صاحبة فلم يكن ولد، ولو لم يكن عن صاحبة كان خلقاً كسائر المخلوقات لا وجه لاختصاصه باسم الولد. فخلق كلّ شيء، والعلم بكلّ شيء يأبى عن اتخاذ الولد من المخلوقات، والإبداع يأبى عن صحة تحقّق الولد.

قوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾

حجة على المفوّضة الزاعمة أنّ أفعال العباد مخلوقة لهم، وما احتجوا به أنّ الآية مخصّصة عقلاً، فإنّ نسبة أفعال العباد إلى الله عزّ وجلّ يوجب الجبر المستلزم لإسناد الشرور والقبائح إليه تعالى، وبطلان البعث والتشريع والثواب والعقاب، إلى غير ذلك مردود بأنّه إنّما يستلزم ذلك لو كان نسبة الخلق إلى الجميع نسبة واحدة وليس كذلك، فالإرادة الإلهية لم تتعلق بالجميع على نحو واحد بل إنّما تعلّقت بأفعال العباد من مجرى اختيارهم وبغيرها على غير هذا النحو، ويستنتج

---

١. هود (١١): ٧.

٢. *الكافي* ١: ٢٥٦، الحديث: ٢.

٣. *بصائر الدرجات*: ١١٣، الحديث: ١؛ *تفسير العياشي* ١: ٣٧٣، الحديث: ٧٧.

من ذلك أن الوجود لله سبحانه والاستناد للعبد، فافهم، وللكلام أطراف قد مرّ بعضها وسيجيء بعضها الآخر.

قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

وَكَل في أمره إلى فلان، ويكل إليه أي اعتمد، ووكّله في أمره توكيلاً ووكالة أي جعله قائماً مقام نفسه في تدبيره وإنفاذه وفعله، ورجل وَكَلٌ بفتحتين ووُكَلَةٌ تُكَلَةٌ مثال: لمزة وهمزة أي عاجز يَكِلُ أمره إلى غيره ويتّكل عليه والله تعالى هو القائم على كلّ شيء فيما يحتاج إليه في نفسه وفي غيره، فهو الوكيل لكلّ شيء وعلى كلّ شيء، غير أنّ الأدب العبودي يقتضي اسقاط قولنا لكلّ شيء عن اللفظ لما فيه من شائبة الإستعمال والإستعلاء، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1] عزّت أسماؤه فهو على كلّ شيء وكيل.

قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ﴾

البصر هو القوة المودعة في العين لتشخيص الضوء واللون، وربّما سمّي به الآلة الباصرة تسمية للمحل بإسم الحالّ، وربّما سمّي به الإدراك الباطني من وهم أو عقل، والبصر سواء أُريد به القوة الظاهرة أو أُريد به القوة الباطنة لا يجوز تعلقه به تعالى، أما الظاهرة فلإحتياجها إلى جسم ذي كيفيّة، سبحانه وتعالى عن الجسميّة، وأمّا الباطنة فلإحتياجها إلى حدّ، وهو سبحانه بريء عن الحدود، فالله سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

---

١. الاعراف (٧): ١٨٠.

وفي *التوحيد*: عن اسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام ـ عن الله تبارك وتعالى هل يُرىٰ في المعاد؟ فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، يا بن الفضل! إنّ الأبصار لا تدرك إلّا ماله لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفيّات[1].

وفيه أيضاً: عن صفوان بن يحيىٰ، قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أُدخله إلى أبي الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ فاستأذنت في ذلك فأذن لي، فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنّا روينا: أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين فقسّم الكلام لموسى، ولمحمد ـ صلى الله عليه وآله ـ الرؤية، فقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ: فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين [من] الجن والإنس: ﴿لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ﴾[2]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[3]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[4]، أليس محمّداً؟. قال: بلى، قال: «فكيف يجيىء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله يقول: ﴿لَاتُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَارُ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[5]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[6]، ثم يقول: أنا رأيته [بعينى] وأحطت به علماً وهو على صورة البشر أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي من عند الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

---

١. لم نجده في *التوحيد*، ولكن رواه في *الأمالي*: ٤١٠، الحديث: ٣.
٢. الأنعام (٦): ١٠٣.
٣. طه (٢٠): ١١٠.
٤. الشورى (٤٢): ١١.
٥. طه (٢٠): ١١٠.
٦. الشورى (٤٢): ١١.

قال: أبو قرة: فإنّه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[١] فقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ: إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأىٰ، حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[٢]، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأىٰ فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[٣]، فآيات الله عزّوجلّ غير الله، وقد قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٤] فإذا رأته الأبصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة». فقال أبو قرّة فتكذّب لروايات؟ فقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ: إذا كانت الروايات مخالفة قرآن كذّبت بها، وما أجمع المسلمون عليه أنّه لا يحاط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء»[٥].

أقول: ورواه في *الكافي*: أيضاً[٦].

قوله: فقال أبو الحسن: «إذا كانت، يمكن أن يستشمّ منه ثبوت أصل الرواية، غير أنّها لما فسرّت على خلاف المراد بحيث لا يقبل الردع لم يكن بدّ من انكارها بمعناها عند الجمهور، وله نظائر كحديث نزوله تعالى كلّ ليلة جمعة إلى سماء الدنيا، وحديث كون أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر، إلى غير ذلك، ومع ذلك فحديث الرؤية ثابت من طرق أهل البيت بالمعنى اللائق بساحة قدسه وكبريائه تعالى وتقدّس.

---

١. النجم (٥٣): ١٣.
٢. النجم (٥٣): ١١.
٣. النجم (٥٣): ١٨.
٤. طه (٢٠): ١١٠.
٥. *التوحيد*: ١١١ ـ ١١٢، الحديث: ٩.
٦. *الكافي* ١: ٩٦، الحديث: ٢.

قال بعضهم: إنّ الإدراك عبارة عن الإحاطة، ومنه: ﴿إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾[1]، أي أحاط به، ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[2] أي محاط بنا، فالمنفي إذاً عن الأبصار إحاطتها به عزّ وعلا لا مجرد الرؤية، ثم قال: إنّ تخصيص الاحاطة بالنفي يُشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو أدنى من ذلك، وأقلّه مجرّد الرؤية، كما أنّا نقول لا تحيط به الافهام، وإن كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكلّ مؤمن؛ فالإحاطة للعقل منفية كنفي الإحاطة للحسّ، وما دون الإحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحسّ ثابت غير منفي[3]، إنتهى.

أقول: وما ذكره أن معنى الإدراك هو الإحاطة خلاف ما يظهر من اللغة، فأصل الإدراك اللحوق، يقال: أدركت فلاناً، أي لحقت به، وأدرك زماناً كذا أي لحقه وبلغه، ثم أستعمل في تعلّق القوة الحاسّة بمتعلقه كأنّها تلحقه استعارة، ثمّ صار حقيقة بالغلبة.

ولو سلّم ذلك فحيث كان الإدراك هو الإحاطة، والإدراك بالبصر هو الإبصار والرؤية فلا معنى لبقاء الرؤية مع انتفاءِ الإدراك، ومن هنا يظهر ان لا معنى للمفهوم الذي تخيله، فإن انتفاء الإحاطة مساوق لانتفاء الرؤية.

ولو سلّم فإنّما يصحّ ذلك في المركبات دون البسائط، إذ فرض الإحاطة بالشيء علماً، والعلم بما هو دون الإحاطة فرض الكلّ والبعض في ذاته، كما هو ظاهر.

فإن قلت: فالعقل لا يحيط به تعالى وله علمٌ مّا به تعالى ولا يلزم التركيب.

قلت: لزوم التركيب ضروري، والعقل كالحسّ والوهم لا يناله سبحانه

---

١. يونس (١٠): ٩٠.

٢. الشعراء (٢٦): ٦١.

٣. *التبيان* ٤: ٢٢٤ و٢٢٥.

لاستحالة تحديده بحدّ مطلقاً، ولا فرق في ذلك بين التحديد التام والناقص، وإنما يُعرف سبحانه بأسمائه وأوصافه، ومعرفة الشيء بوجه من وجوهه معرفة لذلك الوجه حقيقة وللشيء بعرضه، وللكلام بقية سيمرّ بك إن شاء الله.

قوله سبحانه: ﴿وَهوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾

اللطف: هو رقّة، قوام الشيء بها، يصح أن ينفذ في خلل الأجسام، وبالتحليل والتجريد عن لوازم المصاديق المادية: نيل الشيء لكل ما ظهر وخفي ودقّ وجلّ، وهو سبحانه كذلك، فهو عالم بكل ما كبر وصغر وخفي لدقّته أو ظهر بكلّ مدرك من المدارك.

والخبير من الخبرة وهو العلم بالشيء بحيث يأنس العالم بمعلومه بحيث لا يشتبه عليه ولا يخطأ فيه، ولذلك صار الغالب استعماله في موارد العلم الحاصل بتكرر الإدراك كتجربة واعتبار، يقال: فلان من أهل الخبرة بهذا الأمر، وبالجملة فالإسمان اللطيف والخبير من شعب الإسم العليم.

وفي *الكافي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ في خبر طويل قال ـ عليه السلام ـ: «وأمّا اللطيف فليس على قلّة وقضافة[١] وصغر، ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل: لطف عني هذا الأمر، ولطف فلان في مذهبه وقوله يخبرك أنّه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متغمضاً[٢] متلطّفا لا يدركه الوهم، وكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحدّ بوصف، واللطافة منا الصغر والقلة، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنىٰ.

١. القضافة بالضاد المعجمة: الدقّة والمخافة [منه ـ رحمه الله ـ].

٢. في المصدر: «متعّمقاً»

وأما الخبير: فهو الذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته شيء، ليس للتجربة ولا للإعتبار بالأشياء، فتفيده التجربة والإعتبار علماً، ولولاهما ما علم، لأنّ من كان كذلك كان جاهلاً، والله لم يزل خبيراً بما يخلق [وما لم يخلق،] والخبير من الناس المستخبر عن جهل المتعلم، فقد جمعنا الأسم واختلف المعنى»[1] الخبر.

وسيجيء بتمامه مع تفسيره في الكلام على الأسماء الحسنى في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2].

قوله سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ﴾

البصيرة: نور القلب الذي به يدرك، كما أنّ البصر نور العين الذي به تدرك، فالبصيرة للقلب كالبصر للعين، وقد تطلق ويراد بها الحجّة، كما أنّ البصر قد يطلق ويراد به نفس العين التي بها الإبصار، فالمراد بقوله: ﴿أَبْصَرَ﴾، وقوله: ﴿عَمِيَ﴾. إعمال البصيرة وتركه.

ثمّ الكلام في هذه الآية وارد على لسان النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ كأنّه قيل: قل: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى آخره، ثمّ أسقط وضمّ الكلام إلى الكلام إشعاراً بأن الله سبحانه هو المتكلم بلسانه وقوله قوله، ثم أعيد الكلام إلى ما كان عليه من خطابه لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾.

قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾. أي تعلمت وقرأت.

---

١. *الكافي* ١: ١٢٢ الحديث: ٢.
٢. الأعراف (٧): ١٨٠.

في *تفسير القمي*: قال ـ عليه السلام ـ: «كانت قريش تقول لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ إن الذي تخبرنا [به] من الأخبار تتعلّمه من علماء اليهود وتدرسه»(١).

أقول: واللام في قوله: ﴿لِيَقُولُوا﴾، للغاية كما في قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾، والغايتان جميعاً حقيقيتان، قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾(٢)، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(٣)، لا كما قيل: إن الغاية في الأوّل مجازيّة، وفي الثاني حقيقية، وقد بيّنا ذلك فيما مرّ وسيجيء تمامه.

*

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢١٢.
٢. الإسراء (١٧): ٢٠.
٣. الإسراء (١٧): ٨٢.

[ٱتَّبِعْ مَاأُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَاإِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾
وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَاأَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَاتَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ
عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ
إِنَّمَا ٱلآيَاتُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَمَايُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَايُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ
أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ ٱلأنْسِ وَٱلْجِنِّ
يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ ٱلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾]

قوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

في تفسير *القمّي*: منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[(١)][(٢)].

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ مَا أَشْرَكُوا﴾

في *المجمع*: في تفسير أهل البيت: ولو شاء الله أن يجعلهم كلّهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد، لما كان يحتاج إلى جنة ولا إلى نارٍ، ولكنّه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ما له به عليهم الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثواب والعقاب[(٣)].

قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾

الفرق بين الحفيظ والوكيل أن الحفيظ يحفظ أمر الغير حينما يكون الغير هو القائم بأمر نفسه، بخلاف الوكيل، فإن له القيام بأمر الغير وحفظه معاً، ولذا كان الحفيظ بمعنى الرقيب، فكأنّه يحفظ الواقعة على ما وقعت، ولا يخلّيها تزول أو تتبدّل عن وجهها.

قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾

في *تفسير القمّي*: عن مسعدة عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «سئل عن قول النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: إنّ الشرك أخفىٰ من دبيب النمل على صفاة

---

١. التوبة (٩): ٥.

٢. تفسير *القمي* ١: ٢١١.

٣. مجمع *البيان* ٤: ١٢١.

سوداء في ليلة ظلماء، فقال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سب آلتهم لكي لا يسبّ الكفّار إله المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون، فقال: ﴿وَلَاتَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ فَيَسُبُّوا ٱللهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١].

أقول: والعَدْو بالفتح فالسكون، والعُدُوّ بضمّتين وتشديد الواو، والعدوان جميعاً بمعنى الظلم.

وفي *تفسير العياشي*: عن عمر الطيالسي[٢]، عن أبي عبدالله، قال: سألته عن قول الله: ﴿وَلَاتَسُبُّوا﴾ الآية فقال: يا عمر أرأيت أحداً يسبّ الله؟ فقلت: جعلني الله فداك فكيف؟ قال: من سبّ ولي الله فقد سب الله[٣].

وفي *الاعتقادات*: عنه ـ عليه السلام ـ إنّه قيل: إنّا نرىٰ في المسجد رجلاً يعلن بسب أعدائكم ويسبهم فقال: «ما له ـ لعنه الله ـ تعرّض بنا، قال الله: ﴿وَلَاتَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ فَيَسُبُّوا ٱللهَ عَدْوَاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

قال: وقال الصادق ـ عليه السلام ـ في تفسير هذه الآية: «لا تسبّوهم فإنّهم يسبّوان عليكم، وقال: من سبّ ولي الله فقد سبّ الله، وقال النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ لعلي ـ عليه السلام ـ: من سبّك فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله ومن سبّ الله فقد كبّه الله على منخريه في نار جهنم»[٤].

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢١٣.

٢. ذكره البرقي في أصحاب الصادق ـ عليه السلام ـ، *معجم رجال الحديث*: ١٣: ٦٦.

٣. *تفسير العياشي* ١: ٣٧٣، الحديث: ٨٠.

٤. *الإعتقادات* للمفيد: ١٠٧ ـ ١٠٨؛ *عيون الأخبار الرضا (ع)* ٢: ٦٧، الحديث: ٣٠٨؛ *أمالي الصدوق*: ٨٧، الحديث: ٢.

أقول: والأخبار في هذه المعاني كثيرة.

قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ استفهام إنكار يعني أنّكم لا تدرون، ونحن نعلم ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾

المراد بالفؤاد هو القلب، وهو الجوهر العاقل من الإنسان، والبصر حيثيّة إدراكه، وتقليبه جعل أعلاه أسفله وبالعكس، فيرى العالى سافلاً والسافل عالياً والحق باطلاً وبالعكس.

وفي *تفسير القمّي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾، يقول: [ننكّس] قلوبهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها ونَعمى أبصارهم فلا يبصرون الهدى[1].

أقول: وهذا عود بعد عود إلى ما يهيئهُ الكفر والشرك والجحود في سرائرهم من الآثار وسيعود إليه أيضاً في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[2].

قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

أي في أول البعثة والدعوة، أو في عالم الذر قبل هذا العالم، ولكلّ من الوجهين وجه.

قوله: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ﴾

فليسوا مستقلين قادرين على ما شاءوا إلّا أن يشاء الله ذلك، فيملّكهم القدرة

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢١٣.
٢. الأنعام (٦): ١٢٢.

والمشيئة ولكنّ الله لا يفعل ذلك لفسقهم وطغيانهم السابق، وهو يضلّهم ويقلّب أفئدتهم وأبصارهم، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللهُ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾(٢)، وقال: ﴿إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ﴾(٣).

وعلى هذا فالمشيئة في الآية مشيئة اختيار لا مشيئة إجبار واضطرار كما ذكره بعض المفسرين، ويشعر بما ذكرنا قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

أي يجهلون أنّهم ليسوا مطلقي العنان، وأنّ الأمر بيد الله تعالى.

قوله: ﴿شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾

الشيطان هو العاتي المارد الشرير من كلّ شيء، ولذا سمّيت به الحيّة، وغلب استعماله في إبليس، والوحي هو التكليم بنحو الإيماء وزُخْرُفُ ٱلْقَوْل: القول المزيّن المموّه، وزَخْرَفَه أي زيّنه.

وفي *الخصال*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «الأنس على ثلاثة أجزاء: فجزء تحت ظلّ العرش يوم لا ظلَّ إلّا ظلّه، وجزء عليهم الحساب والعذاب، وجزء وجوههم وجوه الآدميّين وقلوبهم قلوب الشياطين»(٤).

أقول: يريد ـ عليه السلام ـ تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: الكاملين في جانب الخير، والكاملين في جانب الشر، والمتوسطين بين القبيلين، إلّا أنّ

---

١. التكوير (٨١): ٢٩.
٢. النحل (١٦): ٣٧.
٣. المنافقون (٦٣): ٦.
٤. *الخصال* ١: ١٥٤، الحديث: ١٩٢.

الاشقياء صورتهم في الباطن غير صورتهم في الظاهر، بل هي صورة شيطان، والمتوسطون أمرهم معلّق، فالصورة الإنسانية الدنيوية ليس لها حكم خاص معيّن، وإنّما الأمور بعواقبها.

وفي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث: «من لم يجعله الله من أهل صفة الحق فأولئك شياطين الأنس والجن»[١].

قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾

اَلصُّغُوّ كدُنُوّ: الميل، ومنه الاصغاء بمعنى الاستماع إذ حقيقته إمالة السمع نحو الكلام لإستماعه، والاقتراف: الاكتساب.

*

١. *الكافي* ٨: ١١، الحديث: ١.

[أَفَغَيْرَ ٱللهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ ٱلَّذِى أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلاً
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن رَبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ
ٱللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ
مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللهِ
عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللهِ
عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً
لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا
ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا
يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ
ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ
لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾]

قوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللهِ أَبْتَغِى حَكَماً﴾

هو كقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ﴾[١]،وارد على لسان النبيّ، ثم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ﴾ عود إلى السياق السابق.

قوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾

تمام الكلمة إنفاذها في الخارج وإخراجها إلى موطن الفعل بعدما كان قولاً وإذا ضمّت الآية إلى الآية السابقة وهو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾[٢] ظهر أنّ تمام الكلمة بإنزال القرآن مفصّلاً، فكأنّ الكلمة كانت قد سبقت، والذي سبق على ما يصرّح به القرآن الوعد ببعثة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ كما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلأِنْجِيلِ﴾[٣]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[٤] وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا﴾[٥].

فتمام الكلمة هو بعثة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ فهو ـ صلّى الله عليه وآله ـ الكلمة التامّة ويؤيّد ما ذكرناه ما قد ورد في عدّة من الروايات كما في *الكافي* وغيره أنّ الإمام يكتب بعد ولادته بين عينيه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ..﴾[٦]، وفي بعضها: على عضده الأيمن[٧]، وفي بعضها

---

١. الأنعام (٦): ١٠٤.

٢. الأنعام (٦): ١١٤.

٣. الأعراف (٧): ١٥٧.

٤. الأنعام (٦): ٢٠.

٥. البقرة (٢): ٨٩.

٦. *الكافي* ١: ٣٨٧، الحديث: ٢؛ ١: ٣٨٨، الحديث: ٦.

٧. *الكافي* ١: ٣٨٦، الحديث: ١؛ ١: ٣٨٧، الحديث: ٣.

بين كتفيه[١]، وهو كناية عن مقام الإمامة، ففي وجهه وبوجهه يطلع نور الإمامة، وبعضده يديرها ويدبّر أمرها، وبما بين كتفية يحمل أثقالها.

قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾

الأخبار في ذيل هذه الآية والآيتين التّاليين على اختلافها كثيرة فليرجع إلى كتاب الذبائح من الفقه[٢].

قوله سبحانه: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ ٱلإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾

في *تفسير القمّي*: قال: قال: الظاهر من الإثم: المعاصي، والباطن: الشرك، والشك في القلب[٣].

*

١. *الكافي* ١: ٣٨٧، الحديث: ٤.
٢. *الكافي* ٦: ٢٣٧؛ *من لا يحضره الفقيه* ٣: ٣١٤؛ *تهذيب الأحكام* ٩: ٧٢؛ *الإستبصار* ٤: ٨٦.
٣. تفسير *القمي* ١: ٢١٥.

[أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن
مَثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا
وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن
نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللهِ ٱللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ
سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا
يَمْكُرُونَ (١٢٤) فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ
ٱللهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ
فَصَّلْنَا ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)]

قوله سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

تعقيب لأمر الهداية والضلالة، وقد مثّل الهداية بأن الذي هداه الله مَثَله مثل

الميّت الذي أعطاه الله روحاً يحييه بها، ثم أعطاه نوراً يمشي به في الناس، والمشي في الناس كناية عن استيفاء مزايا الحياة الشخصية والإجتماعية، حيث لا يتحصّل شيء منها للإنسان إلّا مع المشاركة للناس في اجتماعهم، حتى يكون أحدهم، ويعيش كما يعيشون جمعاً لا فرادى، وذلك إنّما يتمّ بالنور، فالبصير إنّما تتمّ له الحياة ببصره، والأعمى إنّما تتمّ له الحياة ببصر غيره، ولو فرض إنسان لا بَصر له ولا يستفيد ببصر غيره، لم يبق له إلّا الهلاك، ولم ينفعه بقية الإحساسات التي غير البصر، ومثل الكافر مثل من هو فاقد للحياة والنور جميعاً، وقد بيّنه سبحانه بقوله: ﴿فِى ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾، فلا يشعر بنفسه إذ لا حياة له ولا بمزايا حياته إذ لا نور له، كما قال سبحانه:

﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾[1].

فالمؤمن في نور على نور، والكافر في ظلمة على ظلمة، فهو في الظلمات والجمع للتكثير، وقد قيد الظلمات بقوله: ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾؛ إذ فرض الخروج سابقاً على الظلمة يُعطي بصيرة ما قبله ربّما يدبّر لنفسه فيها بعض التدبير، وفرض الخروج لاحقاً يعطي رجاءاً ما يوجب قوة في النفس ومقاومة وصبراً على شدة ما ابتلي به نفي فرض الخروج بعض الإنجلاء، وأمّا من ليس له إلّا الظلمة فليس له إلّا الهلاك، ويحتمل أن يكون إسقاط المبتدأ في قوله: ﴿كَمَن مَثَلُهُ فِى ٱلظُّلُمَاتِ﴾، والتقدير: هو في الظلمات للإشارة إلى ذلك.

فهذا ما مثّل الله سبحانه به حال الفريقين وقد بيّنا في أوائل الكتاب أن لهذه الإستعارات في كلامه سبحانه سمة حقيقة، وبذلك يظهر:

١. الزمر (٣٩): ١٥؛ الشورى (٤٢): ٤٥.

أولاً: أنّ المؤمن له حياة وراء الحياة التي للإنسان الطبيعي فله روح أخرىٰ سوىٰ ما يشارك الكافر فيه من الروح، وسيجيء إن شاء الله بيانه في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[١] من سورة الفتح.

وثانياً: إنّ الناس في هذه الآية هم المهتدون من المؤمنين، وهو ظاهر، حيث كان المراد من المشي في الناس اللحوق بهم والعيش معهم والحياة فيه، وقد مرّ نظير هذا المعنىٰ في قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٢] من سورة النساء.

وسيجيء إن شاء الله قريب منه في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣] من سورة الشورىٰ.

وثالثاً: إنّ الكفر ظلمة وبطلان حياة لا حياة باطلة.

وفي *المجمع*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إنّ الآية نزلت في عمّار بن ياسر وأبي جهل»[٤].

وفي *الكافي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية قال: ﴿مَيْتًا﴾ لا يعرف شيئاً، ﴿نُوراً يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ إماماً يؤتمّ به ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ قال: الذي لا يعرف الإمام»[٥].

أقول: وروى هذا المعنى العيّاشي والقمّي في *تفسيريهما* بعدّة طرق، والرواية

---

١. الفتح (٤٨): ٢٦.

٢. النساء (٤): ٥٤.

٣. الشورى (٤٢): ٥.

٤. مجمع *البيان* ٤: ١٥١.

٥. *الكافي* ١: ١٨٥، الحديث: ١٣.

من قبيل الجري والتطبيق.

قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا﴾

روي من طرق العامة أنّ أبا جهل قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منّا نبي يوحى إليه؟ والله لا نرضى به ولا نتّبعه أبداً إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت[١].

وفي *تفسير القمّي* قال: قال الأكابر: لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي الرسل من الوحي والتنزيل، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٢].

قوله سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾

وهذا تفريع لقوله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ﴾[٣]، فإنّ الهداية إذا كانت بإعطاء روح نوريّة، والنور يفسح في المكان ويوجب اتّساع الإدراك ويشرحه، فيعامل الإنسان حينئذٍ مع كلّ شيء ما يجب معاملته، وبالمقابلة، الظلمة كلما زادت إحاطتها أوجبت ضيقا لا يسع للإنسان أن يحفظ مع كل شيء ما يجب، أو ينبغي حفظه معه، فلا يؤمن أن يترك ما يجب أخذه، أو يأخذ ما يجب تركه، كالمحبوس في مكان ضيّق لا يسعه أن يتحرك فيه أدنى حركة، سوى أن يبقى على حال من غير مجال.

فالهداية نور في القلب ينشرح معه الصدر، ولازمه عدم التحرّج من المعارف

---

١. *الكشاف* ٢: ٦٣؛ *تفسير الرازي* ٣: ١٧٣؛ *معاني القرآن* ٢: ٢٨٨.

٢. *تفسير القمي* ١: ٢١٥.

٣. الأنعام (٦): ١٢٢.

الإلهية واستماع الحق فيها.

والضلالة ظلمة توجب كون القلب ضيّقاً حرجاً كما لو ألزم بما لا يطاق، كالصعود إلى السماء، ولازمه عدم الأمن وعدم التمييز أي: الشك والارتياب.

وفي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال ـ عليه السلام ـ: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكلّ به ملكاً يسدّده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء وسدّ مسامع قلبه ووكّل به شيطاناً يضلّه»، ثم تلا هذه الآية: **﴿فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾**[1].

أقول: ورواه الصدوق في *التوحيد* والعيّاشي في *تفسيره*[2].

وفي *الكافي*: أيضاً عنه ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ القلب ليتجلجل[3] في الجوف يطلب الحق فإذا أصابه اطمأنّ وقرّ، ثمّ تلا: **﴿فَمَن يُرِدِ ٱللهُ أَن يَهْدِيَهُ﴾**[4] الآية.

أقول: وروي هذا المعنى وما يقرب منه عن الباقر والصادق والرضا ـ عليهم السلام ـ بطرق متعددة)[5].

وفي *المعاني*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: **﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَاءِ﴾** فقال ـ عليه السلام ـ: «قد

---

١. *الكافي* ١: ١٦٦، الحديث: ٢.
٢. *التوحيد*: ٤١٥، الحديث: ١٤؛ تفسير *العياشي* ١: ٣٢١، الحديث: ١١٠: ٣٧٦، الحديث: ٩٤.
٣. التجلجل: التحرك مع الصوت.
٤. *الكافي* ٢: ٤٢١، الحديث: ٥.
٥. روي هذا المعنى وما يقرب منه عن الصادق آل محمّد ـ عليه السلام ـ في *تفسير العيّاشي* ١: ٣٧٦، الحديث: ٩٢؛ عن الرضا ـ عليه السلام ـ في *عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ* ١: ١٣١، الحديث: ٢٧؛ وعن محمد الباقر ـ عليه السلام ـ في *المحاسن* ١: ٢٠٢، الحديث: ٤١.

يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر، والحرج [هو] الملتئم الذي لا منفذ له، يسمع به الصوت ولا يبصر منه[1].

وفي *الاختصاص*: عن آدم بن الحرّ قال: سأل موسى بن أشيم[2] أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ وأنا حاضر عن آية في كتاب الله فخبّره بها، فلم يبرح حتىٰ دخل رجل فسأله عن تلك الآية بعينها، فخبّره بخلاف ما خبّر به موسى بن أشيم، ثم قال ابن أشيم: فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأنّ قلبي يشرّح بالسكاكين وقلت: تركنا أبا قتادة [بالشام] لا يخطىء في الحرف الواحد: الواو وشبهها وجئت [ثمّ] لمن يخطىء هذا الخطأ كلّه، فبينا أنا في ذلك إذ دخل عليه رجل آخر فسأله عن تلك الآية بعينها، فخبّره بخلاف ما خبّرني وخلاف الذي خبّر به الذي سأله بعدي فتجلّى عنّي وعلمت أنّ ذلك تعمّد، فحدّثت نفسي بشي فالتفت إلى أبو عبدالله فقال: «يا بن أشيم لا تفعل كذا وكذا فبان حديثي عن الأمر الذي حدثت به نفسي، ثم قال: يا بن أشيم إنّ الله فوّض إلى سليمان بن داود فقال: ﴿هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، وفوّض إلى نبيه، [ـ صلى الله عليه وآله ـ فقال: ﴿مٰا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[4] فَما فَوَّضَ إِلَى نَبِيِّهِ] فَقَدْ فَوَّضَهُ إلينا، يا بن أشيم ﴿مَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾، أتدري ما الحرج»؟ قلت: لا، فقال بيده وضمّ أصابعه: «هو الشيء المصمت الذي لا يخرج منه شيء

---

١. *معاني الأخبار*: ١٤٥، الحديث: ١.

٢. في نسخة: «أسمر»، [منه ـ رحمه الله ـ].

٣. ص (٣٨): ٣٩.

٤. الحشر (٥٩): ٧.

ولا يدخل فيه شيء»[١].

أقول: ومنه الحرج للمكان الكثير الشجر الذي لا يمكن الرعاة أن يصلوا إليه.

ومنها ما في *تفسير القمّي*: قال: قال ـ عليه السلام ـ: «مثل شجرة حولها اشجار كثيرة فلا يقدر أن يلقي أغصانها يمنة ويسرة فتمرّ في السماء فيستمرّ حرجه»[٢].

وفي *تفسير العيّاشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿**كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ قال ـ عليه السلام ـ: «هو الشك»[٣].

أقول: ويستفاد ممّا مرّ من الروايات:

أوّلاً: أنّ الفارق بين الهداية والضلالة هو إطمئنان القلب وقراره عند الهداية، واضطرابه وقلقه وشكه عند الضلال.

وثانياً: إنّ الفارق بين الخاطر الملكي والشيطاني في خطرات القلب هو القرار والإضطراب أيضاً، وقد مرّ بعض ما يتعلق بالمقام في قوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾[٤] في قصة زكريا من سورة آل عمران.

قوله: ﴿**وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً**﴾

أي مطّرداً لا تخلّف فيه ولا اختلاف، وقد مرّ في سورة الفاتحة.

قوله: ﴿**لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَامِ**﴾

سيجيء بيان معناه في سورة يونس إن شاء الله.

---

١. *الاختصاص*: ٣٣٠ ـ ٣٣١.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٢١٥.

٣. تفسير *العياشي* ١: ٣٧٧، الحديث: ٩٦.

٤. آل عمران (٣): ١٧٥.

[وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِنَ ٱلأَنْسِ وَقَالَ
أَوْلِيَاؤُهُم مِنَ ٱلأَنْسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ٱلَّذِى
أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَاشَاءَ ٱللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا
مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلأَنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ
ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذٰلِكَ أَن لَمْ يَكُن
رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَايَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُم مِن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ
آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَا قَوْمِ ٱعْمَلُوا
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدّارِ إِنَّهُ لَا
يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾]

قوله: ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِنَ ٱلْإِنْسِ﴾

استكثار الجند ضم الآحاد إليه بحيث يجعله كثيراً، أي قد صرتم كثيراً بانضمام كثير من الإنس إليكم.

قوله: ﴿ وكذلك نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾

في *تفسير القمّي*: قال: قال: نولّي كلّ من يولّي أوليائهم فيكونون معهم يوم القيامة[1].

وفي *الكافي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾»[2].

قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ﴾

في *العيون*: في خبر الشامي سأل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: هل بعث الله نبياً إلى الجن؟ قال: «نعم، بعث إليهم نبياً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله فقتلوه»[3].

أقول: وظاهر الآية تحقق البعث في كلّ من القبيلين وإن تأوّل بعضهم الآية ببعض الوجوه البعيدة.

قوله: ﴿ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾

المكانة: التمكّن والإستطاعة والحال التي أنت عليها، أي اعملوا وأنتم على

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢١٥.

٢. *الكافي* ٢: ٣٣٤، الحديث: ١٩.

٣. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ٢٤٢، الحديث: ١.

حالكم التي أنتم عليها من الكفر والجحود والظلم

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾

كان الظاهر أن يقال: لا يفلح الكافرون، لكنّه بدّل إلى ما يشعر بالعلّية، فإنّ الكافر إنّما لا يفلح لظلمه.

*

[وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ
بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ
حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ
لَا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا
وَإِن يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ
خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَاءً
عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَٱلزَّيْتُونَ
وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ حَمُولَةً

وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ ٱللهُ
بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللهَ
لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَىٰ
طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ
رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللهِ بِهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ
وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ ٱلْحَوَايَا أَوْ مَا
ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ
رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ ٱللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ
فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ
ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾]

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾

روى: أنّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئاً منهما لآلهتهم وينفقونها لسدنتها ويذبحون عندها، ثم إن رأوا ما عيّنوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا مالآلهتهم أزكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم، واعتلّوا لذلك بأن الله غني.

في *المجمع*: عن أهل البيت كان إذا اختلط ما جُعل للأصنام بما جعل لله ردّده، وإذا اختلط ما جُعل لله بما جُعل للأصنام تركوه وقالوا: [إنّ] الله غني وإذا انخرق الماء من الذي لله في الذي للأصنام لم يسدّوه، وإذا انخرق من الذي للأصنام في الذي لله سدّوه وقالوا: إنّ الله غني[١].

أقول: وقوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه من التنبيه على جهالتهم حيث أنّ الخلق لله وهم يجعلون له نصيباً ولما يزعمونه شريكاً فضلَ نصيب عليه كما قيل.

قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

في *تفسير القمّي*: قال: قال: يعني أسلافهم زيّنوا لهم قتل أولادهم[٢].

أقول: والمراد باسلافهم سدنة الآلهة ومسموعوا الكلمة من سلفهم عُدّوا شركائهم لله سبحانه، لإطاعتهم لهم، والدليل على أن ليس المراد بالشركاء الآلهة قوله: ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا﴾، والإرداء الإهلاك.

قوله سبحانه: ﴿ هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾

---

١. مجمع *البيان* ٤: ٣٧٠.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٢١٧.

في *تفسير القمّي* قال: قال: الحجر المحرّم[١].

أقول: فهو فعل بمعنى المفعول أي الممنوع.

قوله: ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ﴾.

تفسير لقولهم حِجر.

وفي *تفسير القمّي* في الآية قال: فكانوا يحرمونها على قوم[٢].

قوله سبحانه: ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾

وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام على ما قيل.

قوله: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾

في *تفسير القمّي*: قال: فكانوا يحرّمون الجنين الذي يخرجونه من بطون الأنعام يحرمونه على النساء، فإذا كان ميتة أكله الرجال والنساء، فحكى الله قولهم لرسول الله، فقال: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ﴾[٣] الآية.

قوله: ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾

يمكن أن يستفاد من السياق ـ حيث لم يقل لرجالنا ولنسائنا وغير ذلك ـ أنّ هذا الحكم كان عندهم من قبيل حق الخالصة على ما قيل، إمّا بإعتبار كون الموصول جمعاً في المعنى أو التاء للمبالغة كراوية الشعر أو هو مصدر كالعافية.

١. *تفسير القمّي* ١: ٢١٧.
٢. *تفسير القمّي* ١: ٢١٧.
٣. *تفسير القمّي* ١: ٢١٨.

قوله سبحانه: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾

هؤلاء الذين كانوا يؤودون بناتهم غيرة أو يقتلون أولادهم خوفاً من الفقر، وكان ذلك منهم سفهاً بغير علم، اذ باب النكاح والإستيلاد ممّا بُني عليه أساس الخلقة، وانّما الغيرة فيما يخالف مقتضى الفطرة لا يوافقها ـ أيضاً ـ أساس الخلقة ينبئ أنّ الخلق مع احتياجهم إلى الرزق وما يديمون به حياتهم غير متروكين سُدى، وأنّ الرزق على الله، فقتلهم صوناً من الجوع افتراء على ما رزقهم الله عزّ أسمه، وهو مع ذلك كلّه خسران، فإنّهم ستروا بالغيرة الكاذبة، أو بالصيانة من الجوع أولادهم، فخابت مساعيهم، وخسرت صفقتهم، وقد بان بذلك مزايا الفاظ الآية كقوله: ﴿خَسِرَ﴾ وقوله: ﴿سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وقوله: ﴿اَفْتِرَاءً عَلَى اللهِ﴾ وغيرها، والآية غير مختصة بقتل البنات.

قوله: ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾

كالكروم المرفوعة على ما يحمله من العريشة، والكروم الملقاة على وجه الأرض.

قوله: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾

هذا، وإن كان حكماً في الصورة، لكنه غاية في المعنىٰ، أي هو الذي أنشأ البساتين لتثمر فيحلل لكم أكل ثمره والإرتزاق به والله أعلم، وهذا هو الوجه في اشتراط الحكم بأكل الثمر بالإثمار.

قوله: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾

في *الكافي* و*تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «في الزرع حقّان:

حق تُؤخذ به وحق تعطيه، أما الذي تُؤخذ به فالعُشر ونصف العُشر، وأمّا الذي تُعطيه فقول الله عزّ وجل: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ فالضِّغث تعطيه ثم الضِّغث حتى تفرغ»[١].

وفي *تفسير القمّي*: في الآية «الضغث من السنبل والكف من التمر إذا خرص»[٢].

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة وظاهرها: أن هذا الحق المشرّع في هذه الآية غير الزكاة، ويؤيّده ما قيل: إنّ الآية مكيّة وحكم الزكاة إنّما شرع بالمدينة، ولا يلزم من ذلك كون الآية منسوخة بآية الزكاة وهو ظاهر، وتتمة الكلام في الفقه.

قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾

في *الكافي* و*تفسير العياشي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «كان أبي ـ عليه السلام ـ يقول: من الإسراف في الحَصاد والجِذاذ أن يتصدّق الرجل بكفيه جميعاً، وكان أبي إذا حضر شيئاً من هذا؛ فرأىٰ أحداً من غلمانه يتصدق بكفّيه، صاح به أعط بيد واحدة، القبضة بعد القبضة والضغث بعد الضغث من السنبل»[٣].

وفي *الكافي*: أيضاً عنه عليه السلام قال: «كان فلان بن فلان الأنصاري ـ وسمّاه ـ، كان له حرث وكان إذا أخذه تصدّق به ويبقى هو وعياله بغير شيء

---

١. *الكافي* ٣: ٥٦٤، الحديث: ١؛ تفسير *العياشي* ١: ٣٧٨، الحديث: ١٠١.

٢. تفسير *القمي* ١: ٢١٨، يقال: خَرَصَ النخْلَة، إذا قدّرما عليها.

٣. *الكافي* ٣: ٥٦٦، الحديث: ٦؛ تفسير *العياشي* ١: ٣٧٩، الحديث: ١٠٦.

فجعل الله عزّ وجل ذلك سَرَفاً»[١].

أقول: وروت العامّة أن ثابت بن قيس بن شمّاس صرم خمس مائة نخلة ففرّق ثمرها كلّه ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله[٢].

قوله: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾

عطف على قوله: ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾، والحمولة ما يحمل الأثقال من الأنعام، والفرش ما يتخذ من جلودها بالذبح أو شعرها ووبرها بالنسج فيتخذ فرشاً.

قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾

الزوج يطلق على الواحد إذا كان معه آخر، ويطلق على الإثنين إذا اعتبرا معاً، والظاهر من روايات أهل البيت أنّ المراد بالزوج هو المعنى الأوّل.

ففي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «حمل نوح ـ عليه السلام ـ في السفينة الأزواج الثمانية التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ الآية، فكان من الضأن [إثنين] زوج داجنة يربّيها الناس، والزوج الآخر الضأن التي تكون في الجبال الوحشية أحلّ لهم صيدها، ومن المعز اثنين زوج داجنة ير بيها الناس، والزوج الآخر الظباء التي يكون في المفاوز، ومن الإبل اثنين البخاتي والعراب، ومن البقر اثنين زوج داجنة للناس والزوج الآخر البقر الوحشية»[٣] الخبر.

---

١. *الكافي* ٤: ٥٥، الحديث: ٥.

٢. تفسير *القرطبي* ٧: ١١٠؛ *الدر المنثور* ٣: ٤٩؛ *زاد المسير* ٢: ٩٣؛ تفسير *القرطبي* ٧: ١١٠.

٣. *الكافي* ٨: ٢٨٣، الحديث: ٤٢٧.

أقول: وفي معناه روايات أُخر، وفيها: «إنّ البخاتي من الإبل الوحشية»[١].

قوله: **﴿أَوْ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾**

ما حملت الظهور التي علقت بها، والحوايا ما اشتمل على الأمعاء، وما اختلط بعظم هو شحم الإلية فإنّه موصول بالعصعص.

قوله: **﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَاأَشْرَكْنَا﴾**

هذا القول منهم مغالطة، فإنّهم يريدون بقولهم: **﴿لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَاأَشْرَكْنَا﴾** أنّه لم يشأ ذلك، فقد شاء أن نشرك ما اشركنا ونحرّم ما حرّمنا، وليس هذا نتيجة ذاك، وإنّما شاء سبحانه ما شاء من أفعالهم من مجرىٰ اختيارهم وطريق مشيئتهم، فمشيئته ذلك لا يسلب اختيارهم ولا يوجب بطلان التأثير من إرادتهم حتى ينتج إجبارهم على الفعل وارتفاع المؤاخذة، ولو صحّ هذا القول منهم لم يصحّ مؤاخذة ظالم في ظلمه، ولا فاسق في فسقه، ولا ذمّ سيىء في مساءته، بل ولم يصح حمد محسن في إحسانه، ولا مدح حسن في حسنه، وجميل في جماله فقد أنتجوا من عدم مشيئة الترك مشيئة الفعل، ووصفوا المشيئة المطلقة الموجبة لسلب الإختيار؛ مكان المشيئة الخاصة غير المنافية لثبوت الإختيار وصحة الإستناد.

قوله: **﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾**

لم يبطل أصل قولهم: **﴿لَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَاأَشْرَكْنَا﴾**، لصحّته في نفسه، وإنّما الغلط في

---

١. *الكافي* ٤: ٤٩٢، الحديث: ١٧؛ *من لا يحضره الفقيه* ٢: ٤٩٠، ٣٠٤٩؛ *تفسير العياشي* ١: ٣٨١، الحديث: ١١٦.

كيفية الإستنتاج منه وتشخيص نتيجته، بل أخذ سبحانه باعترافهم للحق في ضمنه، فإنّ لازم قولهم أنّ حملهم على التوحيد والهداية منوط بمشيئة الله فهم مشركون لم يهدهم الله إلى توحيده وتركهم في ضلالهم، ولهذا الذي ذكرنا جييء بفاء التفريع في قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾، وقوله: ﴿ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ﴾، تكون الحجة بالغة ببلوغها لما يحتجّ له ووصولها إليه، أى تما ميتها في إثبات المطلوب،أيضاً تكون بالغة ببلوغها كلّ من أُريد بها من قريب أو بعيد أو عام أو جاهل، وقد فُسرت الكلمة من طُرق أهل البيت بكلا المعنيين.

ففي *الأمالي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَالِغَةُ﴾ فقال: «إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالماً؟ فان قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت!؟ وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلّمت حتى تعمل؟ فيخصمه، فتلك الحجّة البالغة[(١)].

وفي بعض الروايات عنه عليه السلام: «الحجة البالغة التي تبلغ الجاهل من أهل الكتاب فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه»[(٢)].

*

١. *الأمالي* للطوسي: ٩ ـ ١٠، المجلس الأول: الحديث: ١٠؛ *الأمالي* للمفيد: ٢٢٧ ـ ٢٢٨، المجلس السادس والعشرون، الحديث: ٦.

٢. تفسير *الصافي* ٢: ١٦٩.

[قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَاناً وَلَاتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
آلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا آلنَّفْسَ آلَّتِى حَرَّمَ آللهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ آلْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا آلْكَيْلَ وَآلْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَانُكَلِّفُ
نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ آللهِ أَوْفُوا
ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ
وَلَاتَتَّبِعُوا آلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى آلْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى آلَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَآتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ آلْكِتَابُ
عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا
أُنْزِلَ عَلَيْنَا آلْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَهُدًى
وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ آللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى آلَّذِينَ

يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾]

قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

في *الكافي* و*تفسير العياشي*: عن السجّاد ـ عليه السلام ـ: «ما ظهر نكاح إمرأة الأب، وما بطن الزنا»(١).

أقول: لفظاً: «ما ظهر» «وما بطن» وإن شملا جميع أصناف الفاحشة غير أنّ المشركين كانوا يومئذ يُعلنون بنكاح نسوة الآباء، ويسرّون بالزنا، وكان شائعاً عندهم، والآية مكيّة، ولذا فسّره ـ عليه السلام ـ بما فسّره.

وفي *المجمع*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: انّ ما ظهر هو الزنا، وما بطن هو المخالّة»(٢).

قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾

هذه الآيات الثلاث التي تبتدئ من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، محكمات غير منسوخة بشيء ألبتّة.

ففي *تفسير العياشي*: عن أبي بصير، قال: كنت جالساً عند أبي جعفر ـ عليه السلام ـ وهو مُتّكٍ على فراشه، إذ قرأ الآيات المحكمات التي لم ينسخهن شيء من الأنعام، فقال شيّعها سبعون ألف ملك: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾(٣) الآيات.

---

١. *الكافي* ٥: ٥٦٧.
٢. مجمع *البيان* ٤: ١٩١، والمخالّة: المصادقة.
٣. تفسير *العياشي* ١: ٣٨٢، الحديث: ١٢٣.

أقول: والآيات الثلاث تشتمل على عشرة أحكام أو تسعة، باستثناء أتباع السبيل لم يورد منها في صورة [النهي] إلّا خمسة، وأوردت الباقية في صورة الأمر وهي قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾، وقوله: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾، وقوله: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللهِ أَوْفُوا﴾.

فإن قلت: ما معنى اختلاف الحكم فإن الموعود تلاوة المحرمات، وقد ذكر في طيّها الواجبات؟

قلت: ما ذكره في صورة الواجبات في معنى المحرّمات فإنّ معنى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾، أن لا تسيئوا بالوالدين، وهكذا في البواقي، والوجه فيه أن المأنوس به في نحو الشرك والقتل وأكل مال إليتيم وقتل الأولاد هو جانب الترك، بخلاف نحو برّ الوالدين والعدل في القول والوفاء بالعهد، فالمأنوس به فيها جانب الفعل، وإن كان جانب الترك محرماً بالخصوص.

فإن قلت: الذي وعده سبحانه بيان المحرمات، والذي ذكره التكاليف المتعلقة بها دون نفسها، فكان الواجب أن يقال: الشرك وبرّ الوالدين وهكذا، لا أن يقال: ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

قلت: هذه الجمل في المعنىٰ مقول القول، وتقدير الكلام: قل يقول لكم ربكم: أن لا تشركوا به شيئاً إلى آخره، وسيجيء توضيحه وتوضيح الوجه فيه.

قوله: ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾

الإملاق: الفقر، وكلمة «من» النّشويّة تفيد التعليل، أي من أجل املاق أو خشية املاق، كما في قوله في موضع آخر: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾[1].

---

١. الإسراء (١٧): ٣١.

قوله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

إن قلت: ما وجه الإلتفات في هذه الجملة من الغيبة السابقة في قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ إلى التكلم بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾، ثم إلى الغيبة في قوله: ﴿ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم﴾، ثم إلى التكلم في قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً﴾. ثم إلى الغيبة في قوله: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللهِ أَوْفُوا﴾، ثم إلى التكلم في قوله: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً﴾. ثم إلى الغيبة في قوله: ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

قلت: قوله تعالى: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، في معنى: يقول لكم ربّكم، وعلى هذا فقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإيّاهُمْ﴾، وقوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً﴾، إنتهىٰ. في معنى مقول القول، والتقدير يقول لكم ربّكم: ﴿وَلَاتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

وبه يظهر أنّ الكلام ليس من الالتفات في شيء، بل كلام مضاف إلى كلام لتوضيح البيان وإعطاء السبب وتفسير المراد، وبه يظهر أيضاً أن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾.

الجملة الاولى إلى قوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، بيان لقوله: ﴿مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾، بحسب المعنى كما سمعت.

والجملة الثانية إلى قوله: ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾، بيان له بحسب اللفظ، وعلى هذا، فتقدير ما يعدّه النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ بحسب أمره سبحانه: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً﴾، إلى أن يقال: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللهِ أَوْفُوا﴾، ﴿وَلَاتَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، إلى آخره.

وبالجملة، بعض الجمل تابع وبيان لما حرّم لفظاً، وبعضها تتبعه معنى فلا التفات، غير أنّ النظم عجيب، فأحسن التدبّر فيه.

قوله: ﴿ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾

تبديل الضمير أو إسم الربّ إلى إسم الله إشارة إلى مبدأ الحكم، وأنّه لا يجوز التعدّي عنه والإهمال في حكمه، وقد مرّ نظائره، ونظيره قوله: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا﴾[١].

قوله: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْساً﴾

قيل: تذييل الوفاء بالكيل والميزان بذلك لان مراعاة الحدّ من القسط الذي لا زيادة فيه ولانقصان ممّا يجري فيه الحرج، فأمر ببلوغ الوسع، وأنّ ما وراءه معفوّ عنه.

قوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

العدل في القول حكاية الواقع على ما هو عليه، من غير إفراط وتفريط ومن غير مساهلة ولامبالغة، ويشمل الكذب في الحكايات، والزور في الشهادات.

قوله: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾

في *تفسير العياشي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «آل محمد الصراط الذي دلّ عليه»[٢].

وفي *الروضة*: لابن [الفتّال] الفارسي في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: «سألت الله أن يجعلها لعلي ففعل»[٣].

---

١. الأنعام (٦): ١٥٢.

٢. *تفسير العياشي* ١: ٣٨٤، الحديث: ١٢٦.

٣. *روضة الواعظين* ١: ١٠٦.

أقول: والروايات في هذا المعنىٰ كثيرة، وقد مرّ إشباع القول فيه في تفسير الفاتحة.

قوله: ﴿ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتقُونَ﴾

ختم هذه الآية الثالثة بذلك، وختم الثانية بقوله: ﴿ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وختم الأولى بقوله: ﴿ذٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وذلك لأنّ الذي تشتمل عليه الآية الأولى من الأحكام وهي النهي عن الشرك وإحسان الوالدين، وحرمة قتل الأولاد والفواحش، وقتل النفس ممّا يحكم به صريح العقل من غير استخدام مقدمة تحتاج إلى فكر، فالمخالفة لها خروج عن طور العقل ومادته الإنسانية، فلذلك ذيّل الحكم بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

والذي تشتمل عليه الآية الثانية من الأحكام وهي حرمة التصرّف في مال اليتيم وما تتلوها ليست بتلك المثابة من الصراحة، لكنها مع ذلك نتيجة مقدّمات عقلية صحيحة حقّة تظهر للأنسان بالتأمل والتنبّه وهو التذكّر فإطاعتها توجب ارتقاء الإنسان إلى مرتبة التذكّر فذيّلها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

والآية الثالثة تشتمل على ما لا يكفي فيه صريح العقل ولا مقدّماته النظرية، بل سلوك لما جعله الله من سبيله وصراطه تسليماً محضاً وتبعيّة خالصة، ونتيجته التقوى التي هي باب كرامة الله ورحمته وكلّ خير يرجى من قبله سبحانه، فذيلّها بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. وجيء في الجميع بلفظ الوصية وهي الأمر بحفظ ما يهمّ حفظه ويكون نخبة من بين عدة إلى كثرة، ولمّا كانت المحرمات كثيرة والتي لا مناص عنه في كلّ حين وزمان وفي جميع الشرائع هي هذه [المحرمات] المذكورة.

قوله: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ﴾

عطف على ﴿وَصَّاكُمْ﴾[١] كما قيل، أو على قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوا﴾، والمعنى هذا جمل ما يجب عليهم اجتنابه، ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ﴾، فيه تفصيل الشرائع، ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ ليتّبعوه.

*

---

١. الأنعام (٦): ١٥٣.

[هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ ٱنتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾]

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ ـ إلى آخره ـ

قد مرّ الكلام في نظير الآية من سورة البقرة.

وقوله: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

يدلّ على وقوع ذلك.

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في معنى الآية: «إنّما خاطب نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله ـ: هل ينتظر المنافقون والمشركون ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ﴾ [فيعا ينونهم] ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾،

يعني بذلك أمر ربّك، والآيات هي العذاب في دار الدنيا، كما عذّب الأمم السالفة والقرون الخالية»[١].

أقول: وروى في *التوحيد*: ما يقرب منه عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ[٢].

وفي الحديثين جميعاً: «أنّ هذه الآية طلوع الشمس من مغربها».

أقول: وهذا ممّا اتفقت على روايته العامة[٣] والخاصة[٤].

وفي *الإكمال*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في هذه الآية «يعني خروج القائم المنتظر منّا»[٥].

أقول: والروايات فيه كثيرة من طرقنا[٦].

وفي *الكافي* و*تفسير العياشي*: عن أحدهما ـ عليه السلام ـ في قوله: **﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾**[٧] قال: «المؤمن العاصي حالت بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه وقلة حسناته فلم يكسب في إيمانه خيراً»[٨].

أقول: ويظهر من الآية أنّ الإيمان الخالى عن العمل لاينفع، كما يظهر ذلك

---

١. *الاحتجاج* ١: ٣٧٢.
٢. *التوحيد*: ٢٦٦.
٣. *الفتن*، لابن حماد: ١٨٣؛ *المصنّف*، لابن أبي شيبة ١٥: ٦٦٦٥؛ *تفسير الطبري* ٨: ٧٤؛ *مستدرك الصحيحين* ٤: ٥٤٥؛ *الدر المنثور* ٣: ٥٩.
٤. *تفسير القمي* ٢: ٣٢٠؛ *الكافي* ٥: ١٠؛ *الخصال* ١: ٢٧٤؛ *تحف العقول*: ٢٨٨؛ *تهذيب الاحكام* ٤: ١١٤؛ *وسائل الشيعة* ١١: ١٦.
٥. *كمال الدين* ٢: ٣٥٧.
٦. *تفسير الصافي* ٣: ١٣٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٠٠، *اثبات الهداة* ٣: ٤٧٥؛ *بحار الانوار* ٥٢: ١٤٩.
٧. الأنعام (٦): ١٥٨.
٨. *تفسير العياشي* ١: ٣٨٥، الحديث: ١٣٠؛ *البرهان في تفسير القرآن* ٢: ٥٠٢، الحديث: ١٠.

من قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[١].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً﴾

في *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: كان علي يقرأها ﴿فَارَقُوا دِيْنَهُمْ﴾ ثمّ قال: «فارق والله القوم دينهم»[٢].

أقول: ونسب هذه القراءة في *المجمع* أيضاً إلى علي ـ عليه السلام ـ[٣].

وقوله: ﴿وَكَانُوا﴾ يدل على كونهم أتباعاً، فلكل منهم إمام يتبعه ويقتدي به، فإمام ضلال وإمام حقّ، وإذ كان إمام الحق وشيعته من النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ والنبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ منهم كان الأنسب عليه قراءة فارقوا. حتى لا يشملهم قوله: لست منهم، وأمّا قراءته: ﴿فَرَّقُوا دِيَنُهم﴾، فكأنه اعتبر فيها أنّ اختلاف الأمة لا يكون إلّا بأن يكون كلّ حزب يأخذ شيئاً ويترك ما عند الآخر، فكأنهم فرّقوا الدين إلى أجزاء؛ أخذ كلّ شيئاً منها.

وفي *المجمع*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إنّهم أهل الضلال وأصحاب البدع والشبهات من هذه الأمّة»[٤].

وفي الحديث النبويّ: وافترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة وهي الناجية، وافترقت النصارى [على] اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلّا واحدة [و هى الناجية]، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين

---

١. فاطر (٣٥): ١٠.
٢. *تفسير العياشي* ١: ٣٨٥، ١٣١.
٣. مجمع *البيان* ٤: ٢٠٣.
٤. مجمع *البيان* ٤: ٢٠٣.

فرقة كلّها في الهاوية إلّا واحدة»[١].

أقول: وقد اتفق على نقل مضمون الحديث عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ العامة والخاصّة.

قوله سبحانه: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾

في *المجمع*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: لما نزلت هذه الآية: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**﴾[٢]، قال رسول الله: «ربّ زدني، فأنزل الله سبحانه: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾»[٣].

وفي *الكافي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: أنّه سئل هل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك، فقال: «لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحداً، ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقربان به إلى الله ـ عزّ وجل ـ»، قلت[٤]: أليس الله عزوجل يقول: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ مع المؤمن، قال ـ عليه السلام ـ: «أليس قد قال الله: ﴿**يُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً**﴾، فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله لهم حسناتهم لكلّ حسنة سبعون ضعفاً، فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته على قدر صحّة إيمانه أضعافاً كثيرة، ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير»[٥].

---

١. تفسير *جوامع الجامع* ١: ٦٣٤.
٢. النمل (٢٧): ٨٩.
٣. مجمع *البيان* ٢: ١٣٧.
٤. البقره (٢): ٢٤٥.
٥. *الكافي* ٢: ٢٧.

وفي *تفسير القمّي*: عنه[١] ـ عليه السلام ـ أيضاً في الآية قال ـ عليه لسلام ـ: هي للمسلمين عامّة، قال: فإن لم تكن له ولاية دفع عنه بما عمل من حسنة في الدنيا وما له في الآخره من خلاق»[٢].

وفيه أيضاً عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «لما أعطى الله سبحانه إبليس ما أعطاه من القوة قال آدم: يا ربّ! سلّطته على ولدي وأجريته منهم[٣] مجرى الدم في العروق، وأعطيته ما أعطيته فما لي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السيئة بواحدة، والحسنة بعشرة أمثالها، قال: يا ربّ زدني قال: التوبة مبسوطة إلى حين يبلغ النفس الحلقوم، فقال: يا رب زدني، قال: أغفر ولا أبالي، قال حسبي»[٤].

أقول: وفي هذه المعاني روايات أُخر، وظاهر الرواية الأخيرة أنّ تضعيف الحسنة واحدة بعشر مما لايختص بهذه الأمّة، غير أنّ باب التوحيد المفتوح لهذه الأمة لمّا كان أعلى وأغلى ممّا فتح لسائر الأمم ـ كما سيجيء إن شاء الله بيانه ـ، فالإخلاص في العمل المتأتّي للمخلصين من هذه الأمة لا يتأتّى لغيرهم، كما أنّ آخر الزمان يربو على أوله، وبهاء العمل وشرفه من حيث أنّه عبادة يزيد قلة وكثرة بمراتب الإخلاص ودرجاته، فالعمل الواحد يمكن أن يضاعف أضعافاً مختلفة بحسب الزيادة والنقيصة في الجملة، وأمّا خصوص عدد العشر فيمكن أن يكون امتناناً بقرينة مقابلته الواحدة في السيئة مع العشر في الحسنة.

---

١. في المصدر: «عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ»
٢. *تفسير القمي* ٢: ١٣١.
٣. في المصدر: «منهم»
٤. *تفسير القمّي* ١: ٤٢.

وقد ذكر بعض المحققين في سرّ التضعيف في الحسنة بعشر أمثالها دون السيئة: أنّ الجوهر الإنساني المؤمن بطبعه مائل إلى العالم العلوي لأنّه مقتبس منه، وهبوطه إلى القالب الجسماني غريب عن طبيعته، والحسنة إنّما ترتقي إلى ما يوافق طبيعة ذلك الجوهر لأنها من جنسه، والقوة التي تحرك الحجر إلى ما فوق ذراعاً واحداً هي بعينها إن استعملت في تحريكه إلى أسفل، حركته عشرة أذرع وزيادة، فلذلك كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، ومنها ما يوفّى أجرها بغير حساب، والحسنة التي لا يدفع تأثيرها سمعة أو رياء أو عجب كالحجر الذي يدور من شاهق لا يصادفه دافع، فإنّه لا يتقدر مقدار هوية بحساب حتى يبلغ الغاية، إنتهى[١].

وفيه أولاً: إنّه لا يفي ببيان تخصيص التضعيف بعدد العشرة.

وثانياً: إنّه بنى الزيادة والنقيصة على مقدار مقاومة المانع وعدمها، فكلما خلص العمل اشتدّ تأثيره.

وهذا حق كما بيّناه آنفاً إلّا أنّ لازمه أن يأخذ المبدأ نفس العمل خالصاً ثم يتنزّل بحسب مقاومة الموانع وقلّتها وكثرتها، فيؤخذ بالنصف والثلث والربع إلى العشر وما فوقها، لا أن يؤخذ بالأضعاف كعشرة أمثال وسبعين ضعفاً ونحوها، وهو ظاهر.

وثالثاً: إنّ لازمه أن السيئة إذا تمكنت في النفس وأخلدت إلى الأرض أن تضاعف السيئة إلى عشرة أمثالها أو غيرها وليس كذلك.

فالظاهر أن يكون جزاء الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها لمجرد الإمتنان

---

١. تفسير *الصافي* ٢: ١٧٦.

الإلهي كما هو ظاهر قوله: ﴿وَمَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾، أي بتضعيف السيئة، وأمّا أصل التضعيف في جانب الحسنة فيدور مدار الخلوص واقترانه بالموانع وليس له حينئذٍ مقياس معيّن، بل يذهب في جانب الزيادة إلى ما لا يقدّر بقدر كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، ويتنزّل في جانب النقيصة إلى ما يعلمه الله سبحانه واعتباره حينئذٍ من جانب الشرك إلى جانب الإخلاص تضعيف وزيادة، وبالعكس تنقيص وتنزيل، ونظير هذا الإعتبار متأتٍّ في السيئة، فالسيئة الواحدة يمكن اختلافها باختلاف العوارض واللواحق والأشخاص والأزمان والأمكنة.

*

---

١. الزمر (٣٩): ١٠.

[قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً
وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٦٣) قُلْ
أَغَيْرَ ٱللهِ أَبْغِى رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا
تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ ٱلأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)]

قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى﴾

قيل: هذا بمنزلة الإعلان بالتوحيد بعد إبطال الشرك، كأنّه تعالى ـ بعد إبطال شرك المشركين وأباطيل المبطلين ـ أمر نبيّه بأن يعلن أنّ دينه ملّة إبراهيم الحنيفية في التوحيد.

قوله سبحانه: ﴿دِيناً قِيَماً﴾

قرئ بكسر القاف وفتح الياء، مصدر أقيم مقام الوصف، وقرئ بفتح القاف

وكسر الياء المشدّدة كـ: «سَيِّد» و «هَيِّن» صفة مشبهة بمعنى القائم وتفيد المبالغة في القيام، وصف به ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ، لشدة قيامه بالتوحيد أو بمصالح العباد.

قوله: ﴿حَنِيفاً مُسْلِماً﴾

في *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان»[١].

أقول: وروى البرقي قريباً منه[٢].

وفي *تفسير العياشي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «ما من أحد من هذه الأُمّة يدين بدين إبراهيم غيرنا و[غير] شيعتنا»[٣].

أقول: والوجه فيه ما مرّ من الروايات في الصراط المستقيم، وإنّها الولاية.

وقوله: ﴿دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾

بيان لقوله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

قوله سبحانه: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾

في *تفسير القمّي* قال: قال عليه السلام: «في القدر والمال»[٤].

وفي *تفسير العيّاشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «لا نقول درجة

---

١. *الكافي* ٢: ١٥.
٢. *المحاسن* ١: ٢٥١.
٣. *تفسير العياشي* ١: ٣٨٨.
٤. *تفسير القمّي* ١: ٢٢٢.

واحـــدة، إنّ الله يـقول: درجـات بـعضها فـوق بـعض، إنّـما تـفاضل القـوم بالأعمال»(١).

أقول: ولا منافات بين الروايتين، فإنّ الأعـمال وإن كـانت لعـاملها لكـنّ الدرجات لله يختص بها من يشاء من عباده، ليختبر بعضهم ببعض والجميع بما آتاهم، والحمد لله ربّ العالمين.

تم ليلة الثلاثاء السادس عشر من محرم سنة ١٣٦٩ القمري.

*

١. تفسير *العياشي* ١ : ٣٨٨.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

[بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي
صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا مَاأُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ
رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم
بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْئَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ
وَلَنَسْئَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾]

قوله سبحانه: ﴿الٓمٓصٓ﴾

السورة مشتملة على معنى ما اشتملت عليه السور المفتتحة: بـ﴿الٓم﴾ وسورة ﴿صٓ﴾، فليكن على ذكر منك حتى نعود إليه في أول سورة ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ إن شاء الله تعالى، والغرض الجامع من السورة على طولها الإحتجاج على غير المؤمنين والتذكير للمؤمنين، وحيث كانت مكيّة إلّا ثمان آيات: ﴿وَسْئَلْهُمْ

عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾[(١)]، على ما قيل، فوجه الكلام فيها إلى المؤمنين والكفّار، غير أهل الكتاب، وإن كان ربّما مسّهم الخطاب بعض المس، فالبيان فيها يدور بين أمرين.

أحدهما: حجة تدعو إلى الإتّباع من احتجاج أو موعظة أو حكمة أو قصّة وعبرة، كقصة آدم وإبليس، وقصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى ـ عليهم السلام ـ.

وثانيهما: ذكرى بعد الإتباع كالآيات الداعية إلى ذكر ما نسيه الإنسان من مقام ربّه وما عهد به إليه، والسورة تشتمل مع ذلك على طرف عالٍ من المعارف الإلهيّة، منها وصف الساعة والميزان والأعراف، وذكر الأسماء الحسنى، وذكر العرش، ووصف عالم الذرّ والميثاق، وذكر التجلّي ووصف الذاكرين.

قوله سبحانه: ﴿لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

من قبيل براعة الإستهلال لنوعي البيان الذي تشتمل عليه السورة، وهما الإحتجاج والتذكير على ما عرفت آنفاً، فقوله: ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ أي لتحتج عليهم بالإنذار، وقوله: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾، أي ليكون ذكرى لهم، رافعاً لنسيانهم، وسيعود سبحانه في آخر السورة إلى ما يدعو به أولها.

قوله: ﴿بَيَاتاً﴾

قال في *الصحاح* بيّت العدّو: أي أوقع بهم ليلاً، والإسم البيات[(٢)]، فهو مفعول

---

١. الأعراف (٧): ١٦٣ ـ ١٧١.

٢. *الصحاح* ١: ١١٥٥

مطلق وقوله: ﴿قَائِلُونَ﴾ من القيلولة، وهي نوم الظهيرة.

قوله: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ ٱلَّذِينَ﴾

تقدم الكلام في الآية، قوله:[1]

قوله: ﴿وَٱلوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾

ذكر الوزن يوم القيامة وقع في أربعة مواضع من القرآن صريحاً هذا أحدها.

والثاني: قوله سبحانه في سورة المؤمنين: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[2].

والثالث: قوله في سورة القارعة: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[3].

والرابع: قوله في سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[4].

وهنا آيات أخر ستظهر أنها تصف الوزن كقوله سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[5]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾[6].

---

١. بياض في النسخة.
٢. المؤمنون (٢٣): ١٠٢ ـ ١٠٣.
٣. القارعة (١٠١): ٦ ـ ١١.
٤. الأنبياء (٢١): ٤٧.
٥. الزلزلة (٩٩): ٦ ـ ٨.
٦. آل عمران (٣): ٣٠.

وكيف كان، فقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾، تقديره: الوزن هو الوزن الحق، أي العدل على ما قيل، ويؤيّده قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾[1]، حيث بيّن الموازين بالقسط، وهو العدل، وهو حق الوزن الذي لا يبخس شيئاً ولا يسامح فيه أصلاً، ولذا بدّل العدل بالحقّ.

وقوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾

جمع ميزان لا موزون كما يشعر به قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ﴾[2]، فهناك موازين مختلفة وبيانه تعالى للموازين بالقسط لا يوجب وحدة الميزان، فإنّ للعدل موازين مختلفة، كما أنّ ميزان العدل في تخاصم العاجز والقوي، غير ميزانه في تخاصم القوي والقوي، نعم بعض موازين العدل أشمل وأوسع من بعض، فميزان التوحيد أو الولاية وهما أوسع الأعمال دائرة، أوسع من ميزان يوزن به عمل خاص، كاختيار اليد اليمنى للأكل.

وبالجملة، فهناك موازين توزن بها الأعمال، غير أنّه سبحانه لم يقل: فمن ثقلت حسناته أو خفّت، ولم يقل: فمن ثقلت موازين حسناته أو خفت حتى يُستكشف منه أنّ الحسنات تقابل السيئات، فأيّهما رجّحت ذهب بصاحب العمل إلى ما يقتضيه من جنّة أو نار، بل جعل سبحانه ثقل الميزان سبب الفلاح وخفته سبب الخسران، وهذا يلوّح بأنّ الحسنة ثقيلة مطلقاً والسيئة خفيفة مطلقاً وهو كذلك.

فإنّ آيات كثيرة في القرآن تنبىء عن أنّ الشرك والمعصية هلاك وبوار

---

١. الأنبياء (٢١): ٤٧.

٢. الأنبياء (٢١): ٤٧.

ويقابلها الحسنة، وتشعر بذلك أيضاً ذيل الآيات، حيث يصف أهل الشرك والضلال بقوله: ﴿أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾. والخسران بطلان السعي، وبقوله في سورة القارعة: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[1]، والهاوية من الهوى أو الهويّ وهو الهلاك.

ويشعر به أيضاً قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[2]، حيث يفرّع عدم نصب الميزان على حبط الأعمال، ولو كانت السيئة ذات ثقل لم يبطل الوزن، كما لم يبطل الوزن في من جملة أعماله حسنات من غير سيئة، كأهل العصمة من الأنبياء والأولياء، والآية عامّة غير مقيّدة.

وبالجملة، فهذا الميزان من شأنه أنّه كلما ألقيت فيه حسنة زاد ثقلاً، وكلّما ألقيت فيه سيئة زاد خفّة على خلاف توزين الأجسام الثقيلة بموازين الثقل المألوفة عندنا، بل كما يوزن الكمالات المعنوية عندنا فإنّا إذا أردنا توزين أحد في علمه بالطبّ أخذنا ملكة الطبّ بنفسها ميزاناً، ثم نورد عليه مسألة مسألة، فكلّما علم شيئاً زاد ثقلاً، وكلّما جهل شيئاً زاد خفّة، فإن ثقل ميزاناً كان طبيباً ذا ملكة الطبّ، وإن خفّ فليس من أهله وإن كان عنده بعض مسائله، وعلى هذا، فلو وزّن عمل واحد منّا أخذ ميزانه الدين أو الكمال الديني الذي تلبّس به النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ وحملة الدين من ورثته وأوصيائه، ميزان ذات اختلاف بحسب اختلاف الأعمال، فمن ثقلت موازينه فهو مفلح، ومن خفت موازينه فهو خاسر خالد في جهنم، كما تصرّح به الآية المنقولة من سورة المؤمنين.

---

١. القارعة (١٠١): ٩.

٢. الكهف (١٨): ١٠٥.

ومن هنا يظهر أنّ ها هنا طوائف أخر غير هاتين الطائفتين، أعني: المفلحين والخاسرين فإنّهما طائفتان خاصتان وهم الذين قال تعالى في حقّهم: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ... إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[1]، والذين قال تعالى فيهم: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[2] فهاتان طائفتان استثنى سبحانه إحداهما من الحضور يوم القيامة وهم المخلصون، والأخرى من إقامة الوزن فقوله سبحانه: ﴿الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾، عام لا يتخصّص إلّا بهاتين الطائفتين وغيرهما يقام له الوزن، لكن الترديد بين من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه غير حاصر بشهادة قوله: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وقوله: ﴿فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فإنّهما وصفان غير حاصرين وقد قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3]، وهم الذين لم يتعيّن لهم من ناحية العمل سعادة أو خسران، بل أمرهم إلى الله سبحانه.

فقد تحصّل مما مرّ أن وضع الميزان يوم القيامة حقّ، إلّا أنّه ميزان لا يوزن به الثقل فقط كالموازين المعهودة عندنا لتشخيص ثقل الأجسام في ناموس التجاذب، بل ميزان يشخّص الثقل والخفّة معاً كما عرفت، وأنّه يستثنى منه طائفتان.

إحداهما: المخلصون.

وثانيتهما: الحابطون عملاً وهم الكافرون بآيات الله ولقائه، والباقي من أهل الجمع ينصب لهم الموازين وهم المفلحون، وهم: السعداء والخاسرون، وهم

---

١. الصافات (٣٧): ١٥٨ ـ ١٦٠.
٢. الكهف (١٨): ١٠٥.
٣. التوبة (٩): ١٠٦.

الظالمون بآيات الله دون الكافرين بها، وغير الطائفتين وهم الذين لا تثقل موازينهم ولا تخفّ، وهم المرجون لأمر الله سبحانه. وبما مرّ يظهر معنى ما ورد من الروايات في الباب.

ففي *الإحتجاج*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه سئل: «أو ليس توزن الأعمال؟ قال: «لا، لأنّ[1] الأعمال ليست أجساماً[2]، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها[3] وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء»: «قيل: فما معنى الميزان؟ قال ـ عليه السلام ـ: «العدل»، قيل: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾؟ قال: «فمن رجّح عمله»[4]، الحديث.

أقول: وقد اتضح معنى الحديث ممّا مرّ، وقد استدلّ ـ عليه السلام ـ على ذلك بوجهين:

أحدهما: إنّ الأعمال ليست أجساماً مقهورة تحت سيطرة الجذب والثقل.

وثانيهما: إنّ الحاجة إلى الوزن ملاكه الجهل بحقيقة الثقل وهو مستحيل في حقه تعالى، وهذه حقيقة تظهر ثمرتها في مواضع أُخر أيضاً.

قال بعض الأجلة: إنّه بناءاً على ما هو الحقّ من تجسّم الأعمال في الآخرة، وإمكان تأثير حسن العمل ثقلاً فيه، وكون الحكمة في الوزن تهويل العاصي وتفضيحه، وتبشير المطيع وازدياد فرحه، وإظهار غاية العدل، في الرواية

---

١. في المصدر: «إنّ»
٢. في المصدر: «بأجسام»
٣. في المصدر: «أو»
٤. الاحتجاج ٢: ٩٨.

وجوه من الأشكال فلا بدّ من تأويلها إن أمكن، وإلّا فطرحها أو حملها على التقية[١]، إنتهى.

أقول: قد عرفت الكلام في معنى تجسم الأعمال في تفسير سورة البقرة وأنّها صور موجودة مع الإنسان في هذه الدنيا في باطن الأمر، والذي ليوم القيامة إظهار ما في الباطن وكشف الغطاء، ونظام الباطن غير النظام الذي تقتضيه القوى الطبيعية من جذب ودفع، وهو الثقل والخفة وتدريج في الكون، والفساد والفعل والإنفعال، فلا معنى لاتّصاف كمال معنوي وهو العمل الصالح مثلاً بصفة طبيعي كتأثير جاذبة الأرض وغيرها وهو واضح.

وأمّا أنّ فيه إظهار غاية العدل وتهويل العاصي وتبشير المطيع، ففيه أنّ العدل إنّما يقتضي تقدير كل شيء بما يقتضيه من المقدار بحسب نفسه وحقيقته لا جزافاً، والعمل إذا لم يكن في نفسه مقتضياً لثقل ولا خفة كان تخصيص بعضها بالثقل وبعضها بالخفة تخصيصاً جزافياً لا لمقتضى العدل كما عرفت.

فإن قلت: كفى حكمة فيه أن يتفرع عليه تهويل العاصي وتبشير المطيع.

قلت: لا يخرج الأمر بذلك عن الجزاف، فإنّ الإنذار والتبشير لا يقعان بالخفة والثقل، بل تكون الخفّة علامة الخسران والثقل علامة الفلاح، فالجزاف باقٍ بعد؛ لإمكان أن يجعل الخفة للحسنة، ثم يجعل خفة الميزان علامة للفلاح والثقل للسيئة ثم يجعل علامة الخسران، فليس الأمر إلّا دائراً مدار الارتباطات الحقيقية دون الجزافية.

وفي *التوحيد*: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في الآية: يعني إنّ[٢]

---

١. راجع: *الميزان في تفسير القرآن* ٨: ١٦.

٢. وفي المصدر: ـ «إنّ»

الحسنات،[١] توزن الحسنات والسيئات، والحسنات ثقل الميزان، والسيئات خفّة الميزان[٢].

أقول: وقد اتضح معنى الرواية الشريفة إن الكمال يوزن الكمال فيشخّص ثقله وخفّته معاً، ويؤيد ذلك ما ذكره ـ عليه السلام ـ: «إنّ الحسنات ثقل الميزان» إلى آخره، وبه يظهر فساد ما ذكره بعض المفسرين في قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، فذكر: أن الموازين جمع موزون وهو الحسنة، ففسّر الموازين بالحسنات وثقلها بكثرتها ورجحانها، وخفّتها بقلّتها ومرجوحيّتها يعني أن يقايس في الميزان بين حسنات أعماله وسيئاتها[٣]، إنتهى ملخّصاً.

وقد عرفت أنّ الظاهر من الآيات خلافه، وأنّ الموضوع في الميزان الحسنة فقط، ويشخّص بها مايستحقّه الإنسان بعمله من سعادة وخسران بظهور الخفّة والثقل كما تصرّح به الرواية.

وفي *الكافي* و*المعاني*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ﴾[٤]، قال: «هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام»[٥].

وفي رواية أخرى عنه ـ عليه السلام ـ قال: «نحن الموازين القسط»[٦].

أقول: وقد اتضح معنى الروايتين بما مرّ.

---

١. وفي المصدر: «الحساب»

٢. *التوحيد*: ٢٦٨.

٣. مجمع *البيان* ٤: ٦١٦.

٤. الأنبياء (٢١): ٤٧.

٥. *الكافي* ١: ٤١٩، الحديث: ٣٦، *معاني الاخبار*: ٣١ ـ ٣٢، الحديث: ١.

٦. *الكلمات المكنونة*: ١٥٨.

وفي *الإحتجاج*: عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ: هي قلة الحساب وكثرته[١].

أقول: وكأنّه مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[٢]، فإنّه عللّ الاستقصاء بكون المحاسب هو الله، فالوزن هو الحساب وهو ظاهر، فعامّة الآيات الناطقة بالحساب حاكية عن الوزن دالة عليه، وعلى هذا فيكون ثقل الميزان وخفّته هو قلّة الحساب وكثرته، فإنّ العمل كلّما كثرت جهات النقص والفساد فيه دقّت المحاسبة وكثرت المناقشة، وبتبع ذلك لا يزال يسقط عمل بعد عمل عن درجة الاعتبار فيخفّ الوزن، وكلّما قلّ الحساب بعكس ذلك ثقل الوزن هذا.

وفي *تفسير القمّي*: في قوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾، قال ـ عليه السلام ـ: «المجازات بالأعمال إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»[٣].

أقول: وهو تفسير بحسب النتيجة.

وفي المقام عدّة روايات عاميّة أو ضعيفة في وصف الميزان، فقد روي «أنّ للميزان عموداً طوله خمسون ألف سنة، وإحدى كفّتيه من نور، فيوضع فيها الحسنات والأخرى من الظلمة ويوضع فيها السيئات»[٤].

وروي عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه سئل عمّا يوزن يوم القيامة فقال: «الصحف»[٥].

---

١. *الاحتجاج* ١: ٣٦٣ ـ ٣٦٤.
٢. الأنبياء (٢١): ٤٧.
٣. *تفسير القمي* ١: ٢٢٤.
٤. *زاد المسير* ٣: ١١٥.
٥. *بحار الأنوار* ٧: ٢٤٤.

وروي عنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ أنّه قال: «يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان، ويؤتي له بتسعة وتسعين سجلّاً، كلّ سجلّ منها مدّ البصر فيها خطاياه وذنوبه، فيوضع[1] في كفة الميزان، ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيه شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، فيوضع[2] في الأخرى فترجّح»[3][4].

وروي أنّه «يؤتى يوم القيامة بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فيوزن[5] فلا يزن[6] جناح بعوضة»[7].

أقول: وهذه إمّا في مقام التمثيل لتفهيم الناس، وإمّا مردودة إلى رواتها، ولاختلاف هذه الروايات اختلفت أقوالهم في حقيقة الميزان فقال بعضهم: بأنّه كناية عن العدل، وقال آخرون: بأنّه من نوع الموازين الحسيّة ذات العود والكفّتين، ثم اختلف هؤلاء فمن قائل: إنّ الموزون هو الأعمال، ومن قائل: إنّه صحف الأعمال ومن قائل: إنّه نفس الأشخاص العاملين، والذي يستظهر من كلامه سبحانه ويستظهر به هو الذي قدّمناه، وهو وإن وافق القول الأوّل من هذه الأقوال في أنّه العدل، لكنّه يخالفه في أن تسميته ميزاناً، ونسبة الثقل والخفة إلى الموازين ليست على ما قدّمنا من باب الكناية، بل الميزان وهو ما يوزن ويقدّر به الشيء يختلف باختلاف الأشياء، وهو في كلّ شيء بحسبه، وكذا الثقل والخفة، فافهمَ ذلك.

---

١. في المصدر: «فتوضع»
٢. في نسخة: «يوضع»
٣. في المصدر: «فيرجح»
٤. *بحار الأنوار* ٧: ٢٤٥.
٥. في المصدر: ـ «فيوزن»
٦. في المصدر: +«عند الله»
٧. *تفسير القرطبي* ١١: ٦٦.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾

في *تفسير القمي*: قال ـ عليه السلام ـ: «بالأئمة يجحدون»[١].

أقول: وهو من قبيل عدّ المصداق.

وفي *الكافي*: عن السجاد ـ عليه السلام ـ في كلام له في الزهد: واعلموا عباد الله، إنّ أهل الشرك لا ينصب لهم الموازين ولا ينشر لهم الدواوين، وإنّما يحشرون إلى جهنم زمراً، وإنّما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام، فاتقوا الله عباد الله»[٢].

أقول: وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[٣]، ومن ذيل الآية في هذه السورة أعني قوله: ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، وقد بدّل في سورة المؤمنين بقوله: ﴿فِى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٤].

*

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢٢٤.

٢. *الكافي* ٨: ٧٤، الحديث: ٢٩.

٣. الكهف (١٨): ١٠٥.

٤. المؤمنون (٢٣): ١٠٣.

[وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى ٱلأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً
مَاتَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ ٱسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا
تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢)
قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ
ٱلصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦)
ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ
وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَن
تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِن
سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّا

هُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ
وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ
تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾]

قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ﴾. استيناف وصورة قصّة فيه بيان علل الآية السابقة وتنتهي القصة عند قوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، فينطبق على الآية السابقة: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾، ولذلك كلّه ابتدأ بلام القسم في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾، ولذلك أيضاً ضمّ فيها قصة جنّة آدم إلى قصة السجدة، قصة واحدة من غير فصل، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ خطاب لجميع بني آدم، وهو خطاب في مجرى الامتنان، أو مجرى العتبى والشكوى بقرينة الآية السابقة، وعلى هذا فالإنتقال في الخطاب من العموم الى الخصوص في قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ﴾، يفيد حقيقتين:

الحقيقة الأولى: إنّ السجدة كانت من الملائكة لجميع بني آدم، وإنّما كان آدم خُصّ بذلك بالنيابة مَنابهم كالقبلة من بين الجهات والأمكنة، كما إنّ دخوله الجنة أيضاً كان كذلك استقلالاً من نفسه ونيابة عن ولده، ويمكن استفادة ذلك:

أولاً: من قصة الخلافة الواقعة في سورة البقرة، فإنّ المستفاد من الآيات

الواردة هناك أن الأمر بالسجود متفرّع على خلافة آدم، والخلافة المذكورة فيها ـكما استفدنا هناك ـ غير مختص بآدم؛ بل جارٍ في جميع الإنسان،فـالسجدة أيضاً للجميع.

وثانياً: إنّ ابليس تعرّض بهم ابتداءاً من غير توسيط آدم ولا تخصيصه ـ عليه السلام ـ حين قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، من غير سبق ذكر لبني آدم، وقد ورد نظيره في سورة الحجر، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، وفي سورة (ص) قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]، ولو لا أنّ الجميع مسجودون للملائكة لم يستقم هذه النقمة من إبليس إبتداءاً، كما لا يخفى.

وثـالثاً: إنّ الخطابات التي خاطب الله سبحانه بها آدم وزوجته عـند الأمـر بالهبوط في سائر موارد القصّة كسورة البقرة وسورة طه عمّمها بعينها فـي هذه السورة لجميع بنيه، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى﴾[3]

والحقيقة الثانية: إنّ خلق آدم ـ عليه السلام ـ كان خلقاً للجميع كما يدلّ عليه قوله سبحانه في سورة الم السجدة ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾[5].

١. الحجر (١٥): ٣٩.
٢. ص (٣٨): ٨٢.
٣. البقرة (٢): ٣٨.
٤. السجدة (٣٢): ٧ ـ ٨.
٥. غافر (٤٠): ٦٧.

ويشعر به قول إبليس أيضاً في ضمن القصة على ما نقله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

وسيجيء بهذا إشعار في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾

قال سبحانه في سورة الكهف: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٣]، وهذا يدل على أنّه لم يكن من جنس الملائكة، وقد اعتلّ لعنه الله عن الإمتثال بقوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٤]. وقد قال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[٥]، ولذلك اختلفت الأقوال في كيفية هذا الإستثناء: أهو متصل بتغليب الملائكة لكونهم أكثر وأشرف، أو إنّه استثناء منفصل ولعلّ قوله تعالى: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ينافي كلا الإحتمالين من التغليب وانفصال الإستثناء.

والذي يمكن أن يستفاد من ظاهر كلامه سبحانه أنّه كان مع الملائكة من غير تميّز له منهم، وأنّ المقام الذي كان يجمعهم جميعاً كان مقام القدس والطهارة، وأنّ الأمر إنّما كان متوجّهاً إلى المقيم بذلك المقام والنازل بتلك المنزلة، كما يشعر به قوله سبحانه: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، حيث قيّد الكلام بقوله: ﴿مِنْهَا﴾ وقوله: ﴿فِيهَا﴾، ولو كان الخطاب متوجّهاً إليهم من

---

١. الإسراء (١٧): ٦٢.
٢. الأعراف (٧): ١٧٢.
٣. الكهف (١٨): ٥٠.
٤. ص (٣٨): ٧٦.
٥. الحجر (١٥): ٢٧.

غير دخالة المقام لكان حق الكلام أن يقال: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ﴾، وعلى هذا لم يكن بينه وبين الملائكة فرق قبل ذلك، وعند ذلك تميّز الفريقان وبقي الملائكة على ما يقتضيه مقامهم والمنزلة التي حلّوا فيها، وهو مقام الخضوع والإمتثال، وقد حكى الله سبحانه ذلك بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١]، فهذا حقيقة حياة الملائكة وأعمالهم، فبقيت الملائكة على ذلك، وخرج إبليس عنه كما تعبّر عنه الآية في سورة الكهف: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٢]، والفسق: خروج الثمرة عن قشرها فتميّز عنهم، فأخذ حياةً وعملاً لا حقيقة له إلّا الأنانية والمعصية، والقصّة وإن سيقت بحسب التمثيل مساق القصص المألوفة بيننا وتضمّنت أمراً وامتثالاً وتمرّداً واحتجاجاً وطرداً وغيرها من الأمور التشريعيّة والمولوية، غير أن الآيات تشعر بأنّها تكوينية، بمعنى أنّ ابليس على ما كان عليه من الحال لم يقبل الإمتثال فتفرّع عليه المعصية، ويشعر به قوله: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، فظاهره أنّ هذا المقام لايقبل التكبّر، فكان تكبّره فيها خروجه وهبوطه منها فالأمر تكويني ويشعر بذلك أيضاً أنّه سبحانه لم يجب عمّا ادّعاه إبليس ولم يبطل، بل طرده بقوله: ﴿فَاهْبِطْ﴾.

وعلى هذا فلولا أن خلق الله آدم وأمرهم بالسجود كان إبليس على ما كان عليه سائر الملائكة الطاهرين من القرب والمنزلة، غير أنّ خلقة آدم وما تبعها شقّ الطريق طريقين وهيّأ وعيّن سبيلي السعادة والشقاوة.

---

١. الأنبياء (٢١): ٢٦ ـ ٢٧.

٢. الكهف (١٨): ٥٠.

وقوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ﴾

يريد ما منعك أن تسجد، كما وقع في سورة (ص)، ولذا قيل: إنّ (لا) زائدة للتأكيد، كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ﴾[١]، ومن المحتمل أن يكون قوله: ﴿مَنَعَكَ﴾ . مضمّناً معنى حملك أو معنى دعاك، أي ما حملك على أن لا تسجد، أو ما دعاك إلى أن لاتسجد.

وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾

أوّل معصيته لعنه الله، وهي أول معصية، وقوله عنوان فعله، وجميع المعاصي عند التحليل يرجع إلى دعوى الأنانية، وسيجيء توضيحه، ولم يأت سبحانه بجواب دعواه الخيرية، فإنّه مفروغ عنه، فإنّ ابتداء القصة قوله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، وقد بان في ذلك فضل آدم كلّ البيان والظهور.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ﴾

من الصغار وهو الإهانة والمذلّة.

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ﴾

استنظر إلى يوم القيامة، فأجيب إلى اصل الفطرة ولم يُجَب إلى يوم القيامة بدليل قوله تعالى في سورتي الحجر وص: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنْظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[٣] ويدلّ ذلك على أنّه كان في قوته أن يستمرّ على إغوائه في البرزخ

---

١. الحديد (٥٧): ٢٩.

٢. البقرة (٢): ٣٠.

٣. الحجر (١٥): ٣٧ ـ ٣٨.

كالدنيا، وإنّ عدم استجابته إلى ذلك كان منة منه تعالى لعباده، فوسوسته ممتدة إلى آخر الدنيا، وإن كان ربّما صحب الإنسان بعد موته أيضاً كما يدلّ عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ * وَلَنْ يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[1] ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[2]، وقوله: ﴿ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ ٱللهِ﴾[3].

وقوله: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾

نسب إليه الإغواء، والغيّ: خلاف الرشد الضلال والخيبة، أي بسبب إلقائك إيايّ في جانب الضلال، أو بما خيّبتني وهو الأظهر.

وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

وصف لكيفية إضلاله الناس، وبذلك يظهر كيفية فعله ونوع عمله، وقد وصف سبحانه كيفية عمله بوجوه من الوصف، وبيّنها بطرق من البيان فقال هاهنا: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ

---

١. الزخرف (٤٣): ٣٦ ـ ٣٩.

٢. ق (٥٠): ٢٧.

٣. الصافات (٣٧): ٢٢ ـ ٢٣.

لَايُؤْمِنُونَ﴾(١)، وقال في سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(٢)، وقال في سورة الاسراء: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾(٣)، وقال في سورة الناس: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ﴾(٤)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في القرآن الكريم.

ويتحصّل من مجموع هذه الأوصاف أنّ الشيطان موجود يمكنه أن يلي من الإنسان نفسه، فتكون نفسه للشيطان كما هو لنفسه فتكون نفسه نفساً شيطانية، ويتبعها جميع أفعاله وأعماله للشيطان كما هي.

ويمكنه أن يتصرّف في جميع جهات الحياة الدنيا بالغرور، فيبدي الباطل مكان الحقّ، فلا يرتبط الانسان بشيء إلّا من وجه الباطل وصورته الغارّة، وهذا هو الاستقلال الذي يعطيه الإنسان للأشياء والأسباب التي يعوّل عليها، والغايات التي يؤمّلها أو يرجوها فيها، فيستر وجه الحق وينهى عنه ومن هنا يظهر موقع الشيطان من الدنيا، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾(٥)، وقال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيا وَلَا يَغُرَّنَّكُم

---

١. الأعراف (٧): ٢٧.
٢. الحجر (١٥): ٣٩ ـ ٤٠.
٣. الإسراء (١٧): ٦٢ ـ ٦٤.
٤. الناس (١١٤): ٤ ـ ٥.
٥. محمد (٤٧): ٣٦.

بِاللهِ ٱلْغَرُورُ﴾[١]، وقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْـغُرُورِ﴾[٢]، وجـميع ذلك يرجع إلى العلوم والإعتقادات التي يستعملها الإنسان في أطوار حياته الدنيا، فهذه العلوم هي التي يربّيها إبليس في نفس الإنسان، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[٣]، فأتى بالوسوسة وهـو حـديث النـفس، والهـمس مـن الصوت، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾[٤]، ﴿و قال تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ ٱلأنْسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً﴾[٥]، فأتى بلفظ الوحي وهو الكلام الخفي، وقال الله تعالى: ﴿وَقُل رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾[٦]، فسمّاه همزاً وهو كالغمز كلام بالإشارة وقد جمع الجميع في قوله لعنه الله كما حكاه تعالى في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِىَ ٱلأَمْرُ إِنَّ ٱللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[٧].

وأنت إذا تأملت وتدبرت في هذه الآيات، وإطلاق قوله: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلأَرْضِ﴾[٨] وقوله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٩] وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[١٠] وقوله: ﴿إِنَّا جَـعَلْنَا

١. فاطر (٣٥): ٥.
٢. آل عمران (٣): ١٨٥.
٣. الناس (١١٤): ٥.
٤. الأنعام (٦): ١٢١.
٥. الأنعام (٦): ١١٢.
٦. المؤمنون (٢٣): ٩٧.
٧. إبراهيم (١٤): ٢٢.
٨. الحجر (١٥): ٣٩.
٩. الأعراف (٧): ٢٥.
١٠. الكهف (١٨): ٧.

﴿ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾[١]، تحصّلت أنّ هذه الحياة الدنيا التـي هـي متقوّمة بغرور الشيطان، التي بعينها فتنة وإبتلاء من الله سبحانه لعباده.

ثم إنّ الإنسان بالبداهة لا يرى علمه إلّا لنفسه، ولا فعله إلّا عن نفسه، فسنخ فعل الشيطان وعمله سنخ لا يزاحم ما عليه الإنسان من الإستقلال في نـفسه، على خلاف الاعمال والأفعال المألوفة، حيث إنّ وجود الشريك يسقط الشريك عن الإستقلال والتفرّد بالفعل، وبهذا الذي ذكرنا يظهر كيفية موقعه من الإنسان وقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ﴾[٢]، ولم يقل: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ ولا ترونهم حتى يدلّ على اختلاف في وصف فقط وهو الرؤية وعدمها، بل أتى بقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ فدلّ على أنّ موقعه موقع لا يمكن للإنسان أن يجده، أي سنخ وجوده من غير سنخ الأجسام، حتى يحسّ به بالإنفصال أو السراية والإحتلال، والقرب والأجتماع والافتراق.

وممّا مرّ يظهر أنّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾، لا يعني بها الجهات الأربعة المحسوسة، عـلى أنّـه سبحانه قال قبل ذلك: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْـمُسْتَقِيمَ﴾، وإنّما هو صـراط ممدود إلى الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[٣]، فما بين أيدي الإنسان ما يتوجّه إليه من الآخرة وما خلفه ما يستدبره ويتخلّفه من الدنيا، وجانبا اليمين والشمال أسباب الميمنة وأسباب المشأمة، ومن ذلك

---

١. الأعراف (٧): ٢٧.
٢. الأعراف (٧): ٢٧.
٣. الإنشقاق (٨٤): ٦.

يظهر أنّ الصراط المستقيم حقيقة الطريق الذي يسلكه الإنسان ويقطعه سائراً إلى ربّه، لا مجرّد المعارف الدينية الإدراكيّة التي هي صراط بنحو من العناية.

وقوله سبحانه: في ذيل الآيات: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[١]، مشعر بأنّ له ـ لعنه الله ـ قبيلاً، أي قبيلاً،[٢] وظاهر الآية أنّ نسبة قبيله من بني آدم في إغوائهم نسبة نفس إبليس، وأنّ الجميع شياطين وأولياء للذين لا يؤمنون، وقال سبحانه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[٣]، فأثبت له ذرية، والذرية ـ على ما يظهر من اللغة ـ الخلق بالنسل بنحو التجزّي والإنفصال كالتبعيّة، قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾[٤]، وكلامه سبحانه وإن لم يقصّ كيفية انتشار ذراريه وقبيله منه، غير أن لفظ الذرية والقبيل يعطي أنّ وجودهم من نوع وجوده، وفعلهم من نوع فعله، ومع ذلك فهو آمر في ذريّته ومتبوع مطاع في قبيله، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾[٥]، والآية مع ذلك تشعر بأنّ فيهم نوعاً من الإختلاف وهو الشدّة والضعف وسرعة العمل وبطئه، فإنّ الفارق بين الخيل والرَجِل هو سرعة اللحوق وبطئه، ونوعاً آخر من الإختلاف وهو الإجتماع في العمل والإنفراد كما يدلّ عليه أيضاً قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[٦]،

---

١. الأعراف (٧): ٢٧.

٢. هكذا في الخطوط ولعلّ الصحيح «خيلاً»، والقبيل جمع القبيلة كما يظهر من مراجعة *المفردات* للراغب الاصفهاني.

٣. الكهف (١٨): ٥٠.

٤. يونس (١٠): ٨٣.

٥. الإسراء (١٧): ٦٤.

٦. المؤمنون (٢٣): ٩٧ ـ ٩٨.

وقوله سبحانه ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[٢].

ونوعاً آخر من الإختلاف وهو أنّ إلقائهم الوسوسة ربّما كان في المعصية، وربّما كان في أُمور أُخر ربّما ينجرّ إليها، كالأخبار والمعارف والعلوم، وهو ظاهر.

ونوعاً آخر من الإختلاف وهو أنّهم ربّما كانوا من الناس دون الجنّ، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[٣]، ومع هذا كلّه ففعل ذريّته وقبيله هو فعله، ووسوستهم وإغوائهم عين وسوسته وإغوائه، كما هو ظاهر قوله: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٤]، فنسبته إليهم في إضلال الإنسان وإلقاء الوسوسة في صدره نسبة عظام الملائكة إلى أعوانهم في ما يجرونه من أمر ربّهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ ٱللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾[٨]، ﴿بِأَيْدِى

---

١. الشعراء (٢٦): ٩٤ ـ ٩٥.
٢. الشعراء (٢٦): ٢٢١ ـ ٢٢٣.
٣. الناس (١١٤): ٤ ـ ٦.
٤. ص (٣٨): ٨٢.
٥. السجدة (٣٢): ١١.
٦. الأنعام (٦): ٦١.
٧. الشعراء (٢٦): ١٩٣ ـ ١٩٤.
٨. البيّنة (٩٨): ٢.

سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[١].

فقد تبيّن من جميع ما تقدم إنّ إبليس ـ لعنه الله ـ موجود مخلوق يدعو إلى الشرّ كان في مرتبة مشتركة مع الملائكة لم يتميّز منهم إلّا بعد خلق الإنسان وحينئذٍ وقع في جانب الشرّ والشقاء، وإليه يستند انحراف الإنسان عن الصراط المستقيم وانسياقه إلى جانب الشقاء والضلال وجهة المعصية والباطل، كما أنّ المَلَك إليه يستند هداية الإنسان إلى غاية السعادة، ومنزل الكمال والقرب، وله لعنه الله ذرية وأعوان مختلفوا الأنواع لهم أن يتصرفوا في جميع ما يمكن أن يرتبط به الإنسان من الدنيا وما فيها باظهار الباطل في صورة الحق، وتزيين القبيح في صورة الجميل فأفعالهم غير متميّزة من أفعال الإنسان ولا مزاحمة، كما أنّ ذواتهم ووجوداتهم في غير عرض وجود الإنسان وسنخ ذاته، وهم يتصرفون في قلوب الناس وفي أبدانهم وفي سائر شؤون الدنيا وحياتها؛ بتصرّفات مختلفة إجتماعاً وانفراداً وبلا واسطة ومع الواسطة، وربّما فارقوا الإنسان، وربّما صاحبوه مدة حياته وفي قبره ويوم حشره هذا، وعلى هذا وردت الروايات.

ففي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ الملائكة كانوا يحسبون أنّ إبليس منهم، وكان في علم الله أنّه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه من الحميّة[٢] فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾»[٣][٤].

---

١. عبس (٨٠): ١٥ ـ ١٦.
٢. في المصدر: «بالحمية والغضب»
٣. ص (٣٨): ٧٦.
٤. *الكافي* ٢: ٣٠٨، باب العصبية، الحديث: ٦.

أقول: وقد مرّ معناه.

وفي *العيون*: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «إنّ ابليس أوّل من كفر وأنشأ الكفر»[١].

أقول: وروى *العيّاشي*: مثله عن الصادق ـ عليه السلام ـ[٢].

وفي *الكافي*[٣]: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث: «إنّ أوّل معصية ظهرت الأنانية من[٤] إبليس اللعين حين أمر الله ملائكته بالسجود لآدم، فسجدوا وأبى اللعين[٥] أن يسجد»[٦]، الحديث.

أقول: قوله: (الأنانية) خبر إنّ وقوله: (من إبليس) ظرف مستقر وخبر بعد خبر، والأنانيّة: قول: «أنا»، وليس كلّ قول: «أنا» أو ما في معناه بمذموم فقد حكاه الله سبحانه عن أُناس وارتضاه ولم يذمّه، كقول إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٧]، وقول أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ﴾[٨]، إلى غير ذلك من آيات كثيرة، بل قول: «أنا» في مقام دعوى الإستقلال الوجودي، وقد أثبت سبحانه لنفسه ملك كلّ شيء في آيات كثيرة وكلّ شيء وكلّ ما لكلّ شيء فهو لله سبحانه، وهذا يوجب أن لا يُلتفت إلى شيء ولا ينظر إليه نظر الإستقلال والإستغناء عنه عزّ اسمه، فإذا نُظر إلى شيء كذلك

---

١. عيون أخبار الرضا ـ عليه السلام ـ ٢: ٢٢١.
٢. تفسير العياشي ١: ٣٤، الحديث: ١٧.
٣. لم نجده في الكافي.
٤. في علل الشرايع: «عن»
٥. في علل الشرايع: «إبليس اللعين»
٦. علل الشرائع ١: ٦٢، الحديث: ١.
٧. الشعراء (٢٦): ٨٣.
٨. الأنبياء (٢١): ٨٣.

فقد تحقّقت الغفلة عنه تعالى، وكلّ معصية ومخالفة بأيّ وجه اتّفقت وفي أيّ مرتبة تحقّقت؛ لم تتحقّق إلّا بالذهول عنه تعالى والإقبال إلى غيره، وإعطاء الإستقلال لنفس العاصي وللغير فلا تخلو معصية عن دعوى الأنانية وإثبات الشريك في الملك والربوبية له سبحانه؛ ولذلك كانت الأنانية أوّل معصية عُصي بها الله سبحانه، وإليها ترجع جميع المعاصي والرذائل، ويلازمها الغفلة كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ﴾[١]، فالأنانية أوّل المعاصي من حيث رجوع الجميع بالتحليل إليها، وهي أوّل من حيث صدورها من إبليس ـ لعنه الله ـ

وفي *تفسير القمي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «الإستكبار هو أوّل معصية عُصي الله بها»[٢].

وفي *المعاني*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ «إنّه سُمي إبليس، لأنه أبلس من رحمة الله[٣].

وفي *تفسير القمي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث فقال إبليس: «يا رب، فكيف وأنت العدل الذي لا يجور[٤] فثواب عملي بطل، قال: لا، ولكن سلني[٥] من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك أعطك[٦]، فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال الله: قد أعطيتك، قال: سلّطني على ولد آدم، قال: قد سلطتك،

---

١. الأعراف (٧): ١٧٩.
٢. *تفسير القمي* ١: ٤٢.
٣. *معاني الأخبار*: ١٣٨، «باب معنى إبليس»، الحديث: ١.
٤. في المصدر: «لا تجور»
٥. في المصدر: «إسأل»
٦. في المصدر: «فاعطيتك»

قال: أجرني فيهم[١] مجرى الدم في العروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يولد[٢] لهم ولد إلّا ولد[٣] لي إثنان[٤]، وأراهم ولا يروني، وأتصوّر لهم في كل صورة شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يا ربّ زدني، قال: قد جعلت لك ولذريتك صدورهم[٥] أوطاناً، قال ربّ حسبي، فقال إبليس عند ذلك: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾»[٦][٧]، الحديث.

أقول: وفي هذا المساق أحاديث أُخر، وقد عرفت أنّ مضمونها مستفادة من الآيات، غير أنّ سياق الآيات يعطي أنّ هذه السؤالات وإجابتها منه كان بحسب الوجود والتكوين بيّنت في الروايات في صورة المحاورة تمثيلاً، كما يظهر من مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٨].

وفي *العلل*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[٩]، أنّه سُئل عنه فقال عليه السلام: «يوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية»[١٠].

---

١. في المصدر: «منهم»

٢. في المصدر: «ولا يلد لهم»

٣. في المصدر: «ويلد لي»

٤. في المصدر: + «قال»

٥. في المصدر: «قد جعلت لك في صدورهم»

٦. ص (٣٨): ٨٢ ـ ٨٣.

٧. تفسير *القمّي* ١: ٤٢.

٨. الإسراء (١٧): ٦٢.

٩. الحجر (١٥): ٣٧ ـ ٣٨.

١٠. *علل الشرائع* ٢: ٤٠٢، الباب: ١٤٢، الحديث: ٢.

أقول: وفي الأخبار تفسير الآية بغير هذا التفسير، وسيأتي تفسير الجميع في سورة الحجر إن شاء الله تعالى.

وفي *النهج*: في خطبة له ـ عليه السلام ـ في صفة خلق آدم: «واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له، والخشوع لتكرمته، فقال سبحانه: اسجدوا لادم فسجدوا إلّا ابليس وجنوده[١] اغترتهم[٢] الحميّة، وغلبت عليهم[٣] الشقوة»، الخطبة[٤].

وفي تفسير *العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: والذي بعث[٥] محمداً؛ للعفاريت والأبالسة على المؤمن أكثر من الزنابير على اللحم[٦].

وفيه أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، عنه ـ عليه السلام ـ: «الصراط هنا علّي»[٧].

أقول: وهو من التفسير بحسب البطن، وقد مرّ بيانه في تفسير الفاتحة.

واعلم أنّ الأخبار في أنحاء تصرفاته أكثر من أن تحصى، وهي على قسمين:

أحدهما: ما يبيّن تصرفاته من غير تفسير، كما في *الكافي*: عن علي ـ عليه السلام ـ: لا تؤوا منديل اللحم في البيت؛ فإنّه مربض الشيطان ولا تؤوا

---

١. في المصدر: ـ «وجنوده»
٢. في المصدر: «اعترته»
٣. في المصدر: «عليه»
٤. *نهج البلاغة* (عبده) ١: ٢١، الخطبة: ١.
٥. في المصدر: + «بالحق»
٦. تفسير *العياشي* ٢: ٣٠١، الحديث: ١١١.
٧. راجع: تفسير *العياشي* ٢: ٩، الحديث: ٦.

التراب خلف الباب فإنه مأوى الشيطان»[١].

وفيه: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ على ذروة كلّ جسر شيطاناً فإذا انتهيت إليه فقل: بسم الله، يرحل عنك»[٢].

وفي *الكافي*: عن علي ـ عليه السلام ـ قال رسول الله [ـ صلّى الله عليه وآله ـ]: بيت الشيطان في[٣] بيوتكم بيت العنكبوت[٤].

وفيه أيضاً: عن أحدهما عليهم السلام قال: «لا تشرب وأنت قائم، ولا تبل في ماء نقيع، ولا تطف بقبر، ولا تخل في بيت وحدك، ولا تمش بنعل[٥] واحدة، فإنّ الشيطان أسرع ما يكون إلى العبد إذا كان على بعض هذه الأحوال»[٦].

وفي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: إذا[٧] ذكر اسم الله تنحّى الشيطان وإن فعل ولم يسمّ أدخل ذكره وكان الحمل منهما جميعاً والنطفة واحدة»[٨].

وفي *تفسير القمي*: عنه ـ عليه السلام ـ: «ما كان من مالٍ حرام فهو شرك الشيطان»[٩].

---

١. راجع: *الكافي* ٦: ٥٣١، باب النوادر، الحديث: ٦؛ *علل الشرائع* ٢: ٥٨٣، باب ٣٨٥، الحديث: ٢٣.
٢. *الكافي* ٤: ٢٨٧، باب الدعاء في الطريق، الحديث: ٣.
٣. في المصدر: «الشياطين من»
٤. *الكافي* ٦: ٥٣٢، باب النوادر، الحديث: ١١.
٥. في المصدر: «في نعل»
٦. *الكافي* ٦: ٥٣٤، باب كراهية أن يبيت الإنسان وحده والخصال المنهي عنها لعلّة مخوفة، الحديث: ٨.
٧. في المصدر: «إنْ»
٨. *الكافي* ٥: ٥٠١، «باب القول عند دخول الرجل بأهله»، الحديث: ٣.
٩. *تفسير القمي* ٢: ٢٢.

وفي الحديث: «من نام سكران[١] بات عروساً للشيطان»[٢].

أقول: والأخبار في هذه المعاني أكثر من أن تحصى، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ﴾[٣].

والقسم الثاني من الأخبار ما فيه بعض التفسير لصفاته ومختصاته لعنه الله:

ففي *الكافي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم»[٤].

وعن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «إنّ الشيطان يجري[٥] من ابن آدم مجرى الدم[٦] فضيّقوا مجاريه بالجوع»[٧].

وفي *المحاسن*: عن الرضا، عن آبائه، عن علي ـ عليهم السلام ـ في حديث: «فأمّا كحله فالنوم، وأمّا سفوفه فالغضب، وأما لعوقه فالكذب»[٨].

وفي الحديث: «إنّ موسى رآه وعليه برنس فسأله عن برنسه، فقال: به اصطاد قلوب بني آدم»[٩].

وفي *مجالس* عن الشيخ عن الرضا، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ: «إنّ ابليس كان يأتي الأنبياء من لدن آدم» إلى أن بعث الله المسيح ـ عليه السلام ـ يتحدّث

---

١. في المصدر: «سكراناً»
٢. *بحار الأنوار* ٧٦: ١٤٨.
٣. المائدة (٥): ٩٠.
٤. *الكافي* ٢: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، «باب الغضب»، الحديث: ١٢.
٥. في المصدر: «ليجري»
٦. في المصدر: + «ألا»
٧. *بحار الأنوار* ٦٠: ٣٣٢.
٨. *بحار الأنوار* ٦٠: ٢١٧ عن *المحاسن*.
٩. راجع *الكافي* ٢: ٣١٤، باب العجب، الحديث: ٨.

عندهم ويسائلهم، ولم يكن بأحد منهم أشدّ أنساً منه بيحيى بن زكريا، فقال له يحيى: يا أبا مرّة إنّ لي إليك حاجة، فقال له: أنت أعظم قدراً من أن أردّك بمسألة فاسألني[١] ما شئت فإنّي غير مخالفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مرّة، أحبّ أن تعرض عليَّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بنى آدم،قال له إبليس: حبّاً وكرامة وواعده لغد.

فلّما أصبح يحيى قعد في بيته ينتظر الوعد[٢] وأغلق[٣] عليه الباب اغلاقاً، فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القـرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً[٤]، وإذا أسنانه وفمه مشقوقات طولاً[٥] عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيد، يـدان فـي صدره، ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قوادمه، وأصابعه خلفه، وعليه قباء، وقد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين[٦] أحمر وأصفر وأخضر[٧] وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلّاب، فلمّا تأمله يحيى ـ عليه السلام ـ قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك، فقال: هذه المجوسيّة أنا الذي سننتها وزيّنتها لهم، فقال له: ما هذه[٨] الخـطوط[٩]

---

١. في المصدر: «فسلني»
٢. في المصدر: «الموعد»
٣. في المصدر: «وأجاف»
٤. في المصدر: «وفمه مشقوق طولاً»
٥. في المصدر: ـ «مشقوقات طولاً»
٦. في المصدر: «من بين»
٧. في المصدر: «وأخضر وأصفر»
٨. في المصدر: «فما»
٩. في المصدر: «الخيوط»

الألوان قال: هذه جميع أصناع[١] النساء لا تزال المرأة تصنع الصنيع[٢] حتى يقع مع لونها فأفتن[٣] الناس بها، فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك. قال: هذا مجمع كلّ لذّة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وإنّ القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذّونه فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخفّ بهم[٤] الطرب، فمن بين من يرقص، ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشقّ ثيابه، فقال له: وأيّ الأشياء أقرّ لعينك قال: النساء هنّ فخوخي ومصائدي، فإنّي إذا اجتمعت إلى دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن.

فقال له يحيى ـ عليه السلام ـ: فما هذه البيضة على رأسك، قال: بها أتوقّى دعوة المؤمنين، قال: فما هذه الحديدة التي أرى[٥] فيها، قال: بهذه أقلّب قلوب الصالحين. قال يحيى ـ عليه السلام ـ: فهل ظفرت بي ساعة قط، قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى ـ عليه السلام ـ: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول، فإذا أفطرت أكلت وبشمت، فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل.

قال يحيى ـ عليه السلام ـ: فإنّي أعطي الله عهداً إني لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أن[٦] لا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك[٧].

---

١. في المصدر: «أصباغ»
٢. في المصدر: «تصبغ الصبغ»
٣. في المصدر: «فأفتنن»
٤. في المصدر: «استخفهم»
٥. في المصدر: «أراها فيها»
٦. في المصدر: «أني»
٧. *الأمالي للطوسي*: ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

أقول: والحديث مروي من طرق العامة أبسط من ذلك، والأخبار في أنحاء إغواءاته وأقسام تزييناته عند أنواع المعاصي كثيرة، والجميع تشهد بأنّها تشكلات مثالية على حسب ما يلائم نوع المعصية من الشكل والكيفيّة، نظير ما تتمثّل الحوادث في الرؤيا على حسب المناسبات المألوفة والاعتقادات المعتادة.

ومن هذا القسم يتبيّن أنّ الكيفيّات والخصوصيّات الواردة في القسم الأوّل من الأخبار؛ إنّما هي أنواع نسب تكون بين هذا الموجود وبين الأشياء تدعو إلى وساوس وخطرات تناسبها، والله اعلم (١).

وفي *المجمع*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: «معناه اهوّن عليهم أمر الآخرة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾، أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ بتحبيب اللذات عليهم (٢) وتغليب الشهوات على عقولهم» (٣)(٤).

أقول: وقد تبيّن معنى الرواية فيما مرّ والقرآن يخصّ اليمين بالأمور المسعودة والشمال بالأمور المشؤومة المنحوسة.

قوله سبحانه: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾

خصّ ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ و مِنْ خَلْفِهِمْ﴾، بلفظة: ﴿مِنْ﴾ ﴿وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ

---

١. في المخطوط بعده «تمت الحاشية».

٢. في المصدر: «إليهم»

٣. في المصدر: «قلوبهم»

٤. مجمع *البيان* ٤: ٢٢٨.

﴿شَمَائِلِهِمْ﴾ بلفظة: ﴿عَنْ﴾.

قيل في وجهه: إنّ الملكين الكاتبين للأعمال لمّا كانا قاعدين عن اليمين والشمال لا يقرب الشيطان منهما، بل يتباعد عنهما.

أقول: وهو وجه غير مغنٍ فإنّ التعدية بـ(عن) غير مختص بإتيان الشيطان؛ بل مطّرد في غيره، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ﴾[1]، وقوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[2]، وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾[3].

وقيل: إنّ اختلاف الحروف في التعدية لغة تؤخذ ولا تقاس، إنما يفتّش عن صحّة موقعها فقط، فلمّا سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه: إنّه تمكّن من جهة اليمين تمكّن المستعلي من المستعلى عليه، ومعنى عن يمينه: إنّه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له، ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره. إنتهى[4].

أقول: وهو غير وافٍ، فإنّ السؤال باقٍ بعد، فإنّ الوجه الذي ذكره يمكن انطباقه على ما بين الأيدي وعلى الخلف فتخصيص الإثنين من بين الأربعة لا بدّ له من وجه.

ويمكن أن يقال: إنّ معنى التجاوز متقدّم بظهورٍ بعد خفاء وهو إنّما يتمّ في جانبي اليمين والشمال، وأمّا ما بين الأيدي ففيه معنى الظهور فقط، وأمّا الخلف

---

١. النحل (١٦): ٤٨.
٢. ق (٥٠): ١٧.
٣. الصافات (٣٧): ٢٨.
٤. راجع *الكشّاف* ٢: ٩٣؛ للزمخشري؛ *الميزان في تفسير القرآن* ٨: ٣٢.

ففيه معنى الخفاء فقط، بخلاف اليمين والشمال ففي الكلام تلميح إلى ذلك، وقد شاع ذلك حتى جعل (عن) بمنزلة الجزء من الكلمة، فاستعمل اسماً وأُدخل عليه (من) فقيل: من عن يمينه ومن عن شماله وذلك من التطوّر في اللغة.

قوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

وهؤلاء الأكثرهم المتبعون له من الغاوين بدليل قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[١]، وقد عبر عنه في موضع آخر بقوله: ﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[٢]، وغير هؤلاء هم المخلصون قال: ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣].

ومن هنا يستفاد أنّ الشاكرين مخلصون، بمعنى ثبوت الوصف لا حدوث الفعل، والشكر إنّما يكون على نعمةٍ أنعمها منعم، ومعناه استعمال النعمة على وجه يحكي الإستعمال، كونها نعمة بدليل قوله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

وأصل الكفر الستر، فالشكر كشف وحكاية، فيؤول المعنى إلى الذكر والنسيان فالشاكرون هم الذين لا ينسون الله في نعمة أنعمها عليهم، وكلّ شيء نعمة، فهم لا ينسون الله في شيء من أنفسهم وغير أنفسهم طرفة عين، فهم

---

١. الحجر (١٥): ٤٢.

٢. النساء (٤): ١١٨.

٣. ص (٣٨): ٨٢ ـ ٨٣.

٤. إبراهيم (١٤): ٧.

٥. البقرة (٢): ١٥٢.

الذاكرون وهم المخلصون، وللكلام ذيل سيمرّ بك إن شاء الله.

وفي *المجمع*: عن *تفسير الثمالي*، عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ في قوله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[١]، قال ـ عليه السلام ـ: «من بنى آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة»[٢].

وفي رواية أخرى: «من كلّ ألف واحد لله وسائرهم للنار ولإبليس»[٣].

أقول: والعدد للتكثير لا للتحديد.

قوله سبحانه: ﴿مَذْئوماً مَدْحُوراً﴾

ذأمه بالهمزه، أي ذمّه، والدحرُ هو الطرد.

قوله: ﴿و يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾

عطفه على ما قبله من غير فصل يشعر بكون الجميع قصة واحدة مربوطة بجميع الإنسان لا مختصة بآدم ـ عليه السلام ـ وحده كما، وقد مرّ قد الكلام في قصة جنة آدم في سورة البقرة.

قوله: ﴿فَدَلَّيهُمَا﴾ ـ إلى قوله: ـ ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾

التدلية: الإنزال والتقريب.

وفي *تفسيري القمي والعياشي*: عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن

---

١. النساء (٤): ١١٨.

٢. مجمع *البيان* ٣: ١٩٤.

٣. نفس المصدر.

الصادق ـ عليه السلام ـ: «كانت سوآتهما لا تبدو لهما، فبدت[١]، يعنى كانت داخلة»[٢][٣].

أقول: وروى قريباً منه العياشي في *تفسيره* عن عبدالله بن سنان عنه عليه السلام[٤].

وقوله: «يعني كانت داخلة» من كلام الراوي بقرينة قوله: «يعني» وقد أخطأ في معناه بدليل قوله تعالى: ﴿**لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا من سَوْآتِهِمَا**﴾، ولو كان كما فسّر لم يكن لتقييد الكلام بقوله: عنهما معنى، وكان حق الكلام أن يقال: ما وُري من سوآتهما، بل معنى كلامه عليه السلام: أنّ سوآتهما ما كانت ظاهرة لهما فظهرت بعد الأكل، وقد مرّ توضيحه في سورة البقرة.

وقوله: ﴿**يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا**﴾

أي يلزقان بعض الورق ببعض لستر ما بدت من سوآتهما.

قوله سبحانه: ﴿**وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾

وهو قوله تعالى في سورة (طه) في أول القصة: ﴿**فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هٰذا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ**﴾[٥].

*

١. في *تفسير القمي*: ـ «فبدت»
٢. في *تفسير العياشي*: «من داخل»
٣. *تفسير القمي* ١: ٢٢٥.
٤. *تفسير العياشي* ٢: ١٠ ـ ١١، الحديث: ١١.
٥. طه (٢٠): ١١٧.

[يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ
ٱلتَّقْوَىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِى آدَمَ
لَايَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَاتَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا
ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا
عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَٱللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا
لَاتَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً
حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱللهِ
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَايُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ
ٱللهِ ٱلَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى
ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾
قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ

ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى ٱللهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَايَستَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَا بَنِى آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾]

قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِى آدَمَ﴾

في تفسير *العياشي*: عنهما عليهما السلام قالا: «هي عامة»[١].

أقول: وهذه أربعة خطابات وهي بعينها الخطابات التي أوردت في غير هذه السورة مختصة بآدم ـ عليه السلام ـ وعمّمت في هذه السورة لجميع بنى آدم، والثلاثة الأول منها، هي الراجعة إلى الأكل والشرب واللباس تُفهم من قوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾[٢] والرابعة: مفهومة من قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً﴾[٣].

ومن عمومها يُستفاد أنّ ما اشتملت عليه هذه الخطابات على الإجمال أمور مشرّعة في جميع الشرائع من غير استثناء.

قوله سبحانه: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَٰتِكُمْ وَ رِيشاً﴾

اللباس: الثياب التي تستر سوأة البدن، والريش: ما يتجمل به مأخوذ من ريش

---

١. تفسير *العياشي* ٢: ١١، الحديث: ١٣.

٢. طه (٢٠): ١١٧ ـ ١١٨.

٣. طه (٢٠): ١٢٣.

الطائر استعارة لتزيّنه به، ووصفه سبحانه اللباس والريش بأنّه أنزله نظير قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾(١)، وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾(٢)، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٤).

ومن هنا يتبيّن معنى ما في *الإحتجاج*: عن علي ـعليه السلام ـ في آيتي الأنعام والحديد، قال عليه السلام: «إنزاله ذلك خلقه إيّاه»(٥)، الحديث.

وفي الآية مع ذلك دلالة على شمول الخلقة لما عملته الأيدي، وإنّ الخلقة ليست على نسق واحد.

قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾

في *تفسير القمّي*: عن الباقر ـعليه السلام ـ في الآية: «وأمّا(٦) اللباس فالثياب التي يلبسون، وأما الرياش فالمتاع والمال، وأمّا لباس التقوى فالعفاف، إنّ(٧) العفيف لا تبدو له عورة وإن كان عارياً من الثياب، والفاجر بادي العورة وإن كان كاسياً من الثياب، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، يقول: والعفاف(٨) خير»(٩).

---

١. الزمر (٣٩): ٦.
٢. الحديد (٥٧): ٢٥.
٣. الحجر (١٥): ٢١.
٤. القمر (٥٤): ٤٩.
٥. *الإحتجاج* ١: ٣٧٢.
٦. في المصدر: «فأمّا»
٧. في المصدر: «لأن»
٨. في المصدر: «يقول: (وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ) يقول: العفاف خير»
٩. *تفسير القمي* ١: ٢٢٦.

أقول: والعفاف: التحفّظ من طغيان الشهوة وسقوطه وأخذ طريق الإعتدال فيها، وفي الحديث تخصيص لباس التقوى بمورد الشهوة من غير تعميم بمورد الغضب أيضاً وهو المؤيّد بخصوصية الإستنتاج الذي في الآية، فإنّ هذه الخطابات كالإستنتاج من قصّة الجنّة.

وفي *تفسير القمّي*: أيضاً قال عليه السلام: «لباس التقوى ثياب[1] البياض»[2].

أقول: ولعلّه لكونها مصداقاً للعفاف من حيث اللون في اللباس فإنّ البياض متوسط كالمعتدل بين الألوان المفرّحة المطربة كالحمرة والخضرة، والألوان الكاسرة المحزنة كالسواد والنيليّة.

قوله: ﴿**ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ ٱللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾

إنّه إذا وجب لهم أن يواروا سوءاتهم باللباس ويتزيّنوا بالريش حفظاً لظاهرهم؛ وجب أن يتخذوا نظير ذلك حفظاً لباطنهم وهو لباس التقوى، وفي الكلام التفات من خطاب بني آدم إلى الغيبة، ونقل الخطاب إلى النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ، وأصل الإلتفات في قوله تعالى: ﴿**وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾، حيث لم يقل: ذلكم خير، وصرف الخطاب عنهم إلى النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

والوجه فيه أنّ الإخبار عن أنّه هو أنزل اللباس لمواراة سوءاتهم لا يصحّ اجتماعه مع بيان كونه آية، فإنّ كون شيء آية بالنسبة إلى مراد، وبيان المراد من ذلك الشيء كلّ منهما يغني عن الآخر؛ فلذلك غيّر الخطاب ليكون كأنّه قد بيّن

---

١. في المصدر: «لباس»

٢. *تفسير القمّي* ١: ٢٢٥.

لقومٍ مراده لفظاً، ولقومٍ أنّه وافٍ لبيان مراده، فافهم ذلك.

فإن قلت: فكيف يبيّن كون بعض المخلوقات آية في نحو قوله [تعالى]: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾(١)، وقوله [تعالى]: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾(٢).

قلت: لا ضير فيه، وإنّما يلغو لو كان بيّن لقوم إنّا أحيينا الأرض الميتة فلنا أن نحيي الإنسان الميّت، وأنّ هذه آية لكم في كلام واحد وهو ظاهر بالتأمّل.

قوله: ﴿يَا بَنِى آدَمَ لَايَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ﴾

قدمرّ ما يتعلق بالآية من الكلام وظاهر الآية إطلاق السوءة.

قوله: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْها آبَائَنَاوَاللهُ أمَرَنَا بِهَا﴾

الجملة الثانية لازمة للجملة الأولى، فإنّ الاستناد في الدين لا يجوز إلّا إلى الله سبحانه، فالإستناد إلى فعل الآباء وسنتهم بدعوى أنّ الله أمرهم بها، ولذا نسب إليهم قولهم: ﴿اللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾. وهو جهل، فإنّ آبائهم مثلهم لا يكشف عملهم عن أمر الله وخاصة في الفحشاء، فهو قولٌ منهم على الله ما يعلمون.

وفي *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «من زعم أنّ الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أنّ الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله»(٣).

أقول: [إنّه] ردّ على المجبّرة والقدريّة، فالجبرية لقولها إنّ الله يجبر على

---

١. يسٓ (٣٦): ٣٣.

٢. الشورى (٤٢): ٣٢.

٣. تفسير *العياشي* ٢: ١٢، الحديث: ١٦.

الأفعال ومنها: المعاصي والفحشاء، يكذب قوله [تعالى]: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾، والقدريّة لقولها: إنّ الخير والشرّ من الأفعال إلى الانسان، يكذب قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١] كما في الرواية.

قوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

المسجد: هو زمان السجود أو مكانه أو السجود وهو الصلاة.

وفي *الكافي*: مضمراً، وفي *تفسير العياشي*: عن عبد صالح، في الآية السابقة قال: «هل رأيت[٢] أحداً زعم[٣] أن الله أمر[٤] بالزنا و[٥] شرب الخمر وشيء من هذه المحارم» فقيل: لا، قال[٦]: «ما هذه الفاحشة التي يدّعون[٧] أنّ الله أمرهم بها»[٨]، قيل: الله أعلم ووليّه، فقال[٩]: «فإنّ[١٠] هذا في[١١] أئمة الجور إدّعوا أنّ الله أمرهم بالإيتمام بقوم لم يأمرهم الله[١٢] بالإيتمام بهم، فردّ الله ذلك عليهم فأخبر[١٣]

---

١. القمر (٥٤): ٤٩.
٢. في *تفسير العياشي*: «أرأيت»
٣. في *تفسير العياشي*: «يزعم»
٤. في *تفسير العياشي*: «أمرنا»
٥. في *الكافي*: «أو»
٦. في المصدرين: «فقال»
٧. في *تفسير العياشي*: «تدعون»
٨. في *تفسير العياشي*: «أمر بها»
٩. في *الكافي*: «قال»
١٠. في *تفسير العياشي*: «إنّ»
١١. في *تفسير العياشي*: «من»
١٢. في *تفسير العياشي*: ـ «بالايتمام بقوم لم يأمرهم الله»
١٣. في *تفسير العياشي*: «فأخبرنا»

أنّهم قد قالوا عليه الكذب وسمّى ذلك منهم فاحشة»[١].

وفي *تفسير العياشي*: عن الصادق ـعليه السلام ـ: ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، «يعني الأئمة»[٢].

أقول: يعني أئمة الحق، والحديثان جميعاً من باب الجري دون التفسير، ويستفاد ذلك من أخذ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللهَ لَايَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللهِ مَا لَاتَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، كلاماً واحداً جواباً عن دعواهم، فيكون المراد بالفحشاء الجور أو إطاعة الجائر، والله لا يأمر بالجور وإنّما يأمر بالعدل والقسط فيجب إقامة الوجه وهو الاستقبال للعدل والإمام العادل.

قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقاً هَدَىٰ﴾

حال من ضمير الجمع في ﴿تَعُودُونَ﴾، والحال قيد لزمان عامله، والقيد وصف، فالمعنى: إنّ كيفية عودكم أنّكم فريقان فريق مهديّ وفريق ضالّ، وهذا مثل البدء فمحصّل المعنى: أنّكم في العود فريقان كما أنّكم في البدء فريقان، فريق هدى وفريق حق عليهم الضلالة، فالآية من آيات القدر، وتدلّ على مطابقة العود للبدء، وتدلّ ضمناً على أن البدء مختلف، والعود يتبعه، نظيرة عدة أخرى من آيات القدر.

ومحصّل ما يمكن أن يقال في هذا المقام: هو أنّ البيانات الإلهيّة في قصة السعادة والشقاوة وردت على طريقين:

أحدهما: من حيث نسبة الأمر إلى اختيار الإنسان.

---

١. *الكافي* ١: ٣٧٣، الحديث: ٩؛ *تفسير العياشي* ٢: ١٢، الحديث: ١٥.

٢. *تفسير العياشي* ٢: ١٢، الحديث: ١٨.

وثانيهما: من حيث نسبته إلى الحق سبحانه من حيث إيجاده.

الطريق الأوّل: هو الساذج البسيط المأنوس لأوائلِ العقول هو أنّ الله سبحانه خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سوّاه إنساناً تامّاً عاقلاً، يفعل باختياره، ويميّز بين الحسن والقبيح والطاعة والمعصية، والحسنة والسيئة، فإن اتّبع عقله وأطاع ربّه فيما يأمره وينهاه كان سعيداً، وجُوزي جزاءً حسناً، وإن خالف عقله واتبع هواه كان شقياً وجوزي جزاءاً سيّئاً وأُدخل النار وبئس القرار، والدار دار امتحان وابتلاء، والجزاء بعد الموت وفي القيامة وأساس هذا الطريق من البيان على قضيتين.

إحداهما: أنّ بين الفعل الإختياري ومخيّره فرقاً وهي قضيّة عقلية ضرورية غير قابلة للإنكار.

وثانيتهما: أنّ الأفعال الإختيارية تتّصف بحسن وقبح، تستتبع مدحاً وذماً وثواباً وعقاباً، وهي قضية عقلائية لا ينكرها عاقل البتة، فلا يسوغ لأحد أن يتوهّم نوعاً آخر من البيان ينافيه، ولا أن صحّته تبطل صحّة هذا الطريق لاستناده إلى ما عرفت من قضيتين عقلية وعقلائية.

الطريق الثاني: طريق الإستناد إليه سبحانه على ما يلائم ساحة قدسه سبحانه، وهو المسمّى بالقدر يدلّ على ذلك الكتاب والسنّة والآيات في الدلالة عليه مختلفة.

منها: ما يدل على أصله، وأنّ لله سبحانه تأثيراً في كلّ شيء في ملكه، وأن للأشياء بحدودها إستناداً إليه سبحانه لا يشذّ عن حيطة سلطانه شيء أبداً، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾(١)، وقوله تعالى:

---

١. الحجر (١٥): ٢١.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١]، وقوله [تعالى]: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٢] وقد صحّ عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ على ما اتفق على روايته الفريقان أنّه قال ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «القدريّة مجوس هذه الأمة»[٣]، وسيجيء الكلام فيه في سورة الحجر إن شاء الله تعالى.

ومنها: ما يدلّ على استناد السعادة والشقاوة إلى أصل الخلقة، وهذه أيضاً مختلفة:

فمنها: ما تدلّ على اجمال الأمر، وأنّ الله خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وسعيداً وشقياً كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُم مُؤْمِنٌ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[٥]، إلى غير ذلك، وسيجيء بيان دلالتها عليه وربّما يتوّهم أنّ الآيات دالة على السعادة والشقاوة الذاتيتين، بمعنى دخول السعادة والشقاوة في حدّ النوع الإنساني، أو كونهما من لوازم ماهيّته كالزوجية للأربعة، فممّا لا ينبغي توهّمه لاستلزامه إثبات ملك دون ملك الله، ولا يلائم ذلك مسلك القرآن في حصر الملك في الله سبحانه حقيقة، على أنّ ذلك يوجب اختلال نظام العقل في جميع ما يبني عليه العقلاء في أمورهم ويوجب لغوية تشريع الشرائع وإنزال الكتب وإرسال الرسل، ولا معنى لإتمام الحجة في الذاتيّات بأي معنى لصوّرناه، فما ورد في هذا المعنى من الآيات إنّما يسند

---

١. القمر (٥٤): ٤٩.

٢. الأعلى (٨٧): ٢ ـ ٣.

٣. *عوالي اللئالي* ١: ١٦٦، الحديث: ١٧٥.

٤. التغابن (٦٤): ٢.

٥. النجم (٥٣): ٣٢.

الأمر إلى الإيجاد دون ذات الإنسان بما أنه إنسان، وكذلك الروايات.

ففي *تفسير القمي*: عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في الآية قال ـ عليه السلام ـ: «خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً، وشقياً وسعيداً، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضال»(١).

إلى أن قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «الشقي من شقى في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمّه»(٢)، الحديث.

وقد مرّت رواية الكافي عن الباقر ـ عليه السلام ـ في خلقة الجنين عند قوله تعالى: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(٣) في أوائل سورة آل عمران ومرّ بيانه.

ومنها: ما يدل على اسناد الأمر إلى أصل الخلق مع بيان كيفيته، وكيفية تفرع السعادة والشقاوة عليه، وهذا على وجوه من البيان:

فمن الوجوه: إنّ الناس مختلفون، فمنهم من خلقه الله من طين الجنة، ومنهم من خلقه من طينة النار، فمن كان أصله الجنة فهو سعيد وعوده إلى الجنة كما بدء، ومن كان أصله النار فهو شقي وإلى النار كما بدء، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، إلى أن قال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾(٤)، وسيجيء وجه دلالتها في سورة المطفّفين إن شاء الله.

---

١. في المصدر: «مهتدياً وضالاً».
٢. *تفسير القمي* ١: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
٣. آل عمران (٣): ٦.
٤. المطفّفين (٨٣): ٧ ـ ٢٢.

وفي *البصائر*: عن علي بن الحسين ـعليه السلام ـأنّه قال: أخذ الله ميثاق شعيتنا معنا على ولايتنا لا يريدون ولا ينقصون، إنّ الله خلقنا من طينة علّيين وخلق شيعتنا من طينة أسفل من ذلك، وخلق عدّونا من طينة سجّين وخلق أوليائهم من طينة أسفل من ذلك»[١].

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة جدّاً سنورد جملة منها مع بيانها في سورة المطفّفين إن شاء الله.

وفي *المحاسن*: عن عبدالله بن كيسان، قال: قلت لأبي عبدالله [عليه السلام]: جعلت فداك أنا مولاك عبدالله بن كيسان، فقال: أمّا النسب فأعرفه وأما أنت فلست أعرفك، قال: قلت: ولدت[٢] بالجبل ونشأت بأرض فارس وأنا أخالط الناس في التجارات وغير ذلك فأرى الرجل حسن السمت وحسن الخلق والأمانة، ثم أفتشه فأفتشه عن عداوتكم، وأخالط الرجل وأرى[٣] فيه سوء الخُلق وقلة أمانة وزعارة، ثم أفتشه فأفتشه عن ولايتكم فكيف يكون ذلك؟ فقال:[٤] «أما علمت يابن كيسان! إنّ الله تبارك وتعالى أخذ طينة من الجنة وطينة من النار فخلطهما جميعاً، ثم نزع هذه من هذه، فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن السمت وحسن الخلق فمّما مستهم من طينة الجنة، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فمّما مستهم من طينة النار، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه»[٥].

---

١. *بصائر الدرجات*: ٣٨ ـ ٣٩، الحديث: ١٧.
٢. في المصدر: فقلت له: «اني ولدت»
٣. في المصدر: «فأرى»
٤. في المصدر: «قال: فقال لي»
٥. *المحاسن* ١: ١٣٦ ـ ١٣٧، الحديث: ٢٠.

أقول: والروايات في هذا المعنى أيضاً كثيرة.

وفي *العلل*: عن حبّة العرني، عن علي ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله خلق آدم من أديم الأرض، فمنه السباخ ومنه الملح ومنه الطيّب، فكذلك في ذريّته الصالح والطالح»[١].

أقول: وللرواية جهة بيان للمعنى السابق فإن مدلوله: أنّ المادة الأرضية على اختلاف ذاتها يوجب اختلافاً في الإنسان المخلوق منها، فإن الضرورة قاضية أنّ اختلاف المواد في ذاتها موجبة لاختلاف الصور الطارئة عليها، فقوله ـ عليه السلام[٢] ـ: «إن الإنسان مخلوق من طين»، وقوله: «إنّ أصله من الجنة أو من النار» يقضي أن من الأرض ما هي من الجنة، ومنها ما هي من النار، كما يشعر به أيضاً قوله [تعالى] حكاية عن أهل الجنة ﴿وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[٣]، فكما أن الإنسان يتطور طوراً بعد طور إلى أن يرد جنّة أو ناراً، فكذلك هو قد تطوّر طوراً بعد طور حتى صار انساناً في الدنيا، وقد كان قبل ذلك عند الله غير فائت منه، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٤]، فله أوّل عند الله، وله آخر يعود فيه إلى عند الله، وقد قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾، فأصل الإنسان إمّا من الجنة أو من النار.

ومن الوجوه: أنّ الناس مختلفون، فمنهم من خلقه الله من ماء عذب فرات،

---

١. *علل الشرائع* ١: ٨٣، الحديث:٣.
٢. في الاصل: «سبحانه» والصحيح ما أثبتناه في المتن.
٣. الزمر (٣٩): ٧٤.
٤. الحجر (١٥): ٢١.

ومنهم من خلقه من ماء ملح أجاج، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِى كِتَابٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرٌ * وَمَا يَسْتَوِى ٱلبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

وأنت ترى موقع الآية الثانية من الأُولى وأنه بمنزلة التمثيل لمضمون الآية الأُولى وتشريح اختلافهم في أنفسهم في عين اتحادهم، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٢]، وسيجيء بيانه إن شاء الله.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً * وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾[٣].

وفي *العلل*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماءً عذباً، فخلق منه أهل طاعته، وجعل ماءاً مرّاً فخلق منه أهل معصيته، ثم أمرهما فاختلطا، فلولا ذلك ما ولد المؤمن إلّا مؤمناً، ولا الكافر إلّا كافراً»[٤].

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة جداً.

وفي *العلل*: عن محمد بن سنان عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن أوّل ما خلق الله، قال: «إن أوّل ما خلق الله ـ عز وجل ـ ما خلق منه كل شيء،

---

١. فاطر (٣٥): ١١ ـ ١٢.

٢. االأنبياء (٢١): ٣٠.

٣. الفرقان (٢٥): ٥٣ ـ ٥٤.

٤. *علل الشرائع* ١: ٨٢، الباب: ٧٧، الحديث: ١.

قلت: جعلت فداك وما هو؟ قال: «الماء، قال[١]: إن الله تبارك وتعالى خلق الماء بحرين: أحدهما عذب، والآخر ملح، فلمّا خلقهما نظر إلى العذب فقال: يا بحر فقال: لبيّك وسعديك، قال: فيك بركتي ورحمتي، ومنك أخلق أهل طاعتي وجنتي، ثم نظر إلى الآخر، فقال: يا بحر فلم يجب، فأعاد عليه ثلاث مرّات يا بحر فلم يجب، فقال: عليك لعنتي ومنك أخلق أهل معصيتي ومن أسكنته ناري، ثم أمرهما أن يمتزجا[٢]، فامتزجا، قال: فمن ثمّ يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن»[٣].

وفي *تفسير العياشي*: عن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عنه ـ عليه السلام ـ قال: «إن الله قال لماء[٤]: كن عذباً فراتاً أخلق منك جنّتي وأهل طاعتي وقال الماء[٥]: كن ملحا أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، فأجرى المائين على الطين»[٦]، الحديث وهو طويل.

أقول: وفي معنى الحديثين أحاديث أُخر كثيرة مروية عن أمير المؤمنين والباقر والصادق ـ عليهم السلام ـ، وهي كما ترى في معناها طائفتان مختلفتان.

إحداهما: تحكي عن أنّ الماء العذب والماء المالح هو الماء الذي اختلط بالتراب فصار طيناً خلق منه الإنسان فاختلف الطين باختلاف الماء، وعلى هذا فالكلام فيه نظير الكلام في الطين، وقد قدّمناه.

---

١. في المصدر: ـ «قال»
٢. في المصدر: ـ «أن يمتزجا»
٣. *علل الشرائع* ١: ٨٣ ـ ٨٤، الحديث :٦.
٤. في المصدر: «للماء»
٥. في المصدر: «للماء»
٦. *تفسير العياشي* ١: ٣٥٨، الحديث :١٨.

والثانية: تحكي أن الماء هو الماء الذي خُلق منه كلّ شيء حتى الجنّة والنار قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ﴾[١]، وهذه تثبت أصلاً آخر يرجع إليه الإختلاف في الخلق متقدماً على الماء والطين والجنة، والنار تشتّق منه الموجودات وينبغي أن يبني بيانه على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[٢]، وقوله [تعالى]: ﴿وَ أَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهَىٰ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰ﴾[٤] أمثالها، ثم يوضع أساس البيان على كون الماء وارداً على سبيل التمثيل أو التحليل كـ: كون الجنة مخلوقة من الطين، كما هو ظاهر الحديث، وككون اول ما خلق الله هو الماء وغير ذلك، وفي الروايات جهات أخرى سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى.

ومن الوجوه المذكورة أنّ خلقة البعض من النور دون الآخرين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى ٱللهِ ٱلْمَصِيرُ * وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ إِنَّ ٱللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّنْ فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٥]، فاتحاد السياق يوجب أن يكون المراد بالظلمات والنور هو الإنسان الشقي والسعيد، والّا كان الأنسب أن يقال: وما يستوي العمي والبصير، وما يستوي الحياة والموت على ما لا يخفى.

وفي *العلل*: عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: «إن الله تبارك وتعالى خلقنا

---

١. هود (١١): ٧.

٢. الحجر (١٥): ٢١.

٣. النجم (٥٣): ٤٢.

٤. العلق ٩٦: ٨.

٥. فاطر (٣٥): ١٨ ـ ٢٢.

من نور مبتدع، من نور سنخ[١] ذلك النور في طينة من أعلا علـيّين، وخـلق قلوب شيعتنا ممّا خلق منه أبداننا، وخلق أبدانهم من طينة دون ذلك فـقلوبهم تهوي إلينا لأنها خلقت مما خلقنا منه، ثم قرأ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[٢]، وإنّ الله تبارك وتعالى خلق قلوب أعدائنا من طينة من سجين، وخلق أبدانهم من دون ذلك[٣]، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلق منه أبدانهم، فقلوبهم تهوي إليهم ثم قرأ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾»[٤][٥].

أقول: وفي هذا المعنى بعض روايات أخر، وفي كون النور أصلاً لخلقة عدّة من المخلوقات، كالأنبياء والأولياء، والعرش والكرسي، والملائكة والجنة، وغيرها أخبار أخر كثيرة قد مرّ بعضها، وسيجيء نقل بعض آخر.

وإذا كان وجود الشيء بحيث يظهر له الحقّ ولا يختلط دونه حجاب الجعل وستر الباطل فهو نور بلسان القرآن، وعلى هذا فإذا كان شيء أو إنسان مخلوقاً ممّا لا تفارقه السعادة، ويلازمه انكشاف المعارف الحقّة الإلهيّة فهو مخلوق من نور، وإلّا فهو مخلوق من ظلمة، فيرجع هذا الوجه من البيان من حيث المعنى إلى الوجوه السابقة، والكلام فيه هو الكلام فيها.

ومن الوجوه المذكورة ما تدلّ على لحوق حسنات الأشقياء يوم القيامة إلى

---

١. في المصدر: «رسخ»

٢. المطفّفين (٨٣): ١٨ ـ ٢١.

٣. في المصدر: «من طينة من دون ذلك»

٤المطفّفين (٨٣): ٧ ـ ١٠.

٥. *علل الشرائع* ١: ١١٧، الحديث: ١٤.

السعداء ولحوق سيئات السعداء إلى الأشقياء، فيعود كل شيء إلى اصله، قال سبحانه: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِى جَهَنَّمَ﴾[١]، وقوله [تعالى]: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ وهو المزاج ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[٢].

وفي *العلل*: عن إبراهيم الليثي، عن الباقر ـ عليه السلام ـ في حديث، ثم قال: «أخبرني يا إبراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدأ شعاعها في البلدان أهو بائن من القرص؟» قلت: في حال طلوعه بائن، قال: «أليس إذا غابت الشمس اتّصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود إليه؟» قلت: نعم، قال: كذلك يعود كلّ شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نزع الله عزّ وجلّ سنخ الناصب وطينته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلّها بالناصب، وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وأبواب برّه واجتهاده من الناصب فيلحقها كُلّها بالمؤمن، أفترى هاهنا ظلماً و[٣] عدواناً.

قلت: لا يا بن رسول الله، قال: «هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البيّن، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[٤]، هذا يا إبراهيم ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[٥]، هذا من حكم الملكوت»، قلت: يا بن رسول الله

---

١. الأنفال (٨): ٣٧.
٢. النجم (٥٣): ٣٢.
٣. في المصدر: «أو»
٤. الأنبياء (٢١): ٢٣.
٥. آل عمران (٣): ٦٠.

وما حكم الملكوت، قال: «حكم الله و[١] حكم انبيائه، وقصة الخضر وموسى ـعليه السلام ـ حين استصحبه فقال [تعالى]: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾[٢]، إفهم يا إبراهيم واعقل انكر موسى على الخضر واستفظع أفعاله حتى قال له الخضر: يا موسى ما فعلته عن أمري، و[٣] إنما فعلته عن أمر الله عز وجّل»[٤]، الحديث.

أقول: وإذا كان كل شيء عوده إلى بدئه، وكان معاد الناس إلى السعادة والشقاوة كانتا هما الأصل في الخلقة، فالناس بحسب أصل الخلقة مختلفون بالسعادة والشقاوة، فيرجع هذا الوجه من البيان إلى الوجه الحاكي عن كون الإنسان خلق حين خلق سعيداً وشقيّاً، وقوله ـعليه السلام ـ: «هذا والله القضاء الفاصل» إلى آخره.

هذا مع كونه بحسب بادىء النظر خلاف العدل مبني على ما نحكم به بالضرورة من وجوب المناسبة والسنخية بين الفعل وفاعله، فالواجب هو أن يقضي بأنّ كلّ فعل إنّما يملكه ما يناسبه في ذاته، لا ما لا يناسبه وإن كان قضاء العادة المرسومة على خلافه، فالفعل من حيث كونه حركات كذا وسكنات كذا فهو للموضوع الذي يتحرّك ويسكن بها، ومن حيث كونه معنى من المعاني سعادة أو شقاوة فإنّما هو مملوك لذات سعيدة أو شقيّة يناسبه في وصفه.

فعلى هذا تكون الحسنات للمحسنين ذاتاً، والسعداء جوهراً، والسيئات

---

١. في المصدر: ـ«و»

٢. الكهف (١٨): ٦٧ ـ ٦٨.

٣. في المصدر: ـ«و»

٤. *علل الشرائع* ٢: ٦٠٩، الحديث: ٨١.

للمسيئين ذاتاً والأشقياء طينة وسنخاً، بحسب ظرف الحقيقة ودعاء الحقّ، فهو الذي تقتضيه حقيقة العدل.

وقوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[1] وهي قضية أخرى بديهيّة؛ فإنّه سبحانه المالك على الإطلاق، وفعله تصرّف منه في ملكه، ومن البيّن أنّ المالك مع فرض مالكيته لا يُسئل عن التصرف في ملكه، فلا تسئل عن الباصرة إنّك لِمَ تبصرين المبصرات، وعن السامعة إنّك لم تسمعين المسموعات، وأمّا غيره سبحانه فلا يملك شيئاً إلّا ما ملّكه به وأذن في تصرفه فيه، فلهِ أن يسأله عن تصرفه فيما تخطّى عن إذنه وتعدّى عن طوره فعلى هذا كان حقيقة فعله سبحانه حقيقة العدل لأنه مالك لفعله، وفعله مملوك له لا لغيره، ولذلك عقبّ ـ عليه السلام ـ كون الأمر عدلاً بيناً بأنّه سبحانه لا يُسئل عمّا يفعل وهم يُسئلون، فافهم ذلك.

قوله: حكم الله وحكم أنبيائه، معناه بقرينة السياق قضاء الله، أو حكم يقضي به الله تعالى، فهو الحكم بحسب باطن الأمر وحقيقته، فالله سبحانه لا يقضي بحسب الظاهر وإن أمر عباده أن يقضوا على وفق الظاهر بالبينات والأمارات، ولهذا فسّره ثانياً بحكم الخضر ـ عليه السلام ـ وهو حكم بحسب الباطن دون الظاهر كما سمّاه ـ عليه السلام ـ تاويلاً فللحقائق أحكام ستظهر عند موطنها، وقد مرّ في سورة الأنعام أن يوم القيامة يوم ظهور كل حقّ وبطلان كلّ باطل، وقد قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[2].

ومن هنا يظهر معنى ما تكرّر في مواضع كثيرة من القرآن من نحو قوله

---

١. الأنبياء (٢١): ٢٣.

٢. الزمر (٣٩): ٤٧.

تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾[٢]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾[٣]، وقوله: ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾[٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

فالحكم حكمان: حكم ظاهري وحكم باطني ملكوتي، وهما حكمان مختلفان عن منشأين مختلفين، غير أنّ الإختلاف بينهما ليس اختلافاً في العرض بحيث يتدافعان حتى يكذّب أحدهما الآخر، بل اختلافهما اختلاف في الطول، والحكم الملكوتي حاكم على الحكم الظاهري، من غير عكس، فإذا فرضنا زيدا السعيد ذاتاً قد فعل سيئة ذات شقاء فحكم الظاهر يوجب ترتب تبعة فعله على نفسه؛ لأنّه فعل اختياري صدر عنه باختياره فعل شيء فعليه تبعته وقد قال تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٥]، وقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٦]، هذا ما يقضي به حكم الظاهر لكنّ حكم الباطن أنّ كل فعل فموضوعه ومالكه هو سنخه وأصله وجوهره، أي أمر مناسب بالذات للفعل يرجع إليه الفعل، والعمل السيّيء لا يقوم بأصل وذات سعيد، بل بأصل شقي خبيث فهذا السعيد وهو ذات سعيدة ليس أصلاً وموضوعاً للشقاوة والمسائة لعدم السنخية بينهما، فلو ظهر هذا الحكم الحقيقي الباطني في موطن وجب أن ينتزع أثر الشقاء والسيئة عن زيد ويلحق بموضوعه الحقيقي، ولا ينتقض بذلك حكم الظاهر، إنّ تبعة الفعل

---

١. التوبة (٩): ٩٤.
٢. يونس (١٠): ٩٣.
٣. السجدة (٣٢): ٢٥.
٤. الزمر (٣٩): ٤٦.
٥. البقرة (٢): ٢٨٦.
٦. الأنعام (٦): ١٦٤.

لفاعله، حيث قيل: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[١]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢]، لأنّ زيد السعيد بما هو سعيد ليس أصلاً لهذا الفعل ولا وازرة لهذا الوزر. فلكلّ موطن حكمه الخاص به، وفيه ظهوره وكلا الحكمين صادقان.

ومن هنا يظهر سرّ اختصاص هذه الأحكام بيوم القيامة وعدم شموله للبرزخ، وإن كان أيضاً من ظروف المجازاة ومن أيام الله تعالى، لأنّه ملحق بالدنيا ومكث أرضيّ، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[٣]، ونظائرها من الآيات، فلازم ذلك أن يكون الفاعل السعيد الفاعل لفعل شتّى مأخوذاً بفعله وتبعة فعله في الدنيا وبعقاب فعله في البرزخ؛ لأن الظاهر لم يرتفع أثره فيهما دون القيمة وهو كذلك، والأخبار الكثيرة المؤيدة بالكتاب تدلّ عليه، ولنرجع إلى أول الكلام.

فنقول: جميع هذه البيانات غير الأول كما عرفت تسند السعادة والشقاوة إلى أصل الخلقة، وأن الإنسان بحسب أصل خلقته سعيد أو شقيّ، والبيان الأوّل المذكور يسندهما إلى اختيار الإنسان، ولا تنافي بين الطريقين لاختلاف الحكمين، من حيث موطن الظهور والبطون، وحكم الباطن كما عرفت حاكم على حكم الظاهر.

بيان ذلك، إنا إذ تأمّلنا حال الموجودات التي بين أيدينا وجدناها على نظامين مختلفين:

أحدهما: نظام الإمكان والقوّة، وهو أن كلّ سبب من الأسباب الموجودة معها

---

١. البقرة (٢): ٢٨٦.
٢. الأنعام (٦): ١٦٤.
٣. المؤمنون (٢٣): ١١٢.

إنّما يتم فعله ويتعيّن أثره بشرائط لا يؤثّر أثراً مع فقدها، فإذا نسبنا الأثر إلى نفس السبب فيمكنه أن يترتّب عليه أثره، وذلك حين وجود شرطه، أو لا يترتب وذلك عند عدم شرطه، وهذه نسبة موجودة بين جميع الأسباب التي عندنا وبين آثارها، فنفس ذات السبب نسبته إلى أثره وعدم أثره نسبة متساوية.

والثاني: نسبة الفعلية والوجوب، وهو أن كلّ سبب من الأسباب المذكورة إذا فرض مع جميع ما يتوقف عليه وجود أثره؛ كان من الضروري وجود أثره، ولم يبق بعد ذلك نسبته إلى وجود الأثر وعدمه على السوية، بل لا نسبة له حينئذ إلّا إلى وجود أثره، فهناك نسبتان، نسبة بين أنفس الأشياء بحسب العقل وهو نسبة الإمكان والقوّة، ونسبة بين الأشياء من حيث وجودها في الخارج، والخارج لا يشتمل إلّا على ما هو موجود بالفعل، دون ما يمكن له الوجود وإن لم يوجد في الخارج.

فهناك نظامان، والفعل والأثر بحسب نظام الإمكان له نسبة إلى فاعله الذي له النسبة إليه، بنسبة الإمكان، والفعل والأثر أيضاً بحسب نظام الفعلية له نسبة إلى فاعله الذي يفيد فعلية وجوده، ويقوم بوجوده وجوده، بنسبة الوجوب، ولا منافاة ولا تطارد بين النسبتين، لأنّ إحداهما لا تدفع الأخرى، فلو فرضنا مثلاً فاعلاً اختيارياً فله فعله الذي كان له أن يفعله وأن يتركه وهو معنى الإختيار، ولا ينافي ذلك نسبة هذا الفعل إلى شيء آخر نسبةَ الوجوب، فإنّ ذلك لا يوجب انقلاب نسبته إلى فاعله الإختياري من الإمكان إلى الوجوب، فإنّ المفروض أن الفعل الكذائي يمكن أن يصدر عن زيد المختار مثلاً وأن لا يصدر وأن يوجد منه وأن لا يوجد، لا أن الفعل المذكور بالنسبة إلى الواقع والخارج المطلق يمكن

أن يوجد وأن لا يوجد معاً، فإنّه محال، بل هو بالنسبة إلى الوجود الخارجي إمّا أن يوجد فقط وإما أن لا يوجد فقط، فنسبة الفعلية والوجوب المذكورة نسبة القدر، وحكمه استناد كل مسبّب إلى سببه التامّ الموجب، ونسبة الإمكان المذكورة نسبة الإختيار والعمل وحكمه استناد المسببات إلى أسبابها الناقصة، ومن هنا يظهر أنّ حكم القدر حاكم على حكم العمل والإختيار من غير عكس، وبعبارة أخرى قد مرّ أنّ مسلك الإختيار قائم على أصلين:

أحدهما: وجود الإختيار فينا بالنسبة إلى بعض الأفعال.

والآخر: أنّ الفعل الإختياري يلحقه حسن وقبح، ومدح وذم، وثواب وعقاب، فما دامت المقدّمتان قائمتين صادقتين فحكم الإختيار تام صادق، ومن البيّن أنّ ثبوت تأثيره تعالى في إيجاد الأفعال الأختيارية بما هي اختيارية، أي تعلّق إرادته بصدور الفعل الكذائي عن اختيار، لا يوجب بطلان الإختيار، وإلاّ كان خلفاً وهو ظاهر، هذا محصل القول في استناد السعادة والشقاوة إلى الخلقة الأصلية.

ومن جميع ذلك ظهر أنّ هذا الإستناد لا يتمّ من دون القول بالقدر، وظهر أنّ القول باستناد ذلك إلى ذوات الأشياء ينافي القول بالقدر.

وأمّا الكلام في نفس القدر فسيجيء فيما سيجيء إن شاء الله تعالى.

ولنرجع إلى أوّل الكلام في آية.

قوله [تعالى]: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

العود يستلزم مسافة مقطوعة سابقة، وحركتين سابقتين، كما أن الهداية والضلالة مع فرض العود في كليهما يستلزمان جميعاً إصابة المقصد وإرادته،

وهذا يوجب وحدة المسافة المقطوعة عند الهداية، وتعددها عند الضلالة، فافهم ذلك، فإنّ العائد من حركة إذا بلغ المقصد وقد ضلّ؛ لم يكن ضالاً إذاً مع خروجه عن طريقه، ولو لم يكن مع ذلك طالباً للغاية والمقصد وهو في الطريق لم يسلك الطريق، لأنّ الطريق إنّما يراد لغيره، ولو أريد لنفسه لم يكن حركة فالمهتدون على صراط واحد، والضالّون على طرقٍ مختلفة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَاتَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[2]، وقد مرّ جملة الكلام في الطريق والصراط في سورة (الفاتحة).

وقوله سبحانه: ﴿وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾

لم يقل: وفريقاً أضلّ كما في قوله: ﴿فَيُضِلُّ ٱللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ﴾[3]، فإنّ الكلام وقع في ذيل النهي عن الإفتتان بالشيطان بتولّيه، وقد قال سبحانه في حقه: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾[4]، وأيضاً قال: ﴿قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[5]، فقوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ إشارة إلى هذا القضاء المقضي وسيأتي كلام في الفرق بين الغواية والضلالة في سورة الحجر ينفع في هذا المقام، فانتظره.

---

١. الانشقاق (٨٤): ٦.
٢. الأنعام (٦): ١٥٣.
٣. إبراهيم (١٤): ٤.
٤. الحجّ (٢٢): ٤.
٥. الحجر (١٥): ٤١ ـ ٤٢.

قوله [سبحانه]: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا ٱلشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللهِ﴾ تعليل لثبوت الضلالة عليهم، لا لكونهم ضالّين، كأنه قيل فريقاً هدى وفريقاً لم يهدِ، ثم قيل: وهؤلاء أخذهم القضاء الإلهي بالضلالة؛ لأنّهم اتخذوا الشياطين أولياء.

قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

في *تفسير القمّي*: إنّ جماعة[1] كانوا يطوفون عراةً بالبيت، الرجال بالنهار، والنساء بالليل، فأمرهم الله بلبس الثياب، وكانوا لا يأكلون إلّا قوتاً فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا[2].

أقول: وقالوا: إنّ أهل الجاهلية هم كانوا يتعرّون؛ لأنّهم قالوا: لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها، وإنّ بنى عامر كانوا يأكلون قوتاً أيام حجّهم، فأنزل الله ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ الآية.

وفي *المجمع*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ في الآية: أي خذوا زينتكم[3] التي تتزيّنون بها في الصلاة[4] في الجمعات والأعياد»[5].

وفي *تفسيري العياشي والجوامع*: كان الحسن بن علي عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه فقيل له في ذلك، فقال: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال، فأتجمّل لربي» وقرأ الآية[6].

١. في المصدر: «أناسا»
٢. *تفسير القمي* ١: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
٣. في المصدر: «ثيابكم»
٤. في المصدر: «للصلاة»
٥. *مجمع البيان* ٤: ٢٤٤.
٦. *تفسير العياشي* ٢، ١٤، الحديث :٢٩، *جوامع الجامع* ١: ٦٥٢.

وفي *الفقيه*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ: «من ذلك التمشط عند كل صلاة»[١].

أقول: والروايات في هذه المعاني كثيرة، ووجه الإستفادة في الجميع ظاهر.

قوله سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾

قد مرّ شأن نزولها، فهي معنى النهي عن التفريط والإفراط، والأمر بوسط الإعتدال.

في *الكافي*: عن اسحاق بن عبد العزيز، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ قال: نكون بطريق مكة ونريد الإحرام فنطلّي ولا يكون[٢] معنا نخالة، فنتدلّك بها من النورة، فنتدّلك بالدقيق، وقد دخلني من ذلك ما الله أعلم به، فقال: «مخافة»[٣] الاسراف؟ قلت: نعم، فقال: «ليس فيما أصلح البدن إسراف، إنّي ربّما أمرت بالنقي فيلتّ[٤] بالزيت فأتدلّك به، إنّما الإسراف فيما أفسد المال وأضرّ بالبدن»، قلت: وما[٥] الإقتار؟ قال: «أكل الخبز والملح وأنت تقدر على غيره»، قلت: فما القصد؟ قال: «الخبز واللحم[٦] والخل والسمن، مرّة هذا ومرّة هذا»[٧].

أقول: وهو مطابق لما يعرف من معاني هذه الألفاظ.

---

١. من لا يحضره *الفقيه* ١: ١٢٨، الحديث: ٣١٨.
٢. في المصدر: «تكون»
٣. في المصدر: «أمخافة»
٤. يلتّ: اي: يخلط
٥. في المصدر: «فما»
٦. في المصدر: + «واللبن»
٧. *الكافي* ٤: ٥٣ ـ ٥٤، الحديث: ١٠.

وفي *تفسير العياشي*: عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله ـ عليه السلام ـ: «أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع من منع من هوان به عليه؟ لا، ولكنّ المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع، وجوّز لهم أن يأكلوا قصداً، ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين، ويلمّوا به شعثهم، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب[1] وينكح حلالاً، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً، ثم قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، أترى الله ائتمن رجلاً على مال خوّل له أن يشتري فرساً بعشرة آلاف درهم ويجزيه فرس بعشرين درهماً ويشتري جارية بألف دينار ويجزيه جارية بعشرين ديناراً، وقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2].

قوله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ﴾

كان المراد من إخراجها للعباد تربيتها بإخراجها من الأرض، كالقطن والصوف والإبريسم، وأصناف الجواهر.

وفي *الكافي* مرفوعاً: مرّ سفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ، وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال: والله لآتينّه ولأوبّخنّه فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله والله[3] ما لبس رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ مثل هذا اللباس ولا علي ـ عليه السلام ـ ولا أحد من آبائك، فقال له أبو عبدالله

---

١. في المصدر: + «حلالا»

٢. *تفسير العياشي* ٢: ١٣، الحديث: ٢٣.

٣. في المصدر: ـ «والله»

ـعليه السلام ـ: كان رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ في زمان تترٍ مقترٍ وكان يأخذ لِقتره وإقتاره، وإنّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها فأحقُ أهلِها بها أبرارها، ثم تلى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾، فنحن أحقّ من أخذ منها ما أعطاه الله، غير أني يا ثوري ما ترى عليَّ من ثوب إنّما لبسته[1] للناس، ثم اجتذب يد سفيان فجرّها إليه، ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا لبسته[2] لنفسي، وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك الثوب ثوب ليّن، فقال لبسته هذا الأعلى للناس ولبسته هذا لنفسك تسرّها»[3].

وفي *الكافي*: أيضاً، عنه ـعليه السلام ـ قيل له: أصلحك الله ذكرت أنّ علي بن أبي طالب ـعليه السلام ـ كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم وما اشبه ذلك ونرى عليك اللباس الجيّد[4]، فقال له: «إن علي بن أبي طالب كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر[5]، لو لبس مثل ذلك اليوم شهر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله»[6].

أقول: ترك لباس التجمل بالتحريم بمعنى سدّ الطريق شيء، وتركه ليتسلّى به قلوب الفقراء، او ليواسي معهم في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك من العناوين شيء آخر، وما كان من أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ قبل خلافته كان

١. في المصدر: «ألبسه»
٢. في المصدر: «ألبسه»
٣. *الكافي* ٦: ٤٤٢ ـ ٤٤٣، الحديث: ٨.
٤. في المصدر: «الجديد»
٥. في المصدر: + «عليه»
٦. *الكافي* ١: ٤١١، الحديث: ٤.

مواساة، وما كان بعد خلافته كان ليتسلّى به قلوب الضعفاء والمساكين من رعيّته، كما في بعض الروايات عنه ـ عليه السلام ـ.

قوله سبحانه: ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾

أي يشارك المؤمنون غيرهم فيها في الدنيا، ويختصّون بها في الآخرة.

وفي *أمالي الشيخ*: في كتاب له [عليه السلام] إلى أهل مصر: واعلموا يا عباد الله إنّ المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، أباحهم الله في[1] الدنيا ما كفاهم به وأغناهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللهِ ٱلَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَاتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، وشربوا من طيّبات ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، وركبوا من أفضل ما يركبون و[2]أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، وهم غداً جيران الله تعالى يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون، لا تردّ لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من اللذّة، فإلى هذا يا عباد الله يشتاق إليه من[3] له عقل[4].

---

١. في المصدر: «من»
٢. في المصدر: ـ «و»
٣. في المصدر: «من كان له»
٤. *الامالي*، الطوسي: ٢٦ ـ ٢٧، الحديث: ٣١.

قوله [سبحانه]: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ﴾

الفاحشة: ما غلظ من الفجور واشتدّ شناعته، كالزنا وقتل النفس المحترمة، والإثم: هو الذنب غير أنّ الظاهر من استعمالاته أنّه التفريط فيما يجب رعايته، ومن استعمالاته: أثمت الناقة، إذا أبطأت في سيرها، فكأنّه الذنب غير المتعدّي إلى الغير، والبغي: هو التعدّي عن الحدّ، ومنه: البغي بمعنى الظلم، كأنّه تعدّى الإنسان عن حدّ نفسه إلى الغير، فعلى هذا فالفواحش هي الذنوب البالغة في القباحة مطلقاً، والإثم: هو ذنب الإنسان بتفريطه في ذات نفسه، والبغي: هو ذنبه بإفراطه او تعدّيه إلى الغير، وهذه أصناف ثلاثة كلّها في مقام الفعل، والشرك والقول بغير علم كلاهما ذنب في القول، في التوحيد أو غيره.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾

قيد للبغي، جيء به ـ مع كون البغي دائماً بغيرحق ـ للإشعار بالعلّية ونظيره قوله [تعالى]: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾، وإنّما لم يؤت بنظيره في الفواحش والإثم لكون لفظيهما بمفهوميهما كافية في ذلك.

وقوله: ﴿وَ أَن تُشْرِكُوا﴾

جيء بـ(أن) المصدريّة دون أن يقال: وشرككم، لأنّ المصدر المضاف إلى الفاعل يشعر بالوقوع، ولا يناسب ذلك مقام التشريع، كما في نظائره كقوله: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1].

---

١. البقرة (٢): ١٨٤.

وفي *الكافي والعيّاشي*: عن الكاظم ـ عليه السلام ـ في الآية: «فأمّا قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، يعني الزنا المعلن ونصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر الفواحش[١] في الجاهلية، وأما قوله: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يعني ما نكح من أزواج[٢] الآباء، لأنّ الناس[٣] كانوا قبل أن يبعث النبيّ إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه، فحرّم الله عزّوجلّ ذلك، وإمّا الإثم؛ فإنّها الخمر بعينها، وقد قال الله عزّوجلّ في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٤]، فأمّا الإثم في كتاب الله فهي: الخمر[٥]، والميسر فهي: النرد والشطرنج[٦]، ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ﴾[٧] كما قال[٨]، وأما قوله[٩]: ﴿الْبَغْيَ﴾ فهي[١٠]: الزنا سرّاً[١١].

أقول: وفي لفظ الرواية تشويش، وقد مرّ في قوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾[١٢] من سورة النساء، ما يدلّ على أنّ تحريم تزويج الإبن زوجة الأب إنّما نزل بالمدينة، والسورة مكيّة ـ على ما قالوا ـ، والظاهر أنّ

---

١. في *الكافي*: «للفواحش»، وفي تفسير *العياشي*: ـ «الفواحش»
٢. في المصدر: ـ «أزواج»
٣. في تفسير *العياشي*: «فإن»
٤. البقره (٢): ٢١٩.
٥. في *الكافي*: «الخمرة»
٦. في *الكافي*: ـ «فهي النرد والشطرنج»
٧. البقرة (٢): ٢١٩.
٨. في المصدر: + «الله تعالىٰ»
٩. في *الكافي*: ـ «وأمّا قوله»
١٠. في تفسير *العياشي*: «فهو»
١١. *الكافي* ٦: ٤٠٦، الحديث: ١.
١٢. النساء (٤): ٢٢.

الرواية من باب عدّ المصاديق المشهورة دون تخصيص الآيـة بـعد ظـهورها في العموم.

وفي *التهذيب*: عن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ قال: **﴿ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾**، ما ظهر: نكاح إمرأة الأب، وما بطن: الزنا»[١].

أقول: فمعنى الظهور كونه دأباً لاينكر ومعنى البطون استتار الزاني بفعله، كما أنّ معنى الظهور على ما استفاده الخبر السابق ظهور كونه فاحشة، ومعنى البطون خفاء كون النكاح المذكور فاحشة لاستقرار عادتهم عليه، وهذا ممّا يؤيد ما ذكرنا أنّ عدّ هذه المذكورات من باب تطبيق عموم الآية على بعض مصاديقها دون تخصيصها بها.

وفي *الخصال* عن الصادق ـعليه السلام ـ: «إيّاك وخصلتين فيهما»[٢] هلك من هلك، إيّاك أن تفتي الناس برأيك، و[٣]تدين بما لا تعلم[٤].

وفي أخرى: أن تدين الله بالباطل وتفتي الناس بما لا تعلم[٥].

وفي *الكافي*: عن الصادق ـعليه السلام ـ: «إنّ القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمّة الجور، وجميع ما أحلّ الله في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمّة الحق»[٦].

أقول: وقد مرّ الكلام في بيان معنى هذا الخبر، ونظائره فيما مرّ فلا نعيد.

---

١. *تهذيب الاحكام* ٧: ٤٧٢، الحديث :١٠٢.
٢. في المصدر: «ففيهما»
٣. في المصدر: «أو»
٤. *الخصال*: ٥٢، الحديث :٦٦.
٥. *الخصال*: ٥٢، الحديث: ٦٥.
٦. *الكافي* ١: ٣٧٤، الحديث: ١٠.

قوله [سبحانه]: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾

يمكن أن يستفاد من الآية أنّ لكلّ أمّة من حيث اجتماعهم أجلاً، كما أنّ لكلّ فرد من أفرادها أجلاً، وقد أثبت سبحانه لكلّ فرد كتاباً، ولكلّ أمة كتاباً، كما أثبت لكلّ أجل كتاباً، قال سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[٣].

قوله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾

لفظة (ما) و (النون) المشدّدة جيء بهما للتأكيد، وهو شائع في الإستعمال، وقد مرّ فيما مرّ، أنّ هذه الخطابات لجميع البشر، لا لأمة النبيّ خاصة، حتى يُستدلّ به على كون شريعة محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ غير خاتمة للشرائع.

*

١. الإسراء (١٧): ١٣.
٢. الجاثية (٤٥): ٢٨.
٣. الرعد (١٣): ٣٨.

[فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلٰئِكَ يَنَالُهُمْ
نَصِيبُهُم مِنَ ٱلْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ
فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ٱدَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ
أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ
ضِعْفٌ وَلٰكِن لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا
مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ
يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِنْ
جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ
ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن
تَحْتِهِمُ ٱلأَنْهَارُ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ

هَدَانَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابَ ٱلنَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا
مَاوَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى
ٱلأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ
أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ
أَصْحَابُ ٱلأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ
جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَايَنَالُهُمُ ٱللَّهُ
بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ
أَصْحَابُ ٱلنَّارِ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ قَالُوا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً
وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هٰذَا وَمَا
كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدىً
وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَنَا مِن شُفَعَاءَ
فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾]

قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ ٱلْكِتَابِ﴾

أي الذي كتب من أجلهم ورزقهم المقضي في حقهم، والشاهد عليه قوله فيما مرّ: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾[١]، قوله في الجملة التالية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، حيث غيّي نيل النصيب بحضور الموت.

قوله سبحانه: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾

أمّا القادة فبكفرهم وتضليلهم، وأمّا الأتباع فبكفرهم وتقليدهم، كذا قيل[٢].

قوله سبحانه: ﴿لَاتُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ وَلَايَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾

سياق الكلام كالمشعر بأنّ فتح أبواب السماء وسيلة ومقدّمة لدخول الجنّة، وهو كذلك، وقد قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ إلى أن قال ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣].

وفي *المجمع*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «أما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها، وأمّا الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ إلى السماء نادى منادٍ اهبطوا[٤] إلى سجّين، وهو وادٍ بحضرموت يقال له: «برهوت»[٥].

---

١. الأعراف (٧): ٢٥.

٢. *بحار الأنوار* ٦٦: ١١٣.

٣. محمد (٤٧): ٤ ـ ٨.

٤. في المصدر: + «به»

٥. مجمع *البيان* ٤: ٣٥٤.

أقول: والخبر من روايات البرزخ.

لكن الآيات كما ترى من قوله: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ جمع بين القيامة والبرزخ من غير تفصيل بينهما، وسيجيء الكلام في ذلك في سورة الفرقان وغيرها.

فتبين أنّ الإنسان الصالح سيسير بعمله مهتدياً إلى الجنة، وقد قال سبحانه: ﴿وَفِى ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1] وهي الجنّة، فالجنّة في السماء، والنار في الأرض والحضيض، كما يشعر به الأوصاف المثبتة لها في الآية من قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، وفي هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[2].

قوله سبحانه: ﴿مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾

المهاد: الفراش، والغواشي: الأغطية التي تغشّي بها.

قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

في *المجمع*: عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنّة ومنزل في النار، فأمّا الكافر فيرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة وذلك قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»[3].

أقول: الوراثة والإرث والورث أن تملك الشيء وتختص به بعد غيرك،

---

١. الذاريات (٥١): ٢٢.

٢. مريم (١٩): ٧١ ـ ٧٢.

٣. مجمع *البيان* ٤: ٢٥٧.

فإطلاق الوراثة يقتضي تعلّقاً بالغير، فإرث أهل الجنة إيّاها يوجب تعلّقاًما لها بالغير وهم أهل النار، فلهم منازل فيها كمنازلهم، ويلوح هذا المعنى من قوله: ﴿وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[١].

وفي معناه آيات أخر، وفي الآيات لطائف معان يظهر بالتدبّر فيها.

قوله سبحانه: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾

في *المجمع* و*المعاني*: عن علي ـ عليه السلام ـ: «أنا ذلك المؤذّن»[٢].

أقول: وروى هذا المعنى في *الكافي* و*تفسير القمّي*: عن موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ، وفي *تفسير العياشي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ[٣].

قوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾

الأعراف: أعالي الحجاب وكُثبان الرمل، ويؤيّد المعنى الأوّل وقوع لفظ الحجاب قبل ذلك، وكان الأصل فيه العرفان، فأعالي الحجاب أعراف لكونها مشرفة على الجانبين يعرف بها ظهر الحجاب وبطنها، والكثبان، والإرتفاعات من الرمل أعراف لكونها يعرف من أعاليها الأطراف والجميع حجاب، وكيف كان، فالآيات تدلّ على وجود حجاب بين أهل الجنة وأهل النار يحتجب كلّ من الفريقين به عن الآخر، وفي أعالي هذا الحجاب رجال لم يسمّهم سبحانه، وإن كانت الأوصاف التي وصفهم بها يعيّنهم بعض التعيين، كما لم يسمّ المؤذّن

---

١. الزمر (٣٩): ٧٤.

٢. مجمع *البيان* ٤: ٢٥٩، *معاني الأخبار*: ٥٩، الحديث: ٩.

٣. *الكافي* ١: ٤٢٦، الحديث ٧٠؛ *تفسير القمي* ١: ٢٣١؛ *تفسير العياشي* ٢: ١٧، الحديث ٤١.

الذي وصفه في الآية السابقة وهم في منزلة مشرفة مطلّة على الفريقين.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾

وذلك أن اليوم ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ﴾[١]، ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾[٢] فسيما الإنسان يغني عن السؤال عن شأنه.

وقوله سبحانه: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ﴾

الضمير للرجال شبيه الإستخدام لما سيجيء أنّهم طائفتان، وهؤلاء المنادون إحدى الطائفتين وهم طائفة، فمن هناك ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، فلم يصلوا إلى مرتبة السابقين إلى الجنة فيدخلوها كمثلهم ولا هم مثل أصحاب النار فيقنطوا من دخولها فيسلّمون على أصحاب الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾

وهم من أئمة الضلال ورؤساء الكفار بقرينة قوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾، المشار إليهم هم أصحاب النداء السابق الذين عندهم، وهذا يدلّ على أن أصحاب الأعراف طائفتان:

إحداهما: الطائفة السابقة؛

والآخرى: هؤلاء الذين يُدخلون الطائفة الأولى في الجنة ويؤمّنونهم

---

١. الطارق (٨٦): ٩.
٢. غافر (٤٠): ١٦.

الخوف والحزن وهو ظاهر.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ إدخال في الجنة وإعطاء الأمن، ولم تثبت هاتان الخصلتان في القرآن لأحدٍ غير أصحاب الأعراف، وهما وإن كانا كالشفاعة غير أنّهما أعلى منزلة من نفس الشفاعة، إذ قد عرفت سابقاً أنّ الشفاعة تقريب للمسبب إلى السبب، وهذا أنزل مرتبة من السببيّة التامة، والسببيّة والأمر يومئذٍ لله سبحانه وحده، فهذا الأمر والسببيّة منهم هو عين أمر الله وحكمه.

وبما مرّ يظهر معنى ما ورد من الروايات في المقام.

ففي *الجوامع*: عن الصادق ـعليه السلام ـ: «الأعراف كثبان بين الجنة والنّار يُوقف عليها كلّ نبيّ وكلّ خليفة نبّي مع المذنبين من أهل زمانه، كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، وقد سبق المحسنون إلى الجنة، فيقول ذلك الخليفة للمذنبين والواقفين معه، انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سبقوا إلى الجنة فيسلّم عليهم المذنبون، وهو قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، أن يدخلهم الله إياها بشفاعة النبي والإمام، وينظر هؤلاء[1] إلى أهل النار فيقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾، وينادي أصحاب الأعراف وهم الانبياء والخلفاء رجالاً من أهل النار ورؤساء الكفار يقولون لهم مقرعين: ما أغنى عنكم جمعكم واستكباركم ﴿أَهٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَايَنَالُهُمُ ٱللهُ بِرَحْمَةٍ﴾، إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم بفقرهم ويستطيلون عليهم بدنياهم، ويقسمون أنّ الله لا يدخلهم

١. في المصدر: + «المذنبون»

الجنة، ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ﴾، يقول أصحاب الأعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من أمر الله[١] لهم بذلك: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، أي لا خائفين ولا محزونين[٢].

وفي *تفسير القمّي*: عن الصادق -عليه السلام-: «الأعراف كثبان بين الجنة والنار، والرجال الأئمة يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمن[٣] إلى الجنّة[٤]، فيقول الأئمة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنة قد سبقوا إليها بلاحساب، وهو قول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾، ثم يقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار وهو قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَاتَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ في النار ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، ثم يقولون لمن في النار من أعدائهم هؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدنيا[٥] لا ينالهم الله برحمة، ثم يقول الأئمة لشيعتهم: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٦].

وفي *تفسير العياشي*: عن سلمان قال: سمعت رسول الله - صلّى الله عليه وآله - يقول لعلّي -[عليه السلام] - أكثر من عشر مرّات: «يا علي! إنّك

١. في المصدر: «من الله»
٢. *جوامع الجامع* ١: ٦٥٩ - ٦٦٠.
٣. في المصدر: «وقد سبق المؤمنون»
٤. في المصدر: + «بلا حساب»
٥. في المصدر: + «ان»
٦. تفسير *القمي* ١: ٢٣١ - ٢٣٢.

والأوصياء من بعدك اعراف بين الجنّة والنّار لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلّا من أنكركم وأنكرتموه[١].

أقول: وفي هذا المعنى روايات أُخر، وهي تؤيّد ما مرّ أنّ الأعراف من العرفان، فإنّ الارتفاع النتوّ من الأرض، حيث كان يتعرّف به حال ما حوله، سمّي عرفاً، ثمّ أطلق وسمّى كلّ نتوٍ عُرفاً، كعرف الدابة وعرف الديك وعرف الحجاب، وحيث كانت هذه الأعراف مقاماً من مقامات الكمال يوم القيامة يتعرّف به حال الفريقين، كما أنّ الميزان والكتاب كذلك كانت الرجال الذين على الأعراف هم الأعراف باعتبار آخر، وهو المراد بقوله ـ صلى الله عليه وآله ـ أعراف بين الجنة والنار.

وفي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «جاء ابن الكوّاء إلى أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، فقال: يا أمير المؤمنين! ﴿**وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾، فقال: نحن على الأعراف، ونحن نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين[٢]، لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا[٣] الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلّا من عَرَفَنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرَنا وأنكرناه، إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء عرّف الناس[٤] نفسه حتى يعرفوا حدّه ويأتوه من بابه[٥]،

---

١. تفسير *العياشي* ٢: ١٨، الحديث: ٤٤.
٢. في المصدر: «الذي»
٣. في المصدر: «يعرفنا»
٤. في المصدر: «لعرف العباد»
٥. في المصدر: ـ «حتى يعرفوا حدّه ويأتوه من بابه»

ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه[١] الذي يؤتي منه[٢]»،[٣] الحديث.

أقول: والحديث كما ترى جمع بين المعنيين حيث يقول ـعليه السلام ـ: «نحن على الأعراف أي نعرف غيرنا، ونحن الأعراف أي يُعرف بنا غيرنا كما يعرف الانسان بالأعراف ما خفي من أطرافها».

وفي *الكافي* ـأيضاًـ: عنه ـعليه السلام ـ في حديث قال الراوي وهو حمزة بن الطيّار قلت: وما أصحاب الأعراف: قال: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فإن أدخلهم النار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنّة فبرحمته[٤]، الحديث.

أقول: وفي معناه روايات أُخر، وقد عرفت أن الأعراف كما يشتمل على جمع من كرام الرجال يشتمل على عدّة من ضعفائهم ممّن لم يدخل جنّةً ولا ناراً، ودلّ على ذلك الروايتان الأوليان، فلا منافاة بين الروايات.

قوله سبحانه: ﴿**وَنَادَىٰٓ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ**﴾

في *تفسير العياشي*: عن الزهري عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: ﴿**يَوْمَ التَّنَادِ**﴾[٥]، يوم ينادي أهل النار أهل الجنة ﴿**أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ...**﴾»[٦].

أقول: إشارة إلى وجه تسمية يوم القيامة بيوم التناد، قال تعالى: ﴿**إِنِّي أَخَافُ**

---

١. في المصدر: «والوجه»
٢. *الكافي* ١: ١٨٤، الحديث: ٩.
٣. *الكافي* ١: ١٨٤، الحديث: ٩.
٤. *الكافي* ٢: ٣٨١، الحديث: ١.
٥. غافر (٤٠): ٣٢.
٦. تفسير *العياشي* ٢: ١٩، الحديث: ٥٠.

عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾[١]، وذلك لما ورد في هذه الآيات من التنادي بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار.

قوله سبحانه: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ﴾

في *تفسير العياشي*: عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ قال: «إنّ أهل النار يموتون عطاشا، ويدخلون قبورهم عطاشا، ويحشرون عطاشا، ويدخلون جهنم عطاشا، فترفع[٢] قراباتهم من الجنة، فيقولون: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾»[٣].

قوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾

التفصيل في الأصل، التفرقة بين أجزاء الشيء بعد إحكامه واجتماع أجزائه، فهو في الكلام التفرقة بين معانيه غير المتميّزة عند الإجمال، فتفصيل الكتاب نزوله سوراً وآيات مقطعات، فالمراد بالكتاب مجموع الكتاب ولازمه كون التأويل المذكور تأويل جميع الكتاب لا خصوص الآيات النازلة في شأن القيامة، وقد مرّ الكلام في معنى التأويل في أوائل سورة آل عمران.

*

---

١. غافر (٤٠): ٣٢.

٢. في المصدر: «فيرفع [لهم]»

٣. تفسير *العياشي* ٢: ١٩، الحديث: ٤٩.

[إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وٱلأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ
عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱللَّيْلَ ٱلنَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ تَبارَكَ ٱللهُ رَبُّ
ٱلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَايُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَاتُفْسِدُوا فِى ٱلأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ
ٱللهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ
رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ ٱلْمَاءَ
فَأَخْرَجْنا بِهِ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾
وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَايَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً
كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾]

قوله سبحانه: ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾

سيأتي الكلام فيه في سورة حم السجدة.

قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

العرش: هو سرير الملك، والإستواء عليه هو: الإستقرار في الجلوس عليه، وهو أخص بالملك، كما أنّ الكرسي أعمّ، فالإستواء على العرش كناية عن الإستيلاء على الملك والتسلّط على المملكة بأخذ زمام تدبير أمورها.

وأنت إذا تأمّلت مملكة ذات اجتماع مدني، وجدتها ذات أفراد ونفوس تقوم بهم جزئيات كثيرة غير محصورة أو غير متناهية من أمور وحوادث ترتبط بحياتهم، وتلك الجزئيات تتحد وتتلائم من جهة روابط تربط ما بينها، وتجمع كل عدّة منها تحت ناموس نوعي، ثم تلك النواميس النوعية أنفسها تجتمع عند نواميس أخرى نوعيّة، وهكذا إلى أن تجتمع جميعاً في واحدة هي ملتقى جميع الأزمّة، ومنها تبدأ الحوادث النوعيّة، ومن النوعيّة الشخصية، وإليها تنتهي جميعاً، والفطرة قاضية أنّ الأفراد الكثيرين، لاتقوم لحفظ النواميس النوعيّة من حيث كثرتهم، بل يجب جمع الأزمّة في أيّ مرتبة من المراتب المذكورة في مقام وكرسيّ يشغله واحد يُسمّى بـ: الرئيس أو بالملك، ينظر في الأمور من حيث روابطها النوعيّة، ويدبرّها بروح نوعيّة لا بروح شخصيّة، فإنّ الروح الشخصيّة لا تفي إلّا بتدبير أفعال نفس شخصية لا نوعيّة، فالجزئيات من أمور المملكة تابعة لأزمّة النوعية ونابعة ومترشّحة منها، وهي جميعاً للزّمام الواحد الذي يجمع الجميع عند عرش المملكة، فكل سافل منها موجود بكلّه فيما فوقها بنحو الإجمال والإنطواء، والجميع عند مجمع الجميع بنحو أكثر اندماجاً وأدقّ انطواءاً وبساطة، وكذا لو أخذنا من العلوّ إلى السفل وجدنا كلّ عال موجوداً في السافل كأنّه هو الذي أخذ في الإنتشار والتفصيل فصار هو الكثير، ثمّ لو فرضنا تخلّف أمر من هذه الأمور عن مجراه المقررّ له وعن تدبير زمامه النوعي، احتاج إلى حلّ ربطه بسببه ونوعه وهو المسمّى بـ: الإذن، فيأذن الملك أو

الرئيس في ذلك، والإذن، وإن كان نقضاً للتدبير العامّ، غير أنّه بـإعتبار آخـر تدبيرٌ آخر من التدابير العامّة حاكم على سائر التدابير، فهو أيضاً كسائر التدابير موجود في عرش المملكة صادر عنه، فهذا في النظام الإعتباري الذي عـندنا بنحو الإعتبار، والنظام الحقيقي الذي هو موجود في عالم الوجود والتكـوين على هذا النحو بحسب الحقيقة دون الإعتبار على ما تفيده وتشرحه هذه الآية وما في مضمونها من الآيات المشتملة على ذكر العرش إجمالاً أو تفصيلاً.

فقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يشير إلى ما يحويه العرش ويحيط به، وهو المملكة.

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾

يشير إلى مقام في الوجود، يجتمع عنده التدبير العامّ الإجمالي لنظام الوجود، ففيه يعلم حقيقة التدبير الذي يدبّر عليه العالم، ويدور عليه النـظام بـجزئياته وكليّاته، وهو بمنزلة الروح لجميع التدابير العامّة المتوسطة بينه وبين الجزئيات التي هي بمنزلة الروح بالنسبة إلى جزئيات الحوادث، ولذلك عقّب قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ وقال سبحانه في سورة الرعد: ﴿ثُمَّ ٱسْـتَوَىٰ عَـلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ﴾[1]، وقال في سورة يونس: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَـلَى ٱلـعَرْشِ يُـدَبِّرُ ٱلأَمْـرَ مَـا مِـن شَـفِيعٍ

١. الرعد (١٣): ٢.

﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾(١)، فعقّب الإستواء بتدبير الأمر وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ﴾ اشارة إلى دخول الإذن في التخلف عن التدبير في التدبير بوجه آخر كما مرّ بيانه، وقد مرّ معنى الشفيع في الكلام على آية الكرسي وكان المراد به الأسباب في سببيتها، وقال في سورة الم السجدة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾(٢)، فأنبأ عن رجوع كلّ ولاية أو شفاعة إليه فإنّ ولاية غيره نحو ولاية له سبحانه، وشفاعة غيره شفاعته، لأنّه هو المعطي لذلك كلّه بغناه، والباذل له برحمته، فالجميع منه وله، وقال في سورة الحديد: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣)، فعقب الإستواء بالعلم بالحوادث، وقد مرّ آنفاً بيان أنّه مقام إجتماع الحوادث، فهو مقام العلم بها إذ ليس العلم بالشيء إلّا حضوره عند العالم، والحوادث حاضرة بأجمعها في العرش على ما عرفت من البيان.

وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ﴾(٤)، فأشار أنّ هذه الموجودات كانت مسبوقة بالماء، وكان العرش يومئذ عليه، وقد قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾(٥)، فالماء أصل هو أصل هذه الموجودات، وقد كان عليه العرش، فهو مقام التدبير الذي مرّ بيانه، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾(٦)، وهو

١. يونس (١٠): ٣.
٢. السجدة (٣٢): ٤.
٣. الحديد (٥٧): ٤.
٤. هود (١١): ٧.
٥. الأنبياء (٢١): ٣٠.
٦. الزمر (٣٩): ٧٥.

يؤيّد ما ذكرناه من أنّه مقام اجتماع التدابير واتّحاد أزمّتها، فإنّ الملائكة عاملون بالأمر، حاملون للتدبير، وسائط بين المشيّة الربّانية والخلق، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَانِيَةٞ﴾[2]، كلّ ذلك يؤيد ما قدّمناه، وإلى ما ذكرناه يشير عدّة من أخبار أئمة أهل البيت [عليهم السلام].

ففي *التوحيد*: عن سلمان الفارسي فيما أجاب به علي ـ عليه السلام ـ الجاثليق فقال علي ـ عليه السلام ـ: «إنّ الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهيئة السرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر، وربّك مالكه، لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء»[3].

أقول: وقد ظهر معناها بما قدّمناه.

وفي *التوحيد*: أيضاً عن حنّان بن سدير قال: سألت أبا عبدالله ـ عليه السلام ـ عن العرش والكرسيّ فقال: «إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب وضع في القرآن صفة عليحدةٍ فقوله: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[4] يقول: ربّ[5] الملك العظيم، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[6] يقول: على الملك احتوى، وهذا علم الكيفوفية في الأشياء[7]، ثمّ العرش في الوصل

١. غافر (٤٠): ٧.
٢. الحاقّة (٦٩): ١٧.
٣. *التوحيد*: ٣١٦، الحديث: ٣.
٤. التوبة (٩): ١٢٩.
٥. في المصدر: ـ «ربّ»
٦. طه (٢٠): ٥.
٧. في المصدر: «ملك الكيفوفية الأشياء»

متفرد[١]، عن[٢] الكرسي؛ لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان؛ لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البَدْع، ومنها[٣] الاشياء كلّها، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيّة وصفة الإرادة وعلم الالفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغيب من علم الكرسي.

فمن ذلك قال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٤]، أي صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان، قلت: جعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسي؟ قال ـعليه السلام ـ: «إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيّة فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وإنّيتها، وحدّرتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الصرف وبمثل صرف العلماء وليستدلّوا على صدق دعواهما، لأنّه ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ القَوِيُّ العَزِيز﴾[٥]، [الحديث].

أقول: قوله: إنّ للعرش صفات كثيرة إلى آخره، يؤيّده ما ذكرناه أنّ العرش مثلٌ مضروبٌ لبيان اجتماع أزمّة تدابير الموجودات، ويؤيّده ما في آخره من قوله: «وبمثل صرف العلماء»، وقوله ـعليه السلام ـ: «وهذا علم الكيفوفية في الأشياء»، المراد به علم العلل العالية والأسباب القصوى للموجودات، فإنّ لفظ (كيف) كما يسئل به عرفاً عن العَرَض المسمى اصطلاحاً بـ: الكيف، كذلك يسئل

١. في نسخة: «مفرد»
٢. في المصدر: «من»
٣. في المصدر: «منه»
٤. التوبة (٩): ١٢٩.
٥. *التوحيد*: ٣٢١ ـ ٣٢٣، الحديث: ١.

به عن السبب واللمّ، يقال: كيف وجد كذا، وكيف خُلق كذا، وقد عرفت أن تفاصيل الأشياء تنتهي إلى الكرسي، وإجمالها ينتهي إلى العرش، ولذلك قال ـعليه السلام ـ: «إنّ الكرسي: هو الباب الظاهر من الغيب، والعرش: هو الباب الباطن منه».

فقوله: «منه مطلع البدع» أي طلوع الأمور البديعة على غير مثال وصدورها، ومنه الأشياء كلّها أي تفاصيلها ومفرداتها.

وقوله: «يوجد فيه علم الكيف والكون» إلى آخره، أي علم جميع هذه الأشياء بحيث ينتهي إليه جميعها كانتهاء التفصيل إلى الإجمال.

وقوله: «الكيف» إلى آخره، كأن المراد بالكيف وصف الأشياء بحسب حالاتها، والمراد من الكون تمام وجودها، والمراد بالعود والبدا أوّل وجوداتها وآخرها.

والمراد بالقدر والحدّ واحد وهو الكميّة، غير أنّ القدر حال الكم بحسب نفسه كالعدد والصغر والكبر، والحدّ حال الكمّ بحسب إضافته إلى غيره وانفصاله عنه والمراد بالأين هو المكان.

والمراد بالمشيئة، تعلق المشيئة بوجودها وعدمه.

والمراد بصفة الإرادة، خصوصية المشيئة المتعلقة وكيفيّتها وحدّها.

والمراد بعلم الألفاظ، كأنّه كشف الألفاظ عن المعاني بحسب الخارج، وهذا غير الدلالة الثانية بحسب الوضع اللغوي، لأنّه أمر اعتباري، إلّا أنّه يمكن أن يكون المراد بمجموع قوله: «وعلم الألفاظ والحركات والترك»، العلم بكيفيّة انتشاء الإعتبارات من الأفعال والتروك واللّغات من حقائقها المنتهية إلى منشأ واحد.

والمراد بـ: «الترك» هو السكون النسبي في مقابل الحركات.

وقوله: «لأن علم الكيفوفية فيه»، الضمير راجعٌ إلى العرش.

وقوله: «وفيه الظاهر من أبواب البداء» الضمير راجع إلى الكرسي، والبداء إبطال سبب تأثير سبب آخر، وهو ـ كما سيجيء ان شاء [الله] ـ يعمّ جميع آثار الأسباب، فإنّ عالم الأجسام عالم التزاحم لا يؤثر فيه سبب إلّا بإبطال أثر سبب آخر والبداء شامل للجميع.

وقوله: «فهذان جاران، أحدهما حمل صاحبه في الصرف»، المراد به على ما ينتجه البيان المتقدّم، أنّ العرش والكرسي جاران ومتناسبان، بل حقيقة واحدة مختلفة باعتباري الإجمال والتفصيل، وقد نسب إلى أحدهما أنّه حامل لصاحبه بحسب صرف الكلام وضرب المثل، وبالأمثال تُبيّن المعارف الدقيقة للعلماء.

وقوله: «وليستدلّوا على صدق دعواهما»، أي دعوى العرش والكرسيّ، أي جعل هذا المثل ذريعة لأن يستدلّ العلماء بهما على صدق المعارف الملقاة إليهم في كيفية انتشاء تدبير الإيجاد عن مقامي التفصيل والإجمال.

وفي *الكافي*: عن البرقي رفعه قال: سأل الجاثليق علياً ـ عليه السلام ـ فقال: أخبرني عن الله عزّ وجلّ يحمل العرش او[1] العرش يحمله؟ فقال علي ـ عليه السلام ـ: الله عزّ وجلّ حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[2].

قال: فأخبرني عن قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[3]، فكيف

---

١. في المصدر: «أم»

٢. فاطر (٣٥): ٤١.

٣. الحاقة (٦٩): ١٧.

ذاك[١] وقلتَ: إنّه يحمل العرش والسموات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: إنّ العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة، نور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونورٌ ابيض منه أبيضّ البياض، وهو العلم الذي حمّله الله الحملة، وذلك نور من نور[٢] عظمته فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السموات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتشتّتة، فكلّ شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته، لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكلّ شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا والمحيط بهما من شيء، وهو حياة كل شيء، ونور كل شيء سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أين هو؟ فقال أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ: هو هاهنا وها هنا، وفوق وتحت، ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[٣]، فالكرسي محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾[٤]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ

---

١. في المصدر: «فكيف قال ذلك»
٢. في المصدر: ـ «من نور»
٣. المجادلة (٥٨): ٧.
٤. طه (٢٠): ٧.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾[١]، فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفيائه وأراه خليله، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[٢] وكيف يحمل حملة العرش، الله! وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته، الخبر[٣].

أقول: قوله: «أخبرني عن الله عزّوجلّ يحمل العرش أو العرش يحمله»، ظاهره أنّه أخذ الحمل بمعنى حمل الجسم للجسم، وقوله ـ عليه السلام ـ: الله حامل العرش والسماوات إلى آخره، تفسير للحمل بمعنى حمل الوجود، وهو قيام وجودها به سبحانه قياماً تبعيّاً محضاً غير استقلالي، فينتج أنّه تعالى هو الحامل دون العكس، ولذلك لمّا سمع الجاثليق ذلك سأله عن قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾[٤]، فإنّ حمل الوجود يختص به سبحانه لا يشاركه فيه غيره، مع أنّه نسبه إلى غيره تعالى ففسّر ـ عليه السلام ـ الحمل ثانياً بحمل العلم والعرش بالعلم، غير أنّ ذلك حيث كان يوهم المناقضة بين التفسيرين، زاد في توضيح ما ذكره ـ أن العرش هو العلم ـ بأنّ هذا العلم غير ما هو المتبادر من العلم الحصولي بواسطة الصور النفسانية، بل هو نور عظمته وقدرته حضرت لهؤلاء الحملة فسمّي ذلك حملاً، وهو مع ذلك محمول له تعالى ولا منافاة، كما أنّ وجود أفعالنا حاضر عندنا محمول لنا وهو مع ذلك حاضر عند الله ومحمول له

---

١. البقرة (٢): ٢٥٥.
٢. الأنعام (٦): ٧٥.
٣. *الكافي* ١: ١٢٩ ـ ١٣٠، الحديث: ١.
٤. الحاقه (٦٩): ١٧.

تعالى، ولذلك تراه ـعليه السلام ـ في طيّ هذا البيان تارة ينسب الحمل إلى الحملة وتارة ينسبه إليه سبحانه: إنّ كلّ شيء محمولٌ يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته، فلجميع الأشياء وجهان:

وجه إلى الله سبحانه وهو أنّها فعله وأمره الواحد، وهو بهذا الإعتبار نوره وعظمته وقدرته الفعلية.

ووجه إلى الخلق وهو تفاصيل الموجودات والأشياء، وهي بهذا الوجه الثاني محمولة للوجه الأوّل أو لله سبحانه بالوجه الأول، وكذا محمولة للحملة، الذين أحضر الله عندهم نوره وعظمته وقدرته وكشف لهم عنها، فالعرش في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، بمعنى الملك، وفي قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُم يَوْمَئِذٍ﴾[1]، بمعنى العلم، وهما مع ذلك شيء[2] واحد، وهو المقام الذي يحفظ عنده الأشياء، وهو محمول له سبحانه لذاته، ولغيره من الحملة بتحميله تعالى إيّاه لهم.

قوله ـعليه السلام ـ «فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين،- يريد ـعليه السلام ـ: أنّ هذا المقام مقام ينشأ، عنه تدبير نظام السعادة في سير السعداء في عالمهم، وهكذا تدبير نظام الشقاء والعدوان في سير الأشقياء والجهلاء في عالمهم، بل ينشأ عنه نظام قافلة الوجود جميعاً في سيرهم منذ ابتدأوا منه إلى أن ينتهوا إليه ويقفوا دونه، وهذا هو الذي استظهرناه سابقاً في معنى العرش.

وقوله: «وهو حياة كلّ شيء، ونور كل شيء»، تأكيد لما بيّنه من معنى إحاطته وحمله ،إنّ الله سبحانه به حياة كل شيء وهو ما به وجوده، ونور كلّ

---

١. الحاقة (٦٩): ١٧.

٢. الأصل غير مقروء ولعلّه «معنى».

شيء وهو ما به سير وجوده، فهي لا تملك لنفسه شيئاً ابداً بل المالك والحامل هو سبحانه، وهي مملوكة صرفة ومحمولة محضة من غير استقلال.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «هو هاهنا وهاهنا»، يريد ـ عليه السلام ـ: أنّه سبحانه لمّا كان مقوّماً لوجود كلّ شيء وحاملاً له فمعنى كونه في مكان أو مع شيء ذي مكان هو أنّه محيط به حافظ لوجوده، ووجود كل شيء حاضر عنده محاط له، فيؤول إلى علمه الفعلي بالأشياء، ولذلك قال ـ عليه السلام ـ: أولاً «فالكرسي محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى»، فأشار إلى الإحاطة ثم عقّبه بقوله: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[١]، فأشار إلى العلم فأنتج ذلك أنّ الكرسي ـ ويعنى ـ عليه السلام ـ به العرش ـ مقام الإحاطة والتدبير والحفظ، وأنّه مقام العلم والحضور بعينه، ثم طبّقه على قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٢].

وقوله ـ عليه السلام ـ: «وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلق الله في ملكوته، كأنّه أشار به الألوان الأربعة المذكورة في أوّل الكلام وسيجيء إن شاء الله الكلام فيها فيما سيجيء.

قوله [ـ عليه السلام ـ]: «وهو الملكوت الذي أراه الله أصفيائه»، يستفاد ذلك من ذيل آية السخرة ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، كما سيأتي، فالعرش هو الملكوت، غير أن الملكوت قسمان: أعلى وأسفل، والعرش لكونه مقام الإجمال وباطن البابين من الغيب كما سبق ذكره في الرواية السابقة ينبغي أن يكون هو الملكوت الأعلى.

---

١. طه (٢٠): ٧.

٢. البقرة (٢): ٢٥٥.

وقوله [ـعليه السلام ـ]: «وكيف يحمل حملة العرش، الله!»، تأكيد لأوّل الكلام، إنّ العرش هو مقام حمل الوجود وإقامته، فحملة العرش محمولون له سبحانه لا حاملون، كيف ووجودهم وسير وجودهم به سبحانه، ولاعتباره ـعليه السلام ـ هذا المقام الوجودي علماً عبّر ـعليه السلام ـ عن وجودهم وكمال وجودهم بالقلوب ونور الإهتداء إلى معرفة الله سبحانه، والمآل واحد، فافهم.

وفي *التوحيد*: عن الصادق ـعليه السلام ـ: أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ﴾ (١) فقال ـعليه السلام ـ: «ما يقولون [في ذلك]؟ قيل: يقولون: إنّ العرش كان على الماء والربّ فوقه، فقال ـعليه السلام ـ: «كذبوا من زعم هذا، فقد صيّر الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله هو أقوى منه.

ثم قال: إنّ الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون سماء أو أرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر»(٢).

أقول: وهو كسابقه في الدلالة على أنّ العرش هو العلم.

وفي *الإحتجاج*: في جملة ما احتجّ به أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ أنّه سئل عن بُعد ما بين الأرض والعرش فقال ـعليه السلام ـ: «قول العبد مخلصاً لا إله إلّا الله»(٣).

أقول: نفي الألوهيّة عن غيره تعالى حقيقة وقصره فيه تعالى بنحو الإخلاص يوجب نسيان العبد المخلص غيره والتوجه إلى مقام استناد كلّ شيء إليه تعالى،

---

١. هود (١١): ٧.

٢. *التوحيد*: ٣١٩، الحديث: ١.

٣. *الإحتجاج* ١: ٣٨٦.

وهذا هو مقام العرش على ما مرّ ونظيره الخبر الآتي.

وفي *الفقيه والعلل والمجالس للصدوق*: روى [الصدوق] عن الصادق ـ عليه السلام ـ: أنّه سئل لم سمي الكعبة كعبة؟ قال: «لأنها مربعة»، فقيل له: ولم صارت مربعة؟ قال: «لأنّها بحذاء البيت المعمور وهو مربع»، فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربعاً؟ قال: «لأنّه بحذاء العرش وهو مربع»، فقيل له: ولم صار العرش مربعاً؟ قال: «لأنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر»(١)، الحديث.

أقول: وهذه الكلمات الأربع:

أولّها: يتضمّن مرحلة التقديس والتنزيه؛

والثانية: مرحلة الثناء والتشبيه؛

والثالثة: مرحلة التوحيد؛

والرابعة: التوحيد الأعظم، وهو أنه سبحانه أكبر من أن يوصف، إذ كل وصف تقييد، وكيف كان فيرجع المعنى إلى تفسيره بالعلم على ما مرّ، والأخبار المختلفة في هذا المعنى كثيرة، كما ورد: أنّ آية الكرسي وآخر البقرة وسورة محمّد ـ [صلّى الله عليه وآله] ـ من كنوز العرش(٢).

وفي بعض الروايات: أنّ (صاد) نهر يخرج من ساق العرش(٣).

---

١. من لا يحضره *الفقيه* ٢: ١٩٠ ـ ١٩١؛ *علل الشرائع* ٢: ٣٩٨، الحديث:٢؛ *الامالي* الصدوق: ٢٥٥، المجلس: ٣٥، مع تفاوتٍ.

٢. مستدرك *الوسائل* ٤: ٣٣٦، الحديث:٤٨٢٤؛ *تفسير أبي الفتوح الرازي* ١: ٤٣٩؛ *عيون أخبار الرضا* ٢: ٢٧٠، الحديث:٦٠.

٣. راجع: *الكافي* ٣: ٤٨٥، الحديث:١؛ *المختصر*، حسن سليمان الحلي: ١٧؛ *وسائل الشيعة* ١: ٢٧٤، الحديث:٥؛ *الميزان في تفسير القرآن* ٨: ١٦٩.

وفي بعض الروايات أنّ الأفق المبين قاع بين يدي العرش، فيه أنهار تطّرد، فيه من القدحان عدد النجوم[١].

وفي *تفسير القمّي*: عن عبد الرحيم القصير[٢] عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن ﴿ن وَٱلْقَلَمِ﴾[٣] قال: «إنّ الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد، ثم قال لنهر في الجنة: كن مداداً فجمد النهر وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، ثم قال للقلم: اكتب، قال: يا ربّ ما أكتب؟ قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب القلم في رقّ أشد بياضاً من الفضة وأصفى من الياقوت، ثم طواه فجعله في ركن العرش، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق أبداً فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلّها الحديث[٤]، وسيجيء تمامه في سورة «ن».

أقول: والأخبار في تأييد كون العرش هو مقام العلم الفعلي الإجمالى كثيرة، وهناك روايات أُخر لا تأبى عمّا مرّ.

ففي كتاب *روضة الواعظين*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ عن أبيه، عن جدّه في حديث قال ـ عليه السلام ـ: «وإنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسير[٥] ألف عام، والعرش يُكسي كلّ يوم سبعين ألف لون من النور لايستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلّها في

١. *مصباح المتهجد*: ٨٢٩؛ *الخصال*: ٥٨٢؛ *ثواب الأعمال*: ١٦٥.
٢. في الأصل: «الأقصر»
٣. القلم (٦٨): ١.
٤. *تفسير القمي* ٢: ٢٧٩ ـ ٢٨٠.
٥. في المصدر: «المسيرة»

العرش كحلقة في فلاة[١].

أقول: يشير ـعليه السلام ـ إلى عظمة العرش وإحاطته بالعالم، والوصف الذي ذكره ـعليه السلام ـ تمثيل، نظائره كثيرة في رواياتهم ـعليهم السلام ـ.

وفي *العلل*: عن علل ابن سنان عن الرضا ـعليه السلام ـ: «علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ﴾[٣]، فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يُسمى الضراح، ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يُسمى البيت المعمور بحذاء الضراح، ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم فطاف به، فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة»[٤].

أقول: لواذ الملائكة بالعرش كناية عن اعترافهم بالجهل وإرجاع العلم إليه سبحانه حين قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٥].

وقد مرّ الكلام في هذه القصة في سورة البقرة.

وأمّا الضراح والبيت المعمور، فالأخبار فيهما مختلفة، بعضها يحكي عن بيت واحد في السماء الرابعة يُسمّى البيت المعمور، وبعضها عن بيتين وهما: الضراح والبيت المعمور كما في هذا الخبر، وأمّا كون الكعبة بحذاء البيت

---

١. *روضة الواعظين*: ٤٧.

٢. البقرة (٢): ٣٠.

٣. البقرة (٢): ٣٠.

٤. *علل الشرائع* ٢: ٤٠٦، الحديث: ٧.

٥. البقرة (٢): ٣٢.

المعمور فهي محاذاة معنوية لا جسمانية، والشاهد عليه قوله ـ عليه السلام ـ: فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يُسمّى الضراح وهو ظاهر.

وفي *الخصال*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ حملة العرش أحدهم: على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم، والثاني: على صورة الديك يسترزق الله للطير، والثالث: على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والرابع: على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، ونكّس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل، فاذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية»[١]، الخبر.

أقول: والأخبار فيما يقرب هذا المعنى كثيرة متظافرة، وفي بعضها عدّ الأربع حملة للكرسي.

وفي حديث آخر: حملة العرش ثمانية؛ أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين: فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأمّا الأربعة من الآخرين: فمحمد ـ [صلّى الله عليه وآله وسلم] ـ وعلي والحسن والحسين[٢] ـ عليهم السلام ـ.

أقول: لا بُعد بعد ما تحقق أنّ العرش هو مقام العلم أن يعدّ عدّة من الملائكة حملة له، ثم يعدّ عدّة من غيرهم حملته.

وفي كتاب *روضة الواعظين*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ عن أبيه عن جدّه قال: في العرش تمثال ما خلق الله في البرّ والبحر، قال: وهذا تأويل قوله [تعالى]: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٣]»[٤].

---

١. *الخصال*: ٤٠٧، الحديث: ٥.

٢. تفسير *القمي* ٢: ٢٨٤؛ تفسير *الصافي* ٥: ٢١٩؛ تفسير *نور الثقلين* ٥: ٤٠٦، الحديث: ٢٩.

٣. الحجر (١٥): ٢١.

أقول: وقد اتّضح معنى الحديث بالبيان السابق، والروايات في هذه المعاني كثيرة، والجميع يؤيّد ما مرّ من البيان في معناه، وأمّا العرش بمعنى جسم كهيئة السرير، فالروايات يكذبه، كما مرّ في ما رواه في *التوحيد* عن سلمان عن علي ـ عليه السلام ـ.

قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾

لمّا بيّن سبحانه إحاطة تدبيره على جميع الخلق وحضورها جميعاً عند تدبيره، ولا يكون هذا الحضور والتدبير إلّا بأن يكون أمرها جميعاً إليه سبحانه، فالأمر هو المدبّر لها جميعاً وهو واسطة بينه وبينها، وهذا معنىً يحتاج تصوره إلى لطف قريحة، فإنّك إذا قلت: هذا المال لي وحدي لم يصحّ ذلك إلّا بعد أن يكون أمره إليك، فهذا الأمر معنى متصوّر متوسّط بينك وبين المال يربطه بك، كأنّك تتصرف فيه بواسطته، وإذا كان العالم مخلوقاً لله بجميع ما فيه لا يشاركه في ذلك غيره اصلاً، كان أمره إليه سبحانه وتوسط الأمر بينه وبين العالم، ولهذا المعنى علّل سبحانه الكلام بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، وللطف هذه العلّة صدّر الكلام بكلمة ﴿أَلَا﴾ التنبيهيّة استيقاظاً للسامع لينتقل ذهنه إلى مغايرة الخلق والأمر على ما فيه من اللطف، على أنّ عطف الأمر والخلق بالواو يقضي بمغايرة ما بينهما في الجملة.

فان قلت: العطف لا يقتضي التغاير النوعي، ولو كان كذلك لاقتضى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾[٥]، أن لا يكون جبرئيل من

---

٤. *روضة الواعظين*: ٤٧.

٥. البقرة (٢): ٩٨.

الملائكة لمكان العطف بالواو.

قلت: اقتضاء العطف مغايرة ما بين المعطوف والمعطوف عليه، ممّا لا ينبغي الإرتياب فيه لقبح قولنا: جائني زيد وزيد، وجائني زيد وابن عمرو إذا كان المعطوف والمعطوف عليه واحداً.

نعم، المغايرة أعمّ من المغايرة النوعيّة بحسب الماهيّة، والذي يستدل بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، على مغايرة الخلق والأمر لا يريد مغايرة أزيد ممّا يقتضيه اعتبار الكلام.

ثم يتمّ البيان بآيات أُخر فإنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[١]، أفادت الآية أنّ أمره تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: ﴿كُنْ﴾، ومن المعلوم أنّ هذا القول ليس بنحو التلفظ وإيجاد الصوت، بل هو وجود الشيء لا بأن ينفصل عنه تعالى وجود وينتهي إلى الشيء المراد كحركة الشعاع من المنير إلى المستنير، بل إنّما هو وجود الشيء في نفسه، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[٢]، فأفاد أنّ الأمر واحد كاللمح بالبصر، وهذه كلمة يراد بها نفي التدريج والتأنّي، فأفاد أنّ الأمر وهو وجود الشيء غير تدريجي فهو غير زماني ولا مكاني، فإنّ الزماني والمكاني لا ينفك عن التدريج، فهذا الوجود الذي هو أمره تعالى شيء خارج عن المكان والزمان وهو وجود الشيء، فلوجود كلّ شيء مراد وجهان:

وجه الأمر: وهو بهذا الوجه خارج عن الزمان والمكان، تتساوى نسبته إلى كلّ زمان ومكان.

---

١. يس (٣٦): ٨٢ ـ ٨٣.

٢. القمر (٥٤): ٥٠.

وجه الخلق: وهو بهذا الوجه تدريجيّ الوجود تحت سيطرة الزمان والمكان ودون تأثير المادّة والقوّة وهذان الوجهان متحدّان بوجه مختلفان بوجه، غير أنّ الوجه الخلقي تابع للوجه الأمري.

ثم قوله سبحانه: ﴿فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[١]، بعد قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن﴾[٢]، يُعطي أنّ الملكوت هو الأمر، فالعرش وهو مرحلة اجتماع أزمّة الأشياء هو الأمر وهو الملكوت، والملك والملكوت خاضعان للربوبيّة، ولذلك عقّب قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾، فتبارك الله ربّ العالمين.

قوله سبحانه: ﴿تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾

نصب على الحال، أي ذوي تضرّع وخفية، وكذلك خوفاً وطمعاً كذا قيل، والظاهر أنّهما من المفعول المطلق النوعي، والتقدير: ادعوا ربّكم دعاء تضرّع وخفية، وكذلك قوله: ﴿خوفاً وطمعاً﴾، والتقدير: وادعوه دعاء خوف وطمع، والتضرّع من الضراعة بمعنى التذلّل.

وفي *تفسير القمّي*: قال: ﴿ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾، أي علانية وسراً[٣].

أقول: وكان وجه الإستفادة المقابلة بين التضرّع والخفية، فالتضرّع هو العلانية، وفي وضع التضرّع مكان العلانية ما لا يخفى من الإشعار بوجه حسن

---

١. يس (٣٦): ٨٣.
٢. يس (٣٦): ٨٢.
٣. *تفسير القمي* ١: ٢٣٦.

الدعاء العلني وهو إظهار الذلّ ونشر الضراعة إليه سبحانه.

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

تذكير الخبر لكون الإسم مصدراً جائز الوجهين.

قوله سبحانه: ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً﴾

بشراً جمع بشير، وقُرء نشراً بالنون.

وقوله: ﴿أَقَلَّتْ﴾

من الإقلال بمعنى الحمل، وكان أصله القلّة لأنّ حامل الشيء الثقيل يعدّه قليلاً.

وقوله: ﴿ثِقَالاً﴾

وصف السحاب أورد جمعاً لكون السحاب جنساً في معنى الجمع.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾

في التنظير دلالة على كون البعث ذا نظام تدريجي من التربية نظير إنبات الأرض، وسيجيء بعض ما يتعلّق بالمقام في سورة الحج.

*

[لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ
إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ ٱلْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى
ضَلالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلالَةٌ وَلٰكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ
ٱلْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّى وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللهِ مَالاَ
تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ
لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ فِى
ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ (٦٤) وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥)
قَالَ ٱلْمَلأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ
ٱلْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّى رَسُولٌ مِن رَبِّ
ٱلْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَ عَجِبْتُمْ
أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِن رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ
خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاَءَ ٱللهِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا

بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ رِجْسٌ
وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا
مِن سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ
بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾]

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾

ستأتي قصته ـ عليه السلام ـ في سورة هود ـ إن شاء الله ـ.

قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾

ستأتي قصته ـ عليه السلام ـ في سورة (هود) إن شاء الله.

قوله: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ﴾

فإن قلت: لم حذف العاطف من قوله: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ﴾، ولم يقل (فقال) كما في قصة نوح؟

قلت: هو على تقدير سؤال سائل.

قال: فما قال هود؟

فقيل: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾، وكذلك: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾، كذا قاله الزمخشري[١]، ولا يجري الكلام في قصة نوح؛ لأنّها أوّل قصّة، وأمّا قصة هود فهي قصّة بعد قصة تهيّئ ذهن المخاطب لذلك السؤال.

---

١. تفسير الكشاف ٢: ١١٦.

قوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

لما كان في هذا الملأ من يؤمن بالله ويستر إيمانه كما سيأتي في القصة، بخلاف الملأ من قوم نوح، قال هاهنا في قصة هود: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾، وقال في قصة نوح: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ﴾، كذا ذكره الزمخشري[1].

قوله: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا﴾

كأنّه كناية عن قطع الأصل، فإنّ الدابر هو الذي يأتي في آخر القوم ودبرهم، سمّى به الأصل لأنّه آخر ما ينتهي إليه الشجرة، شبّه إهلاكهم بقطع الشجرة، ثم شبّه اصل الشجرة بدابر القوم فهي كناية مركبة.

*

---

١. تفسير *الكشاف* ٢: ١١٦.

[وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ ٱللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ
ٱللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ
خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً
وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ ٱللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ
آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا
ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨)
فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ
لَاتُحِبُّونَ ٱلنَّاصِحِينَ (٧٩) وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَاءِ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ

مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا آمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ آلْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ آلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾]

قوله سبحانه: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً**﴾

ستأتي قصته ـ عليه السلام ـ في سورة (هود) إن شاء الله.

قوله سبحانه: ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي آلأَرْضِ**﴾

بوّأه: نزّله وأسكنه.

وقوله: ﴿**لَا تَعْثَوْا**﴾

من عثا يعثو، بمعنى فسد و﴿**آلَاءَ**﴾ جمع ألى بمعنى النعمة.

وقوله: ﴿**لِلَّذِينَ آسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ**﴾

يمكن أن يكون بدل الكل من الكلّ، وضمير منهم راجع إلى قومه فيفيد إيمان المستضعفين جميعاً ويمكن أن يكون بدل البعض، والضمير راجعاً إلى الذين استضعفوا.

قوله سبحانه: ﴿**آلرَّجْفَةُ**﴾

الرجفة: الإضطراب الشديد في الأرض والصيحة مع الزلزلة، والجثوم: القعود والهمود من غير حراك.

قوله سبحانه: ﴿**وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ**﴾

ستأتي قصته في سورة هود ـ إن شاء الله تعالى ـ.

[وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ آعْبُدُوا آللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا آلْكَيْلَ وَآلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا آلنَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِى آلأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ آللهِ مَنْ
آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَآذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَآنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ آلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ آللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ آلْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾
قَالَ آلْمَلَأُ آلَّذِينَ آسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَآلَّذِينَ آمَنُوا
مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ آفْتَرَيْنَا
عَلَى آللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا آللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ آللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى آللهِ تَوَكَّلْنَا
رَبَّنَا آفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ آلْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ آلْمَلَأُ
آلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ آتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ آلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ آلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ ٱلْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ
عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا
بِالْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ
حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا ٱلضَّرَّاءُ وَٱلسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ
لَايَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُوا وَٱتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ
ٱلسَّماءِ وَٱلأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ
أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰ أَنْ
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ
إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا
أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَايَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾
وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾]

قوله سبحانه: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾

ستأتي قصته في سورة (هود) إن شاء الله تعالى.

قوله سبحانه: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾

غنى بالمكان ـ من باب علم ـ: إذا أقام فيه.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ مقابلة لقول الملأ من قومه: ﴿لَئِنْ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾.

والقصر للقلب.

قوله: ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ﴾

الأسى: شدة الحزن.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾

بيان لمعنى الإستدراج، وسيأتي في أواخر السورة.

وقوله: ﴿عَفَوْا﴾

أي كثروا من عفا النبات وعفا الشعر والشحم إذا كثر.

قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾

من آيات الذر، وسيأتي بيانها جملة في قوله تعالى: ﴿وإذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ﴾[1]، الآيات في أواخر السورة.

قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾

في *الكافي*: عن موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ: «إنّها نزلت في الشاكّ»[2].

---

١. الأعراف (٧): ١٧٢.

٢. *الكافي* ٢: ٣٩٩، الحديث: ١.

وفيه أيضاً: عن الصادق ـ عليه السلام ـ أنّه قال لأبي بصير: يا أبا بصير! «إنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وإنكم لم تبدلّوا بنا غيرنا ولو لم تفعلوا لعيّركم الله، كما عيّر غيركم، حيث يقول جلّ ذكره: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾»[1].

*

---

١. الكافي ٨: ٣٥، الحديث: ٦.

[ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ
مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَاأَقُولَ عَلَى ٱللهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ
جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنْتَ جِئْتَ
بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ
فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ
ٱلْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَامُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ
وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ
ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ
أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَٱنْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ

سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾]

قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾

فرعون لقب كان يقع لمن ملك مصر كخديو.

قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ﴾

قرء «على» حرف جر و «عليّ» بالتشديد جاراً ومجروراً، والظاهر أنّ الحقيق بمعنى اللائق، والكلام مسوق للحصر، والمعنى: أنا حقيق بقول الحق فقط، أو أنّ قول الحق حقيق بي فقط، وجيء بـ(على) دون (الباء) اشعاراً باستعلاء الحق تعظيماً لأمر الله سبحانه والقول فيه.

قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

وكان هذا من عمدة رسالته إليهم، فإنّه بُعث لنجاة بني إسرائيل كما قال سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾[1].

وفي *الإكمال*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ في حديث: «إنّ الله أرسل الأسباط

١. القصص (٢٨): ٥.

إثني عشر بعد يوسف، ثم موسى وهرون إلى فرعون وملائه إلى مصر وحدها»[١].

أقول: والرواية لا تنافي كون موسى -عليه السلام- من أولي العزم المبعوثين إلى جميع الدنيا على ما ينطق به روايات أُخر؛ لإمكان عموم نبوّته لجميع الدنيا واختصاص أحكامه الخاصة بمصر وبني اسرائيل، وسيجيء تمام الكلام المتعلق بالمقام إن شاء الله.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾

الإتيان بالآية إظهارها، فلا يلزم اتحاد الشرط والجزاء.

قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾

في *تفسير العياشي*: عن الباقر -عليه السلام-: «كانت عصا موسى لآدم فصارت إلى شعيب، ثم صارت إلى موسى بن عمران، وإنّها لتروع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر»[٢]، الحديث.

أقول: وروى نظيره المفيد في الإختصاص[٣].

قوله: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾

من الإرجاء بمعنى التأخير.

وقوله: ﴿حَاشِرِينَ﴾

من الحشر بمعنى الجمع.

---

١. *اكمال الدين*: ٢٢٠، الحديث: ١.

٢. تفسير *العياشي* ٢: ٢٤ - ٢٥، الحديث: ٦٤.

٣. *الإختصاص*: ٢٦٩ - ٢٧٠، مع اختلاف يسير.

[وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ
قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِاللهِ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ
وَنَقْصٍ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا
هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا
نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ
وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ
كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ

فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾]

قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾

في *تفسير القمي* قال: كان فرعون يعبد الأصنام، ثمّ ادّعى بعد ذلك الربوبية[١].

أقول: والتاريخ يشهد به.

وفي *المجمع*: نسب إلى علي قراءة: ﴿إِلٰهَتَكَ﴾ بكسر الهمزة مصدر على وزن فعالة بكسر الفاء بمعنى العبادة[٢].

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾

المراد بهذه الملكيّة بقرينة السياق الملك الحقيقي من سنخ ملكه لجميع الخلق، فإيراث الملك لمن يشاء تمليكه لغيره تمليكاً مجازياً، ﴿وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وبذلك استدلّ موسى ـ عليه السلام ـ لخروج الأمر من فرعون والقبط ورجوعه إلى قومه لمظلوميتهم وتقويهم ان اتّقوا لكن بنحو العموم فأدّوا إليه ببثّ الشكوى تفصيلاً ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾، كالآيس من النجاة فسلّاهم ـ عليه السلام ـ بالتصريح فقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾.

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.
٢. *مجمع البيان* ٤: ٣٣٤.

وفي *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، قال: «فما كان لله فهو لرسوله، وما كان لرسول الله فهو للإمام بعد رسول الله»[1].

أقول: وفي معناه غيره من الروايات، والرواية من قبيل استنتاج التشريع من التكوين.

قوله سبحانه: ﴿بِالسِّنِينَ﴾

جمع سنة بمعنى الجدب والقحط، وأصله السنة بمعنى العام غلب في عام الجدب لكثرة ذكره والتاريخ به، وبهذا المعنى اشتق منه فقيل أسنت القوم إذا مسّهم القحط والجدب.

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾

في *تفسير القمي*: قال: الحسنة: ـ هاهنا ـ: الصحة والسلامة والأمن والسعة، والسيئة ـ هنا ـ الجوع والخوف والمرض[2].

قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ﴾

أي سبب خيرهم وشرّهم عند الله سبحانه من المشيئة والحكمة، وأصل الطائر: أنّهم كانوا يتشأمون وربما يتفاءّلون بالطائر، فسمّي سبب الشأمة طائراً ثم اشتق منه تصاريف مثل الطيرة والتطيّر ونحو ذلك.

---

١. تفسير *العيّاشي* ٢: ٢٥، الحديث: ٦٥.

٢. تفسير *القمي* ١: ٢٣٥.

قوله سبحانه: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾

في *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: إنّه سُئل عن الطوفان فقال: «هو طوفان الماء والطاعون»(۱).

قوله: ﴿ٱلرِّجْزُ﴾

وهو العذاب وفي *تفسير العياشي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ: «الرجز هو الثلج»(۲).

أقول: وروى نظيره في المجمع عن الصادق ـ عليه السلام ـ(۳).

قوله سبحانه: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾

في *المجمع*: عن الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ: «لما سجد السحرة وآمن به الناس، قال هامان لفرعون: إن الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كلّ من آمن به من بني اسرائيل، فجاء إليه موسى، فقال له: خلّ عن بني إسرائيل، فلم يفعل، فأنزل الله عليهم في تلك السنة الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البريّة وضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: ادع ربّك حتى يكفّ عنّا الطوفان حتى أخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الطوفان، وهمّ فرعون أن يخلّي عن بني إسرائيل فقال له هامان: إن خلّيت عن بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك، فقبل منه ولم يخلّ عن بني إسرائيل.

---

۱. تفسير *العياشي* ۲: ۲۵، الحديث: ٦٧.

۲. تفسير *العياشي* ۲: ۲۵، الحديث: ٦٨.

۳. مجمع *البيان*: ٤: ۲۳٥.

فأنزل الله عليهم في السنة الثانية الجراد فجردت كل شيء كان لهم من النبت والشجر حتى كانت تجرّد شعرهم ولحيتهم، فجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال: يا موسى ادع لنا ربّك أن يكفّ عنّا الجراد حتى أخلّي عن بني إسرائيل وأصحابك، فدعاه موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد فلم يدعه هامان أن يخلّي عن بني إسرائيل.

فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة القمّل فذهبت زروعهم وأصابتهم المجاعة، فقال فرعون لموسى: إن رفعت عنّا القمّل كففت عن بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه حتى ذهب القمّل، وقال: اوّل ما خلق الله القمّل في ذلك الزمان فلم يخلّ عن بني إسرائيل.

فأنزل الله عليهم بعد ذلك الضفادع، فكانت تكون في طعامهم وشرابهم، ويقال إنّها تخرج من أدبارهم وآذانهم وآنافهم فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً فجاءوا إلى موسى، فقالوا: ادع الله يذهب عنا الضفادع فإنّا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا موسى ربّه فرفع الله عنهم ذلك، فلمّا أبوا أن يخلّوا عن بني إسرائيل، حوّل الله ماء النيل دماً، فكان القبطي يراه دماً والإسرائيلي يراه ماءاً، فإذا شربه الإسرائيلي كان ماءاً وإذا شربه القبطي يشربه دماً، فكان القبطي يقول للإسرائيلي: خذ الماء في فمك وصبّه في فمي فكان إذا صبّه في فم القبطي تحوّل دماً فجزعوا من ذلك جزعاً شديداً.

فقالوا لموسى: لئن رفع عنّا الدم لنرسلنّ معك بني إسرائيل، فلمّا رفع الله عنهم الدم غدروا ولم يخلّوا عن بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الرجز وهو الثلج ولم يروه قبل ذلك، فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله.

فقالوا: ﴿يَا مُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ

﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ﴾، فكشف عنهم الثلج فخلّى عن بني إسرائيل، فلمّا خلّى عنهم اجتمعوا إلى موسى، وخرج موسى من مصر واجتمع إليه من كان هرب من فرعون، وبلغ فرعون ذلك فقال له هامان: قد نهيتك أن تخلّي عن بني إسرائيل فقد استجمعوا إليه، فجزع فرعون وبعث في المدائن حاشرين وخرج في طلب موسى»[١].

أقول: ورواه *القمي* في تفسيره مقطوعاً[٢].

قوله سبحانه: ﴿مَشَارِقَ ٱلأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾

اللام للعهد يعني: الأرض المقدّسة وهي أرض مصر ونواحي الشام ولبنان.

وقوله: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾

التدمير: الإهلاك والتخريب.

*

١. مجمع *البيان* ٤: ٢٤٠.

٢. تفسير *القمّي* ١: ٢٣٧.

[وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ
لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى ٱجْعَل لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾
إِنَّ هٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَاهُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللهِ أَبْغِيكُمْ
إِلٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا
بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ ٱخْلُفْنِي فِي
قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَاتَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلٰكِنِ ٱنْظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ
فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ
مُوسَىٰ صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾
قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ
مَاآتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا

سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ ٱلْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾]

وقوله: ﴿مُتَبَّرٌ﴾

التتبير: التدمير.

قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾

الرؤية البصرية مستحيلة في حقه سبحانه؛ لاختصاصها بالجسمانيات ونزاهة ساحته سبحانه عن ألواث الجسمانية والإمكان، فهو محال بالذات، لكن الاستدراك الواقع في الآية أعني قوله تعالى: ﴿وَلٰكِنِ ٱنْظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً﴾، يشهد على أنّ الرؤية التي سألها ـ عليه السلام ـ لم تكن محالاً ذاتيّاً، بل لعدم استطاعته ـ عليه السلام ـ وعدم تحمّله لذلك؛ حيث إنّ الجبل على عظمته وقوّته لم يستطع ذلك، ولم يقو عليه، فكيف بموسى وهو بدن عنصري ضعيف، ولو لم يكن هذا التجلي الذي يحكيه سبحانه من سنخ ما كان يسأله موسى ـ عليه السلام ـ لم يتمّ أمر البيان، ولكان نظير أن يقال: أُنظر إني أُريد أن أدكّ الجبل، فإن لم يندكّ وعصى عن إرادتي فسوف تراني.

ومن المعلوم أنّ هذا لا يفيد وضوحاً في بيان عدم الرؤية، على أنّ المحال

الذاتي لا يحتاج إلى بيان آخر، وقوله: ﴿لَنْ تَرَانِى﴾ كافٍ في معناه أحسن كفاية.

وأيضاً قوله سبحانه: بعد إفاقة موسى وتوبته حيث قال: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالَاتِى وَبِكَلَامِى فَخُذْ مَاآتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِين﴾، وارد مورد الإمتنان على موسى ـ عليه السلام ـ وأمره بأن يقنع بما آتاه الله من الرسالات والتكليم ورزقه من التقرّب، ولا يستزيد بسؤال ما ليس له، وهذا لايصحّ إلّا فيما هو ممكن في نفسه غير ممكن لموسى ـ عليه السلام ـ.

وبالجملة، كلّ ذلك يدلّ على أنّ المسؤول كان أمراً من سنخ التجلّي الذي وقع للجبل فاندكّ، فهذا هو المراد بالرؤية، لا الرؤية البصرية المستحيلة.

ولا دليل على انحصار حقيقة الرؤية والنظر فيما يفهمه العامّة من النظر بالحدقة الباصرة، فقدأ ثبت الله سبحانه في كلامه أصل معناه قال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١]، وفي هذا المعنى أيضاً قوله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى ٱلآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِن لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطٌ﴾[٢] ـ كما سيجيء ـ، وقوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللهِ لَآتٍ﴾[٣].

فكل ذلك يثبت إمكان الرؤية والمشاهدة والوعد بها، وهي المعرفة، كمال المعرفة غير المعرفة التي تحصل بنظر العقل وايصال الدليل، فموسى ـ عليه السلام

---

١. القيامة (٧٥): ٢٢ ـ ٢٣.
٢. فصلت (٤١): ٥٣ ـ ٥٤.
٣. العنكبوت (٢٩): ٥.

وحاشا مقام النبي المرسل ـ أحد أُولي العزم الخمسة الذين هم سادة الأنبياء وحملة التوحيد عن الجهل والإقتراح، إنّما كان يسأل الرؤية التي سيرزقه أهل الجنة من النظر إلى الله تعالى دون الرؤية المتعلقة بالأضواء والألوان على الأجسام، وعلى ما مرّ يدل بعض الروايات.

ففي *التوحيد*: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في حديث: وسأل موسى وجرى على لسانه من حمد الله عزّ وجلّ: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**﴾، فكانت مسألته تلك أمراً عظيماً، وسأل امراً جسيماً فعوتب فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**لَنْ تَرَانِي**﴾ في الدنيا حتى تموت فتراني في الآخرة، ولكن إن أردت أن تراني في الدنيا فـ﴿**أنْظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾، فأبدا الله بعض آياته وتجلّى ربّنا للجبل فتقطّع الجبل فصار رميماً ﴿**وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً**﴾، ثم أحياه الله وبعثه فقال: ﴿**سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾، يعني أوّل من آمن بك منهم بأنّه لا يراك[1].

أقول: وقد اتضح معنى الحديث في الجملة بما مرّ والأخبار في إثبات هذه الرؤية والمشاهدة كثيرة.

فعن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله»[2].

وفي *النهج*: عنه ـ عليه السلام ـ: «لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»[3].

---

۱. *التوحيد*: ۲٦۱ الحديث: ٥.

۲. *مفتاح الفلاح*: ۳٦۷؛ *مشرق الشمسين*: ٤۰۲؛ *شرح الأسماء الحسنى* ۱: ٤.

۳. *نهج البلاغة*: ۲٥۸، الخطبة: ۱۷۹؛ وفي المصدر: «لم تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان».

وعنه ـ عليه السلام ـ: «لم أعبد ربّاً لم أره»[١].

وفي *التوحيد*: عن أبي بصير عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: «نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة»، قلت: متى؟ قال: «حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٢]، ثم سكت ساعة، ثم قال: وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا»؟! قلت: فأُحدّث بها عنك، فقال: «لا، فإنّك إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدّر أنّ ذلك تشبيه كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين ـ تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون»[٣].

أقول: وظاهرٌ من الرواية أنّ هذه الرؤية ليست هي الإعتقاد والإيمان القلبي المكتسب بدليل، كما أنّها غير الرؤية البصرية الحسّية، وأنّ المانع من استعمال الرؤية في حقه سبحانه أو تكثير هذا الإستعمال انصراف اللفظ عند الناس إلى الرؤية الحسيّة، وإلّا فحقيقة الرؤية ثابتة وهي نيل الشيء بالمشاهدة العلميّة من غير طريق التصوّر والإعتقاد الفكري، بل هنا عدة من الأخبار تنفي أن يكون هو سبحانه معلوماً بالعلم الفكري والتصور الذهني أصلاً، بل هو معلوم مشهود بنحو آخر من المعرفة والكشف.

وفي *التوحيد والأمالي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ في خطبة له ـ عليه السلام ـ: «أحدٌ لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجلٍّ لا باستهلال رؤية،

---

١. *الكافي* ١: ٩٧ ـ ٩٨، الحديث: ٦، فيه: «ما كنت»؛ ١: ١٣٨، الحديث: ٤؛ *الاختصاص*: ٢٣٥؛ *الأمالي للصدوق*: ٣٤١، الحديث: ١؛ *التوحيد*: ١٠٩، الحديث: ٦، و٣٠٤ ـ ٣٠٥، الحديث: ١ و ٣٠٨، الحديث: ٢.

٢. الاعراف (٧): ١٧٢.

٣. *التوحيد*: ١١٧، الحديث: ٢٠.

باطن لا بمزايلة»[١].

وفي *التوحيد*: ـ أيضاً ـ: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في كلام له في *التوحيد*: «وأحدٌ صمدٌ أزليّ صمديّ، لا ظلّ له يمسكه وهو يمسك الأشياء بأظلّتها، عارفٌ بالمجهول، معروفٌ عند كلّ جاهل، لا هو في خلقه ولا خلقه فيه»[٢].

وفي *الإرشاد* وغيره: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في كلام له: «إنّ الله أجلّ من أن يحتجب عن شيء أو يحتجب عنه شيء»[٣].

وفي *التوحيد*: عن موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ في كلام له في *التوحيد*: «ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، فقد احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، لا اله إلّا هو الكبير المتعال»[٤].

أقول: وهذا المعنى مروي عن الرضا ـ عليه السلام ـ على ما في *العلل* وجوامع *التوحيد*[٥].

ومقتضى الروايات الثلاث السابقة أنّه سبحانه معروف غير مجهول عند أحد على جهلهم به، وتفسير ذلك الرواية الأخيرة، فإنّ مقتضاها أنّه سبحانه غير محتجب عن شيء قطّ إلّا بنفس ذلك الشيء، فالإلتفات إلى الأشياء هو العائق عن مشاهدته سبحانه، ثم حكم ـ عليه السلام ـ أنّ هذاالحاجب الساتر غير ساتر حقيقة، فهو حجاب غير حاجب وستر غير ساتر، وينتج مجموع الكلامين

---

١. *التوحيد*: ٣٤، الحديث: ٢؛ *الامالي* للشيخ الطوسي: ٢٢، الحديث: ٢٨؛ *الأمالي* للمفيد: ٢٥٣، الحديث: ٤.

٢. *التوحيد*: ٥٧ ـ ٥٨، الحديث: ١٥.

٣. *الارشاد* ١: ٢٢٤.

٤. *التوحيد*: ١٧٨، الحديث: ١٢.

٥. *علل الشرائع* ١: ٩ ـ ١٠، الحديث: ٣؛ *التوحيد*: ١٧٩، الحديث: ١٢.

أنّه سبحانه مشهود عند الكل، معلوم لهم، غير أنّ التفات الخلق إلى ذواتهم واشتغالهم بأنفسهم حجبهم عن التنبّه بأنّهم يشهدونه، فالعلم موجود مطلقاً دون العلم بالعلم، فلو سأل أحد من الله أن يشاهده رجع سؤاله إلى سؤال أن ينسيه سبحانه غيره حتى تصفو له المشاهدة ويتّم له المعرفة، فافهم ولا تزغ.

وبهذه الرواية أيضاً يظهر معنى ما في عدّة من الروايات كما في جوامع *التوحيد*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ قال: «خلقة الله الخلق حجاب بينه وبينهم»[١].

وفي *العلل*: عن الثمالي قال: قلت لعليّ بن الحسين ـ عليه السلام ـ: لأي علّة حجب الله عزّ وجلّ الخلق عن نفسه؟ قال: «لأنّ الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل»[٢].

أقول: فالبناء على الجهل جعلهم بحسب الخلقة مشتغلين بأنفسهم.

وفي *المحاسن*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ كان ولا شيء غيره، نوراً لا ظلام فيه، وصادقاً[٣] لا كذب فيه، وعالماً[٤] لا جهل فيه، وحيّاً[٥] لاموت فيه، وكذلك هو اليوم، وكذلك لا يزال أبداً»، الحديث[٦].

وفي *التوحيد*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ في حديث: «كان يعني رسول الله

---

١. *التوحيد*: ٣٥ ـ ٣٦، الحديث:٢؛ *الأمالي*، للشيخ المفيد: ٢٥٤، الحديث:٣؛ *الأمالي* للشيخ الطوسي: ٢٢، الحديث:٢٨؛ *نور البراهين* ١: ١٠٢.

٢. *علل الشرائع* ١: ١١٩، الحديث:٢.

٣. في المصدر: «صدقاً»

٤. في المصدر: «علماً»

٥. في المصدر: «حياة»

٦. *المحاسن* ١: ٢٤٢، الحديث:٢٢٨.

إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب»[١].

وفي *التوحيد*: ـ أيضاً ـ: عن محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن ـ عليه السلام ـ هل رأى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ربّه عزّ وجلّ؟ فقال: نعم، بقلبه رآه، أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[٢]، لم يره بالبصر ولكن رآه بالفؤاد»[٣].

وفي *التوحيد*: عن عبد الأعلى، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث: «ومن زعم أنّه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك، لأنّ الحجاب والمثال والصورة غيره، وإنّما هو واحد موحَّد، فكيف يوحِّد من زعم أنّه عرفه بغيره، إنّما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه، إنّما يعرف غيره، ليس بين الخالق والمخلوق شيء[٤]، والله خالق الأشياء لا من شيء يسمّى بأسمائه، فهو غير أسمائه، والأسماء غيره، والموصوف غير الواصف، فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضالّ عن المعرفة، لا يدرك مخلوق شيئاً إلّا بالله، ولا تدرك معرفة الله إلّا بالله، والله خلوٌ من خلقه، وخلقه خلوٌ منه»[٥].

أقول: والرواية تشتمل على إثبات معرفة الله سبحانه لكلّ مخلوق مدرك لشيء، وأنّ هذه المعرفة غير المعرفة الفكرية التي تؤخذ من الأدلة والآيات، وأنّ تلك المعرفة ليست في الحقيقة معرفة، بل هي شرك وضلالة.

بيان ذلك على ما تعطيه الرواية من المقدّمات: أنّ المعرفة المتعلّقة بشيء إنّما

---

١. *التوحيد*: ١١٣ ـ ١١٤، الحديث: ١٣.

٢. النجم (٥٣): ١١.

٣. *التوحيد*: ١١٦، الحديث: ١٧.

٤. في المصدر: ـ «ليس بين الخالق والمخلوق شيء»

٥. *التوحيد*: ١٤٢ ـ ١٤٣، الحديث: ٧.

هي إدراكه، فما وقع في ظرف الإدراك فهو الذي تتعلق به المعرفة لا غيره، فلو فرضنا أنّا عرفنا شيئاً بشيء آخر هو واسطة في معرفته، فالذي تعلّق به إدراكنا هو الوسط دون ذي الوسط، فلو كان المعرفة بالوسط مع ذلك معرفة بذي الوسط، كان اللازم منه أن يكون الوسط بوجه هو ذا الوسط حتى يكون العلم بأحدهما علماً بالآخر، فهو هو بوجه وليس هو بوجه، فيكون واسطة رابطة بين الشيئين، وإذ كان لا واسطة بين الخالق والمخلوق ليكون رابطة بينهما، فلا يمكن معرفته سبحانه بشيء غير نفسه فلو عرف بشيء كان هو نفسه، ولو لم يعرف بنفسه لم يعرف بشيء، فدعوى أنّه معروف بشيء من الأشياء شرك خفي، لأنّه إثبات واسطة بين الخالق والمخلوق يكون غيرهما كليهما، لكنه سبحانه معروف، لأنّ شيئاً من الأشياء لا يعرف إلّا به فإنّه هو المُظهر لكلّ شيء عند كلّ شيء يعرفه فهو سبحانه واسطة، فهو معلوم أوّلاً معروف إبتداءاً، ثم الشيء المعروف المفروض بعرضه ثانياً.

فقوله ـ عليه السلام ـ: «بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك»، كأنّ المراد بالحجاب شيء من الموجودات يكون فاصلاً بينه وبين العارف، وبالصورة الصورة الذهنية المقارنة بالأوصاف المحسوسة كالمقادير والألوان والأضواء، وبالمثال ما هو من قبيل المعاني غير المحسوسة، أو المراد بالصور التصورات، وبالمثال التصديقات.

وبالجملة، العلوم الفكرية داخلة فيها، والأخبار في نفي كون العلم الفكري علماً بالله سبحانه كثيرة جدّاً، وكون هذه المعرفة شركاً لإثباته غير الله سبحانه يشترك معه في الوجود غيره وغير مخلوقه، ولذلك عقّب ـ عليه السلام ـ الكلام بقوله: «وإنّما هو واحد موحَّد» أي إنّه لا شريك له في ذاته بوجه

من الوجوه أصلاً.

فكيف يوحِّد من زعم أنّه يعرفه بغيره، إنّما عرف الله من عرفه بالله، ومن لم يعرفه به فليس يعرفه، أي ليست معرفته معرفة الله إنّما يعرف غيره، كلّ ذلك لأنّه ليس بين الخالق والمخلوق شيء، أي أمر ربطهما هو غيرهما، والله خالق الأشياء لا من شيء يكون رابطاً بينهما موصلاً للخالق بالمخلوق وبالعكس.

وقوله ـعليه السلام ـ: «تسمّى بأسمائه فهو غير أسمائه»، في موضع دفع الدخل، وهو أن يقال: إنّا نعرفه سبحانه بأسمائه، وأسماؤه حاكية عنه تعالى.

فدفعه بأنّ نفس التسمّي بالأسماء يقضي بأنّ الأسماء غيره إذ لو لم يكن غيره كان معرفته بأسمائه معرفة له بنفسه لا بشيء آخر، ثم أكّده بأنّ الأسماء واصفة والذات موصوفة والموصوف غير الواصف.

فإن عاد القائل وقال: إنّا نؤمن بما نجهله ولا يمكننا معرفته بنفسه إلّا بما يسمّى معرفة مجازاً كالمعرفة بالآيات، وزعم أنّه يؤمن بما لا يعرف فهو مناقض لنفسه مختلط فهمه ضال عن المعرفة لا يدري ماذا يقول فإنّه يدرك شيئاً ولا يدرك مخلوق شيئاً إلّا بالله، فهو يعرف الله ولا ينال ولا يدرك معرفة الله إلا بالله، ولا رابطة مشتركة بين الخالق والمخلوق، والله خلو من خلقه، وخلقه خلو منه.

فقد تحصل من الرواية، أنّ معرفة الله ضروري لكلّ مدرك من خلقه، إلّا أنّ الكثير منهم ضال عن المعرفة مختلط عليه، والعارف بالله يعرفه به ويعلم أنّه يعرفه، والروايات في هذه المعاني كثيرة.

وفي *العيون*: عن الرضا ـعليه السلام ـ فيما سأله المأمون أن قال له: كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران ـعليه السلام ـ لا يعلم أن الله لا يجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟ فقال ـعليه السلام ـ: «إنّ كليم الله علم أنّ

الله منزّه عن أن يرى بالأبصار ولكنّه لمّا كلّمه الله وقرّبه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله كلّمه وقرّبه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعته، وكان القوم سبعمائة ألف، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة الآف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله أن يكلّمه ويُسمعهم كلامه، وكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوقٍ وأسفل ويمينٍ وشمالٍ ووراءٍ وأمامٍ، لأنّ الله أحدثه في الشجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه.

فقالوا: لن نؤمن بأنّ هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا، بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا.

فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني اسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم؛ لأنك لم تك صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك، فأحياهم وبعثهم معه.

فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك فتخبرنا كيف هو ونعرفه حق معرفته، فقال موسى: يا قوم إن الله لا يُرى بالأبصار ولا كيفيّة له، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه.

فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله.

فقال موسى: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت اعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه: يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ

مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنّك لا تُرى»[1].

أقول: جوابه ـ عليه السلام ـ كما ترى جدلي، غير أنّ الكلام الإلهي لا يدفعه بحسب نظر الخصم، وهو أيضاً لا يدفع في نفسه المعنى الذي قدّمناه، والشاهد على كونه مبنياً على الجدل منه ـ عليه السلام ـ أنه ورد عن الرضا ـ عليه السلام ـ عدّة خطب وروايات بطرق مختلفة إثبات التجلّي والرؤية له تعالى بالمعنى الذي قدّمناه وتشريح معناه، وما كان يمكنه ـ عليه السلام ـ الجواب البرهاني ببيان حقيقة الأمر فإنّ القوم يؤمئذ كانوا على قولين إثنين لا ثالث لهما عندهم:

أحدهما: قول المعتزلة وهو نفي الرؤية مطلقاً واستحالته عليه تعالى مستنداً إلى أنّ الرؤية تختصّ بالبصر، والرؤية البصرية إنّما تتعلّق بالجسمانيات المحدودة بالجهات والأعراض الجسمانية وهي مستحيلة في حقه تعالى وهو باطل، فإنّه إنّما يقتضي استحالة المشاهدة البصرية، وأمّا المشاهدة بمعنى إدراك المعلول بتمام ذاته علّته الموجدة ووجدانه إيّاها على ما يقتضيه سعة وجوده ومرتبة هويّته فلا، وليس كلّ إدراك يجب أن يكون بحاسّة من الحواس الظاهرة المتعلّقة بالجسمانيات، أو الباطنة المتعلقة بالصور والمعاني المحدودة فإنّا ندرك ذواتنا بحضور ذواتنا لذواتنا من غير استناد ذلك إلى حاسّة من الحواس أو قوة من القوى.

وثانيهما: قول الأشاعرة على ما نسب إليهم وهو إثبات الرؤية البصرية في حقّه تعالى يوم القيامة لا في الدنيا مستنداً بعدم الدليل على قصر الرؤية البصرية

---

١. عيون *أخبار الرضا* ـ عليه السلام ـ ١: ٢٠٠، الحديث: ١.

على ما يلازم الجسمانيّة والجهة.

وربّما استدلّوا بأن الإبصار يتعلّق بالجوهر والعرض ولا جامع بينهما إلّا الموجود مطلقاً، فكل موجود يجوز أن يكون مبصراً مرئياً بالعين، والله سبحانه موجود فيجوز عليه أن يكون مرئياً مبصراً. وليت شعري ماذا تصوّروه في معنى إبصار العين حتى جوّزوا إحساس البصر لما ليس في جهة ولا مكان ولا زمان، ولا هو موصوف بأوصاف الأجسام، وأغرب منه تخيّلهم تعلق الإبصار بنفس الجسميّة كتعلّقه بالألوان والمقادير وسائر أعراض الجسم، وأعجب منه أخذهم الموجود المطلق جامعاً منحصراً بينهما، ثم حكمهم بأنّ كلّ موجود يجوز أن تتعلق به الرؤية البصريّة.

فهذه وأمثالها أقاويل لا ينبغي للباحث المحصّل أن يتلف وقته في تزييفها ونقضها، أو يشتغل بالتأمل في أطرافها أزيد ممّا يعتبر به المعتبر ويستبصر للشر ليجتنب عنه ويتّقي قربه.

وبالجملة، فمع دوران الأمر بين هذين القولين، والحقّ بمعزل منهما ما كان يسع له ـ عليه السلام ـ أن يجيب بما هو الحق عنده على ما روينا عنه، فالرواية واردة مورد الإقناع والجدل، وقد وردت في هذا المساق روايات أخرى، كما وردت في مساق الرواية الأولى.

وفي *البصائر*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: إنّ الكروبيّين قوم من شعيتنا من الخلق الأوّل، جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إنّ موسى لمّا سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً»[١].

---

١. *بصائر الدرجات*: ٦٩، الحديث: ٢.

أقول: قوله سبحانه: **﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾**.

التجلّي: التكشّف، وأصل الجلاء هو الظهور والبينونة مقابل الخفاء، ومنه: الجلاء بمعنى الخروج من الوطن بمعنى ذهاب الوسخ والرين، وبمعنى الزينة وغير ذلك.

و ورود التجلّي بعد قوله: **﴿لَن تَرَانِي﴾** لا يخفى لطفه، والدك والدق بمعنى واحد، وكأن الدك أشدّ.

قوله سبحانه: **﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾**

الخرور: السقوط، والصعقة الغشية، النشوة والموت، وفي القرآن: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾**[١] أي: مات.

وفي بعض الروايات أنّه ـ عليه السلام ـ مات في هذه الصعقة ثم ردّ الله عليه روحه»[٢].

أقول: ويمكن استفادته من قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**، فإنّ موسى ـ عليه السلام ـ إنّما قال ذلك بعد ما شاهد ما آل إليه أمر الجبل وأخذته الصعقة، ولم يقله عندما سمع قوله تعالى: **﴿لَن تَرَانِي﴾**، مع أنّ كلامه سبحانه أقوى في إفادة اليقين وإيجاد الإيمان والطمأنينة من دلالة رؤية اندكاك الجبل والإبصار به، والبصر ربّما يغلط ويكذب وكلامه سبحانه صدق لا يحتمل الكذب ولا يبدّل القول لديه، وهو ـ عليه السلام ـ أعرف بمقام ربّه، فليس إلّا أنه ـ عليه السلام ـ وجد من ربّه أمراً وراء الكلام

١. الزمر (٣٩): ٦٨.

٢. تفسير *العياشي* ٣: ٢٦، الحديث: ٧٢؛ مع تفاوتٍ.

فصعق، كما وجد الجبل أمراً فاندكّ من عظمته، فلم يوجد الصعقة فيه صورة اندكاك الجبل وهو ـعليه السلام ـ صاحب المعجزات قد شاهد ما هو أعظم صورة من اندكاكه، كقضايا الثعبان وإليد البيضاء وفلق البحر وغير ذلك، ولم يصعق في شيء منها، بل إنّما أوجد الصعقة فيه ما أوجد الدكّ في الجبل وهو التجلّي فوجد ـعليه السلام ـ من التجلّي ما وجده الجبل، وقد زال الجبل عن مكانه بالإندكاك وصيرورته رميما كالهباء، فبطل جبليّة الجبل ولم يبق إلاّ الهباء المنثور وليس الهباء بجبل وكذلك فعل بموسى ـعليه السلام ـ فصعق.

ومن هنا يعلم أن صعقته ـعليه السلام ـ كان موتاً منه وبطلاناً لحياته الدنيا وزوالاً عن مكانه على ما قال سبحانه ﴿لَنْ تَرَانِي﴾، فكانت صعقته موته وافاقته[١] رجوع روحه إليه كما ورد في الروايات.

قوله سبحانه: ﴿فَخُذْ مَاآتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ﴾

الإيتاء هو الإعطاء، وهو هاهنا النعمة بقرينة الشكر والأمر بأخذ النعمة بعد ايتائها والإنعام بها كناية عن الشكر عليها والتحفظ بها، فتعقيبه بقوله: ﴿وَكُنْ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ﴾، كالتصريح بعد الكناية، وقد مرّ معنى الإصطفاء في سورة البقرة، ومعنى الشاكرين في أول هذه السورة، وأنّ الشاكرين هم المخلصون، فموسى ـعليه السلام ـ من المخلصين، ويصدّقه قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾[٢].

وفي *الكافي*: عن الصادق ـعليه السلام ـ قال: «أوحى الله إلى موسى أن:

---

١. في الاصل: «إفادته» والأصح ما أثبتناه في المتن.

٢. مريم (١٩): ٥١.

يا موسى! أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا ربّ ولم ذاك؟! قال: يا موسى إنّي قلّبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلّ لي نفساً منك، يا موسى: إنّك إذا صلّيت وضعت خدّك على التراب أو قال على الأرض»[١].

أقول: وروي قريباً في *العلل*[٢] وقوله: «إنّك إذا صلّيت»، بمنزلة بيان الملكة والخُلق ببعض الأفعال الصادرة عنها وهو ظاهر.

قوله سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾

في *البصائر*: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «إنّ الألواح كانت من زمرّد أخضر»[٣].

أقول: وكذا رواه العياشي: عن الصادق ـ عليه السلام ـ[٤].

قوله: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾

في التنكير دلالة على التبعيض.

وفي *تفسير العيّاشي*: عن عبدالله بن الوليد، عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «قال الله لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ فعلمنا أنّه لم يكتب لموسى الشيء كلّه، وقال الله لعيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[٥]،

١. *الكافي* ٢: ١٢٣، الحديث: ٧.
٢. *علل الشرائع* ١: ٥٦، الحديث: ١ و ٢.
٣. *بصائر الدرجات*: ١٤١، الحديث: ٦.
٤. *تفسير العياشي* ٢: ٢٨، الحديث: ٧٧، مع تفاوت.
٥. الزخرف (٤٣): ٦٣.

وقال الله لمحمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[١]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾»[٢][٣].

أقول: وهذا المعنى مروي في عدّة من الروايات، وعلى هذا فما ورد في بعض الروايات أن في الألواح علم كل شيء إمّا مأوّل أو مطروح.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾

هذا نظير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٥]، والوجه فيه أنّ اختلاف الآيات أو الأحكام من جهتين:

إحداهما: اختلافها من حيث كون بعضها أهمّ من بعض وبعضها أشرف من بعض، كالنسبة بين الواجب والمندوب، والنسبة بين الصلاة وغيرها.

وثانيهما: من حيث المراتب كمراتب الإيمان المندوب إليه في الآيات ومراتب الخلوص مراتب التقوى، والقسم الأوّل حيث كانت في مرتبة واحدة لم يحسن توجيه الأمر إلى بعض دون بعض والجميع مأمور به، ولم يقل أن يجدّوا في أحسنها أو يحافظوا عليها كما قال سبحانه: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾[٦] فتبيّن الحمل على المراتب بأن ياخذوا من الإيمان بأحسنه، ومن التقوى بحق التقوى، ومن الذكر بأقواه.

---

١. النساء (٤): ٤١.

٢. النحل (١٦): ٨٩.

٣. تفسير *العياشي* ٢: ٢٦٦، الحديث :٥٨.

٤. الزمر (٣٩): ٥٥.

٥. الزمر (٣٩): ١٨.

٦. البقرة (٢): ٢٣٨.

قوله سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾

فإن قلت: ما معنى هذا الصرف مع اتّصافهم بهذه الأوصاف الأربعة التي توجب كونهم منصرفين بأنفسهم من غير حاجة إلى صرف إلهي؛ إذ لا معنى لصرف المنصرف.

قلت: كلّ حادثة حدثت لها نسبة ما إلى الله سبحانه ـ على ما مرّ في الكلام على القدر ـ غير أنّ تنزّه ساحة الحق سبحانه عن نسبة الشرّ إليه يوجب القول بأنّ ما يفيضه على عباده من قبيل الشرّ والنقمة، إنّما هو لاستدعائهم ذلك، وفعلهم ما يوجب انقطاع النعمة عنهم وسلب التوفيق عنهم، فيشتدّ ما فيهم من الضلال والغيّ كما قال سبحانه: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِى بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا ٱلْفَاسِقِينَ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[2]، وقال سبحانه ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا ٱلسُّوءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللهِ﴾[3].

فتماديهم في الضلال ينحلّ إلى مراتب ودرجات كل لاحقة منها، إنّما لحقتهم من الله سبحانه نقمة له لاتّصافهم بالسابقة، وينتهي الجميع إلى ما سبق منهم في الذر على ما سيجيء انشاء الله تعالى، ولذلك علّل الصرف بقوله في ذيل الآية: ﴿ذَٰلِك بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

قوله سبحانه: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

في الآية دلالة على أن حبط العمل نفسه جزاء، وهو خلوّ اليد عن النتيجة، فإنّ

---

١. البقرة (٢): ٢٦.

٢. الصف (٥١): ٥.

٣. الروم (٣٠): ١٠.

المجازاة إنّما هو بالعمل، والعمل هنا حابطٌ بائر فهو الجزاء، ويمكن أن يكون قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا﴾، تمام التعليل الذي يشتمل عليه قوله: ﴿ذَٰلك بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، فيكون الجميع بمنزلة القياس الحملي المشتمل على الصغرى والكبرى، وينتج ما ذكره سبحانه بقوله: ﴿سَأَصْرِفُ﴾، ويفيد أنّ الصرف إنّما هو لمكان الحبط فلا تنتج أعمالهم نتيجة ينتفعون بها في الرجوع إلى الله والإيمان بآياته.

*

[وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ
يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا
سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ
بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ
بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾
قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
ٱلرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِن رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ
فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّئَاتِ
ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ
عَنْ مُوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ
لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾]

قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾

خصّ هاتان الصفتان من بين سائر صفاته ككونه جسماً وذا مكان وزمان وشكل ومحدوداً وغير ذلك، مع أنّ الجميع ينافي الإلهيّة[1] لكون هذين الوصفين من أوضح لوازم الإلهيّة عند من يتخذ شيئاً إلهاً؛ فإنّه يتّخذه إلهاً ليعتنى به ويهديه إلى السعادة، وإلّا فلا معنى للرجوع إلى من يكون الرجوع والتألّه إليه واللارجوع على السواء، وقد قال السامريّ لهم حين أخرجه إليهم: ﴿ هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾[2]، وقد علموا من موسى أنّ الله يكلّمه ويهديه إلى صراط مستقيم، ولذلك عقّب الكلام بقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾، فأتى بالفصل دون الوصل، فكأنه قيل: فلم اتخذوه إلهاً وأمره بهذا الوضوح من الفساد؟ فقيل: اتّخذوه إلهاً وكانوا ظالمين من قبل، وكان لا يبعد عنهم مثل هذا الصنيع كلّ البعد.

قوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾

كناية عن اشتداد ندمهم، فإنّ النادم المتحسّر يعضّ على يده غمّاً، فتصير يده مسقوطاً فيها كما قيل.

قوله: ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾

الأسف: الحزن وشدّة الغضب.

---

١. في المخطوط: أنّ الجميع الإلهية، والصحيح ما أثبتناه، كما يظهر من ملاحظة *الميزان في تفسير القرآن* ٨: ٢٤٩ ذيل الآية.

٢. طه (٢٠): ٨٨.

وقوله: ﴿خَلَفْتُمونِى﴾

أي قمتم مقامي بعدي.

وقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ﴾

عجل عن الأمر: أي تركه غير تامّ.

وقوله: ﴿أَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾

أي طرحها، والآية تشهد أنّه ـ عليه السلام ـ كان عند الرجوع غضبان، ثمّ ألقى الألواح بعد ذلك؛ فقد اشتد غضبه بالمعاينة بعد الإخبار، وكذلك فُسّر في الروايات.

ففي *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أخبر موسى أنّ قومه اتّخذوا عجلاً جسداً له خوار فلم يقع منه موقع العيان، فلمّا رآهم اشتدّ غضبه فالقى الألواح من يده، قال أبو عبدالله ـ عليه السلام ـ: وللرؤية فضل على الخبر»[١].

أقول: وهذا المعنى مروي عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ أيضاً[٢].

قوله سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾

في *الكافي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً أوقال ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً إلّا زهّده الله في الدنيا وبصّره

---

١. *تفسير العياشي* ٢: ٢٩، الحديث: ٨١.

٢. *الميزان في تفسير القرآن* ٨: ٢٦١، نقلا عن *الدر المنثور*.

دائها ودوائها وأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، ثـم تـلا: ﴿إِنَّ ٱلَّـذِينَ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِن رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾، فلاترى صاحب بدعة إلّا ذليلاً، ولا مفترياً على الله وعلى رسوله وعلى أهل بيته إلّا ذليلاً»[١].

أقول: ومعنى الحديث ظاهر وصدره مستفاد من الآية بطناً.

*

١. *الكافي* ٢: ١٦، الحديث: ٦.

[وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ
رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِن قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ
هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِى مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى
ٱلآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ
شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً
عِندَهُمْ فِى ٱلتَّورَاةِ وَٱلإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ
وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَٱلأَغْلَالَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا
ٱلنُّورَ ٱلَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى
رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ
يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ
وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ

يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَاهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ ٱسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾]

قوله [سبحانه]: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا﴾

في *التوحيد*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ: إنّ السبعين لمّا صاروا معه[1] إلى الجبل قالوا له: إنّك قد رأيت الله سبحانه فأرناه كما رأيته، قال: إنّي لم أره، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّاعِقَةُ﴾[2]، فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال: يا ربّ اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدّقني قومي بما أخبرتهم به، فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا فأحياهم الله بعد موتهم»[3].

أقول: وروى قريباً منه في *العيون*[4].

فإن قلت: ظاهر المقام أن يقال بما قال السفهاء منّا، أو ما يؤدّي معناه، فإنّ ذنبهم الذي أخذتهم به الصاعقة، قولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[5]،

---

١. في المصدر: «... والسبعون الذين أختارهم صاروا معه»
٢. البقره (٢): ٥٥.
٣. *التوحيد*: ٤٢٣، الحديث: ١.
٤. عيون *الأخبار* ١: ١٦٠، الحديث: ١.
٥. البقرة (٢): ٥٥.

فما وجه قوله: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ﴾؟

قلت: إنّما قالوه عناداً واستكباراً، وإلّا فالآية في معرفة الله كثيرة مفيدة فحصرها في الرؤية والتمادي واللجاج في طلبها كان عناداً واستكباراً ولذلك أهلكوا، وإلّا فمجرد الطلب ولو جهلاً، لم يكن موجباً للإهلاك، كما قالوا: ﴿يَامُوسَى ٱجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1]، إلى غير ذلك من اقتراحاتهم وتهكّماتهم، ولذلك قال: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ﴾، ولم يقل بما قاله الجاهلون منّا، فبدّل القول بالفعل والجهل بالسفاهة.

قوله: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾

قدّم في دعائه المغفرة على الرحمة، وكذا في دعائه لنفسه وأخيه حين قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾[2]، بخلاف ما في دعاء قومه حين قالوا: ﴿لَئِن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِر لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[3]، وسيأتي الوجه فيه.

قوله سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

صفة الرحمة التي فينا رقّة قلب الراحم للمرحوم من حيث إنه المستحق أن يحسن إليه أو أن لا يساء إليه، وهذا المعنى وإن كان وصفاً جسمانياً منبعثاً عن انفعال بدني إلّا أنّه متّحد بوصف إدراكي من أجله نسمّيها رحمة، فإنّ الذي يُريد أن يبطش إنساناً ذا ذنب ويقهره إنّما يتصوّره متلبّساً بالذنب، فهو ما دام يتصوّره

---

١. الأعراف (٧): ١٣٨.
٢. الأعراف (٧): ١٥١.
٣. الأعراف (٧): ١٤٩.

كذلك لا ينحرف عن إرادة الإنتقام أو السياسة، فإذا تصوّره متلبساً مع الذنب بما يستدعي عدم الإساءة إليه كجهالة مّا بالذنب، أو عثرة أو صفة أخرى تستدعي عدم السياسة ككونه شاباً حدث السنّ أو جميلاً أو ضعيفاً أو نحو ذلك، فإن لم يذعن به أخذ انتقامه، وإن أذعن على وفق هذا الإستدعاء فقد وجده غير مستحق للإسائة إليه أو مستحقاً للإحسان من هذه الجهة وان كان مستحقاً لذلك من جهة ذنبه وقصوره، وهذه هي حقيقة الرحمة.

فهي إذعان الراحم أنّ المرحوم على تلبّسه بالذنب أوما يجري مجراه حقيقة أو دعوى متلبّس بما لا يستحق معه الإسائة أو بما يستحق معه الإحسان، وإذا نسب هذا المعنى إلى الله ـ جلّت كبريائه ـ بما يناسب ساحة قدسه وعظمته كان ذلك وضعه تعالى كلّ شيء موضع الإحسان والإفاضة على قدر ما يستحقه، فخلقه الخلق وإيجاده الأشياء وكل ما من قِبَله تعالى رحمة منه، وإذ كان إحسانه وإنعامه ذا مراتب، وكل مرتبة منها مسبوقة بالإستحقاق القبلي للإحسان والإنعام، فرحمته تعالى مراتب، كل مرتبة منها مسبوقة بزوال المانع وستر المنافي وهو المغفرة، غير أنّ نفس المغفرة تحتاج إلى رحمة، فكلّ مغفرة مسبوقة برحمة ولا عكس، فإنّ الرحمة الأولى وهي أصل الإيجاد غير مسبوقة بالمغفرة إلّا بحسب ما يعتبره العقل، حيث يعتبر الأشياء بحسب ماهياتها مستدعية للوجود ومفتقرة إلى إيجاد الموجد عزّت إفاضته.

ومن هنا يظهر أنّ الرحمة تنقسم إلى قسمين:

إحديهما: الرحمة العامّة وهي مساوقة للإيجاد العام ومطلق الوجود المطلق ويشترك فيها جميع الموجودات وتعمّ المؤمن والكافر والدنيا والآخرة والجنّة والنار.

والثانية: الرحمة الخاصّة وهي الرحمة بعد الرحمة، وإن شئت قلت: تضاعف الرحمة، كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، وهذه هي التي تساوق السعادة على مراتبها، وتتدرج في مراتب كمراتبها، وتقابل في بعض مراتبها العذاب وتقابل في بعضها الآخر انحطاط المنزلة وقصور الدرجة.

إذا عرفت هذا تبين لك أنّ قوله سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ناظرٌ إلى الرحمة العامّة، وقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إشارة إلى الرحمة الخاصة في الآخرة، وقد سبق مقابلها في صدر الكلام عند قوله: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾، وإنّما فصّل بينه وبين قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾، لتتّصل الرحمتان ويتمّ بيان حال الرحمة في كلام متصل واحد كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ﴾[٢]، قدّم أصحاب النار ليتّصل أصحاب الجنة بأصحاب الجنة ويخرج الكلام مخرج الإتّصال، وهو ظاهر.

ومن هنا يظهر وجه تقديم المغفرة على الرحمة في قول موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾، وكذا في قوله: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾[٣]، فإنّ الأنبياء مختوم عليهم بالسعادة مأمونون من العذاب، فالذي يتعلّق به همّهم، هو الرحمة الإلهيّة، وقد ذكر المغفرة مقدّمة عليها من باب المقدّمة، ونظير هذا الدعاء دعاء آدم وزوجته حيث قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن

---

١. الحديد (٥٧): ٢٨.
٢. الحشر (٥٩): ٢٠.
٣. الأعراف (٧): ١٥١.

لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[١]، وبهذا البيان يتبين أنّ ذنبهم لم يكن ذنباً سائقاً إلى العذاب كما مرّ في سورة البقرة.

وأمّا قوم موسى في قولهم: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾[٢]، فإنّهم لمّا لم يكونوا مأمونين من العذاب والنقمة، كان همّهم متعلقاً بمغفرة ذنبهم ومعصيتهم في عبادة العجل، وقد ذكروا الرحمة مقدّمة عليها إستشفاعاً بها في طلب المغفرة، فافهم ذلك.

ومن هنا يظهر أنّ المراد بالرحمة في قوله: ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣] هي الرحمة الخاصة لكونه مسبوقاً باسم الغفور، والرحمة المسبوقة بالمغفرة الرحمة الخاصة، وقد تكرّر في إسمي (الغفور الرحيم) بتقديم (الغفور) على (الرحيم) ولم يعكس الأمر في مورد واحد منها.

وتبيّن أيضاً وجه ما ورد من الروايات في تفسير البسملة: أنّ الرحمن رحمن الدنيا، والرحيم رحيم الآخرة، وأنّ الرحمن رحمن بجميع عباده، والرحيم رحيم بالمؤمنين خاصّة، وقد سبقت هذه الروايات في تفسير فاتحة الكتاب، فارجع.

قوله سبحانه: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾

الفاء يوصل الكلام بدعوة موسى فهو إجابة لمسألته، وقد قال موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾، فأطلق الكلام، فأجابه الله سبحانه بقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ

١. الأعراف (٧): ٢٣.
٢. الأعراف (٧): ١٤٩.
٣. الأعراف (٧): ١٥٣.

يَتَّقُونَ﴾، فقيد بالتقوى.

فهذه استجابة لبعض دعوته من حيث إطلاق كلامه، وبعبارة أخرى استجابة للدعاء وتأديب بأدب الدعاء أن تطابق الدعاء مع الضمير، فمساق الكلام مساق ما نقله عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ حيث قال: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فان قلت: الذين يتقون ويؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله يستحقون منه سبحانه الرحمة جزاء لأعمالهم الحسنة والعقل حاكم بذلك، فما معنى استجابة الدعوة بالرحمة في حقهم، فإنّ ما لا بدّ منه لا يصحّ سؤاله ولا استجابة مسألته إذا سُئل وهو ظاهر.

قلت: هو كقوله في آخر آل عمران حكاية لدعاء أولي الألباب: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾[2]، إلى أن قال: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[3].

والوجه في ذلك: أنّ الله سبحانه حيث كان هو المالك على الإطلاق لا يملك أحد منه شيئاً في حال من ثواب أو رحمةٍ أو حسنة أو غير ذلك فلا يجب لأحدٍ عليه شيء حتى يلزم به، فما يحكم العقل بوجوبه وما لا يحكم بوجوده سيّان بالنسبة إليه تعالى يصحّ فيهما المسألة والإستجابة جميعاً، وأمّا حكم العقل بوجوب جزاء الإحسان بالإحسان فإنّما في موارد الأفعال العقلائية التي يملك

---

١. البقرة (٢): ١٢٤.

٢. آل عمران (٣): ١٩٣.

٣. آل عمران (٣): ١٩٥.

فيها كلّ طرف من الطرفين على الآخر شيئاً، وأما المورد الذي لا يملك عليه شيء فلا معنى لإيجاب شيء عليه ولا لإلزامه بشيء، فإن أعطى فبكرمه ورحمته، وإن منع فهو الغنيّ الحميد.

نعم، ما وعده سبحانه لعباده وقضى به على نفسه فهو واقع لا محالة وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1]، وهو مع ذلك لا يخرج عن ملكه، فإنّ الايجاب وجعل الشيء محقق الوقوع لا بدّ منه هو نحو ملك ونوع تصرف، فافهم ذلك.

ومن هنا يظهر معنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾، والكتابة هنا هي القضاء.

قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ﴾

الرسول: هو الحامل للرسالة وهو والمرسل بمعنى واحد وإنّما يتفاوتان تفاوت الصفة المشبّهة واسم المفعول في الدلالة على الثبوت والتجدّد، والنبي هو من استقرّ فيه النبأ عن الله تعالى، ولذا قيل: إنّ النسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق، فالنبي هو الذي عنده الخبر عن الله تعالى سواء أُمر بالتبليغ أو لم يؤمر، والرسول خصوص المأمور بالتبليغ منهم.

هذا، لكن الآية تنافيه، فقوله: ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ﴾، حينئذٍ يشتمل على اتباع الوصف الخاصّ بالوصف العام من غير نكتة ظاهرة وبلاغة الكلام تأباه، وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَابِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً﴾[2]، مع أنّ الكلام مسوق للتجليل ومقتضاه التدرج من العامّ إلى الخاصّ دون

---

١. آل عمران (٣): ٩.

٢. مريم (١٩): ٥١.

العكس، وأصرح منهما في التنافي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ﴾[1]، فإنّ ظاهر الآية أنّ النبي المذكور فيها غير الرسول وهو مع ذلك مرسل مثل الرسول، فلا يصحّ الفرق بأنّ الرسول يتميز عن النبي بأنّه المأمور بالتبليغ، على أنّا لم نعثر فيما بلغنا من قصص الأنبياء على نبي غير مرسل ولا مأمور بالتبليغ.

وكيف كان، فالنبوّة بحسب المعنى غير الرسالة، كما أنّ الآية الأُخيرة تدلّ على أنّ النبيّ ربما كان غير الرسول، والرسول بحسب معناه يدلّ على وجود مرسل إليه وعلى امر هو الرسالة وعلى غيبة وحجاب بين المرسل ـ بصيغة الفاعل ـ والمرسل إليه، فللمرسل بصيغة المفعول مع المرسل بصيغة الفاعل مقام ليس لغيره فإنّه واسطة، وللواسطة مع كلّ من الطرفين حكم ليس للآخر، وأما النبيّ بمعنى من استقرّ فيه النبأ الإلهي فمعناه لا يوجب وساطة وارتباطاً، فمن الجائز أن يكون هذا النبأ مما لا نصيب للمرسل إليه فيه ولا لغير النبيّ فيه حظّ.

وهذا المعنى وإن كان من فروق النبوة والرسالة، لكنّه غير مقصود في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[2]، فإنّ ظاهر الآية هو التفرقة بينهما مع كونهما جميعاً مرسلين مبعوثين إلّا أن يكون عطف النبي على الرسول يوجب قصد معنى من الإرسال يناسب الرسول والنبي معاً من الكلام.

ولذا فسّر جمع من المفسرين قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾[3]، في الآيه بمعنى بعثنا، فالأولى حينئذٍ أن يقال: إنّ النبي من استقرّ عنده النبأ الإلهي والخبر الغيبي سواء

---

١. الحج (٢٢): ٥٢.
٢. الحج (٢٢): ٥٢.
٣. الحج (٢٢): ٥٢.

حمل رسالة إلى الناس أو لم يحمل كما يظهر من بعض الروايات أن من الأنبياء من لم يبعث إلى غير نفسه، والرسول من حُمّل رسالة إلى الناس سواء استقر فيه نبأ إلهي غيبي وهو الرسول النبيّ أو لم يكن نبياً بل رسولاً فقط كما في رسل عيسى قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[١]، وعلى هذا فالنسبة بينهما هي العموم والخصوص من وجه.

وبهذا يظهر الوجه في غالب الموارد التي وضع فيها لفظ النبي أو الرسول في كلامه سبحانه على ما يوجبه بلاغة الكلام، كقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾[٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾[٥]، ومثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[٦]، وقوله: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٧]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾[٨]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

وفي *البصائر*: عن الأحول، قال سمعت زرارة يسأل أبا جعفر ـ عليه السلام ـ قال: أخبرني عن الرسول والنبي والمحدّث. فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ:

---

١. يس (٣٦): ١٤.
٢. البقرة (٢): ٢١٣.
٣. الجاثية (٤٥): ١٦.
٤. التحريم (٦٦): ١.
٥. التوبة (٩): ٧٣.
٦. المائدة (٥): ٦٧.
٧. الأعراف (٧): ٦.
٨. المائدة (٥): ١٠٩.

«الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلا فيراه، فيكلّمه فهذا الرسول، وأمّا النبي: فإنه يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم وعلى نحو ما كان رأى رسول‌الله ـ صلّى‌الله عليه وآله ـ من أسباب النبوّة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل من عندالله بالرسالة وكان محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً، ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلّمه من غير أن يكون رآه في اليقظة، وأمّا المحدَّث فهو الذي يحدَّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه»[١].

وفي *الكافي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ «الفرق بين الرسول والنبي والإمام: أنّ الرسول [الذي] ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزّل عليه الوحي وربّما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم، والنبي: ربّما يسمع الكلام وربّما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام: هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص»[٢].

أقول: المحصّل من مجموع الروايتين، أنّ النبي يرى في منامه ويسمع كلام الملك ولا يرى شخصه أو يرى ولا يسمع فهذا هو النبي فقط، وأمّا الرسول: فهو الذي يعاين الملك ويسمع كلامه وربّما جمع في واحد بين النبوّة والرسالة فيرى في المنام ويسمع ويعاين ويظهر من قوله في الرواية الأُولى: «ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلّمه»، أنّ المراد بالمنام ليس هو المنام المعهود عندنا بل نحو ركود للحواس من غير بطلان التعقل وهو الذي يعبّر عنه بنوم القلب ويمكن أن يكون هو المراد بما في *البصائر* ايضاً عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «قال

---

١. *بصائر الدرجات*: ٣٧٠ ـ ٣٧١، الحديث: ٩.

٢. *الكافي* ١: ١٧٦، الحديث: ٢.

رسول‌الله ـصلّى الله عليه وآله ـ: إنا معاشر الانبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا»[١]، الخبر.

وفي *التوحيد*: عن عبيد بن زرارة، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبدالله ـعليه السلام ـ جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ إذا نزل عليه الوحي، قال فقال: ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلّى الله له، قال: ثم قال: تلك النبوّة يا زرارة وأقبل بتخشع»[٢].

وفي *اكمال الدين*: قال: سئل الصادق ـعليه السلام ـ عن الغشية التي كانت تأخذ النبي ـصلّى الله عليه وآله ـ أكانت تكون عند هبوط جبرئيل فقال: «لا إنّ جبرئيل إذا أتى النبي لم يدخل عليه حتى يستأذنه فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد وإنّما ذلك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ ايّاه بغير ترجمان وواسطة». حدّثنا بذلك ابن ادريس، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن الحسين بن زيد، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن ثابت عن الصادق[٣] ـعليه السلام ـ.

أقول: والروايات في هذا المضمون وما يقرب منه كثيرة سننقلها في الكلام على سورة الشورى ان شاء الله تعالى.

وفي *البصائر*: عنهما ـعليهما السلام ـ قالا: «الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبيّ منبأ في نفسه لايعدو غيرها، ونبيّ يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط

---

١. *بصائر الدرجات*: ٤٢٠، الحديث: ٨.

٢. *التوحيد*: ١١٥، الحديث: ١٥.

٣. *اكمال الدين* ١: ٨٥ ـ ٨٦.

ونبيّ يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا كما قال الله ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١)، قال يزيدون ثلاثين الفا، ونبيّ يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولى العزم»، الخبر (٢).

أقول: وقوله ـ عليه السلام ـ في الطبقة الاولى: «منبأ في نفسه لا يعدو غيرها» أي يؤتى العلم بقذفه في قلبه من غير وساطة ملك أو روح كالصوت والرؤيا في المنام فإنه أيضاً تكليم من الروح كما مرّ في الخبر عن البصائر وبهذا تتقابل الطبقة الأولى والثانية وقوله: «مثل ما كان إبراهيم على لوط»، تمثيل للإمامة والإيتمام فقط والمراد بالإمامة في الرواية ولاية، العزم دون مطلق الإمامة على ما مرّ من معناه في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ (٣) من سورة البقرة.

وبالجملة، فالمحصل في الفرق بين الرسول والنبي من الروايات ما سمعت وهو مع ذلك فرق بحسب المصداق لا بحسب مفهوم لفظي النبي والرسول كما عرفت.

وهناك بعض أخبار لا يوافق ما نقلناه غير أنّها لاتخلو عن تشويش في متنها.

قوله سبحانه: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ﴾

في *الكافي*: عن محمد بن علي الباقر ـ عليه السلام ـ: «لمّا أُنزلت التوراة على

---

١. الصافات (٣٧): ١٤٧.

٢. *بصائر الدرجات*: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، الحديث: ٢٠.

٣. البقرة (٢) ١٢٤.

موسى ـ عليه السلام ـ بشّر بمحمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ [إلى أن قال]: فلم تزل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ تبشّر به حتى بعث الله المسيح، عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فبشّر بمحمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ وذلك قوله: ﴿يَجِدُونَهُ﴾، يعني اليهود والنصارى ﴿مَكْتُوباً﴾، يعني صفة محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ ﴿عِندَهُمْ﴾، يعنى ﴿فِى ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ﴾، وهو قول الله عزّ وجلّ يخبر عن عيسى ـ عليه السلام ـ ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[١][٢].

أقول: وفي هذا المعنى بعض روايات أخر[٣].

قوله سبحانه: ﴿إِصْرَهُمْ﴾

الإصر: الثقل، كنّى به عن التكاليف الشاقّة.

وقوله: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾

أي منعوا جانبه، كنّى به عن التعظيم له والذبّ عنه.

قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ﴾

ظاهر السياق أنّه القرآن، وقد سمّي نوراً.

وفي *تفسير العياشي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «النور عليّ»[٤].

---

١. الصف (٦١): ٦.

٢. *الكافي* ٨: ١١٧، الحديث: ٩٢.

٣. راجع: *الاختصاص*: ٧؛ *الأمالي* للصدوق: ١٩١، الحديث: ١؛ *بصائر الدرجات* ٥١٢، الحديث: ٢٦؛ تفسير *القمي* ٢: ٣٦٥ و غيرهم.

٤. تفسير *العياشي* ٢: ٣١، الحديث: ٨٨.

أقول: وكأنّه من الجري والإنطباق، ولا يأباه إطلاق الإنزال وقد سمّي رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ نوراً إذ قال تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً﴾[١].

قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾

في *المجالس*: عن الحسن بن علي ـعليه السلام ـ قال: «جاء نفر من إليهود إلى رسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ فقالوا: يا محمّد! أنت الذي تزعم أنك رسول الله وأنّك الذي يوحى إليه كما يوحى لموسى بن عمران ـعليه السلام ـ؟ فسكت النبيّ ساعة، ثم قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيّين وإمام المتقين ورسول ربّ العالمين قالوا: إلى من إلى العرب أم إلى العجم أم إلينا؟ فأنزل الله هذه الآية»[٢].

أقول: ومقتضاه دلالة الآية على عموم البعث وهو كذلك بإطلاقها.

قوله سبحانه: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ﴾

في *تفسير العياشي*: عن الصادق ـعليه السلام ـ في هذه الآية: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: «هم أهل الإسلام»[٣].

أقول: كأنّه مستفاد عن ظهور قوله: ﴿يَهْدُونَ﴾ في الحال أو في الإستمرار، واليهود الباقون على التهوّد ضالّون بعد بعثة النبي، فهذه الأمّة المذكورة، إمّا

---

١. الطلاق (٦٥): ١٠ ـ ١١.

٢. *الأمالي*، الصدوق: ١٨٧، الحديث: ١.

٣. *تفسير العياشي* ٢: ٣١، الحديث: ٨٩.

اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم فكانوا مهتدين وهادين بالحق، وإما جميع أهل الإسلام لكون موسى من أولي العزم عامّاً نبوته لجميع الناس غير منسوخ الأصل، وإن كان بعض أحكام شريعته منسوخاً بعد بعثة النبيّ.

فإن قلت: قد ذكرت في ذيل قوله: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[١]، من سورة البقرة، إنّ حقيقة الهداية شأن الإمام لا غير، وهذا ينافي ما هاهنا من جعل الهداية وصفاً عامّاً لغير الإمام.

قلت: الذي ذكرناه هناك إنّما هو الهداية إلى الحق بأمر الله تعالى لا الهداية بالحقّ مطلقاً، ولا ضير في كون تابع الحق هادياً بالحق الذي تبعه من حيث إنه تبع، وأما الهداية بالأمر، فأمر مختص بالإمام على التفصيل السابق.

قوله: ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ﴾

فضرب فانبجست، وحذفه للإشارة إلى المطاوعة وعدم التوقف في الحصول والإمتثال نظير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِنَ ٱلْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُۥ﴾[٢]، ونظائره كثيرة في القرآن، وقد مرّ الكلام في هذه القصة في سورة البقرة.

*

---

١. البقرة (٢): ١٢٤.

٢. النمل (٢٧): ٤٠.

[وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟
حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْأَلْهُمْ عَنِ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ
بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ
يَسُومُهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾
وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم
بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ

وَرِثُوا ٱلْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ ٱلْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا
عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَابِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾]

قوله سبحانه: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

قوله: ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾

أي: قريبة منه على الساحل.

قوله: ﴿يَعْدُونَ﴾

أي يتجاوزون حدود الله.

وقوله: ﴿شُرَّعًا﴾

جمع الشارع بمعنى المشرف الداني.

وقوله: ﴿خَاسِئِينَ﴾

أي مطرودين.

وفي تفسيري *القمي والعياشي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «وجدنا في

كتاب علي ـ عليه السلام ـ: أن قوماً من أهل ايلة من قوم ثمود وأن الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ليختبر الله طاعتهم في ذلك، فشرعت إليهم[١] يوم سبتهم في ناديهم وقدّام أبوابهم في أنهارهم وسواقيهم، فبادروا إليها فأخذوا يصطادونها[٢]، فلبثوا في ذلك ما شاء الله لا ينهاهم عنها الأحبار ولا يمنعهم[٣] العلماء من صيدها، ثم إنّ الشيطان أوحى إلى طائفة منهم إنّما نهيتم عن أكلها يوم السبت ولم تنهوا عن صيدها، فاصطادوها يوم السبت وأكلوها فيما سوى ذلك من الأيام.

فقالت طائفة منهم: الآن نصطادها وانحازت طائفة أخرى منهم ذات إليمين.

فقالوا: ننهاكم[٤] عن عقوبة الله أن تتعرضوا[٥] بخلاف أمره، واعتزلت طائفة منهم ذات الشمال[٦] فسكتت ولم تعظهم[٧]، فقالت للطائفة التي وعظتهم[٨] ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾.

فقالت الطائفة التي وعظتهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

قال: فقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، يعنى لمّا تركوا ما وعظوا به مضوا على الخطيئة.

---

١. في تفسير *العياشي*: «لهم»
٢. في تفسير *العياشي*: «يأكلونها»
٣. في تفسير *العياشي*: «ولا ينهاهم»
٤. في تفسير *العياشي*: «الله الله إنّا نهيناكم»
٥. في تفسير *العياشي*: «تعرضوا»
٦. في تفسير *العياشي*: «إليسار»
٧. في تفسير *العياشي*: «فلم يعظهم»
٨. في تفسير *العياشي*: «لم تعضهم»

فقالت الطائفة التي وعظتهم: لا والله لا نبايتكم[١] الليلة في مدينتكم هذه التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمّنا معكم.

قال: فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء[٢]، فنزلوا قريباً من المدينة فباتوا تحت السماء، فلمّا أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله تعالى غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذاً هو مصمت، فدقّوه فلم يجابوا ولم يسمعوا منها حسّ أحد، فوضعوا سلّماً على سور المدينة ثم أصعدوا رجلاً منهم، فأشرف على المدينة فنظر فإذاً هو بالقوم قردة يتعاوون.

فقال الرجل لأصحابه: يا قوم أرى والله عجباً، قالوا: وماترى؟ قال: أرى القوم وقد صاروا قردة يتعاوون، لها أذناب، فكسروا الباب ودخلوا المدينة.

قال: فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم يعرف الإنس أنسابها من القردة.

فقال القوم للقردة: «ألم ننهكم»[٣]، الحديث.

وفي *المجمع*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الثالثة»[٤].

أقول: وروى [ما] في معناه في *الكافي* و*تفسير العياشي*[٥]، وظاهر الآية يساعده، فإنّ الله سبحانه قسّم القوم قسمين فقال: ﴿أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، والأمة القائلة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾

---

١. في *تفسير العياشي*: + «لا نجامعكم»

٢. في *تفسير العياشي*: ـ «فيجمعنا معكم، قال فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء»

٣. *تفسير القمي* ١: ٢٤٤؛ *تفسير العياشي* ٢: ٣٣ ـ ٣٤، الحديث: ٩٢.

٤. *مجمع البيان* ٤: ٣٨٣.

٥. *الكافي* ٨: ١٥٨، الحديث: ١٥١؛ *تفسير العياشي* ٢: ٣٥، الحديث: ٩٧.

ليسوا من الذين ينهون عن السوء فهم من الذين ظلموا، وقد تركوا النهي عن المنكر وهو سبحانه يذمّ التاركين للنهي عن المنكر من إليهود في موارد من كلامه، فهم من الظالمين.

قوله سبحانه: ﴿عَرَضَ هٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾

المراد به الدنيا، والعرض: ما يزول من متاعها، وفي الإشارة تحقير.

قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾

أي هم مع رجائهم المغفرة كلّما عرض لهم عرض لم يستنكفوا منه وأخذوه، فهم في رجائهم كاذبون، فالإصرار في إيثار الدنيا يكشف عن استخفافهم بأمر الدين.

قوله سبحانه: ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى ٱللهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾

في *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله خصّ عباده بآيتين من كتابه: أن لا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردّوا ما لم يعلموا، قال عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ ٱلْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى ٱللهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾»[1][2].

أقول: وروى قريباً منه *العياشي* عنه ـ عليه السلام ـ وعن أبنه موسى ـ عليه السلام ـ[3]، والروايات عنهم ـ عليهم السلام ـ في النهي عن القول بغير

---

١. يونس (١٠): ٣٩.

٢. *الكافي* ١: ٤٣، الحديث: ٨.

٣. تفسير *العياشي* ٢: ٣٥ ـ ٣٦، الحديث: ٩٨ و ٩٩.

علم، والنهي عن ردّ ما لم يعلم وجهه من الروايات كثيرة ـ جداً.

قوله: ﴿دَرَسُوا مَا فِيهِ﴾

عطف على موضع ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ أي أخذ منهم ميثاق الكتاب ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾

في تفسير *القمي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «نزلت في آل محمد وأشياعهم»[١].

*

١. تفسير *القمي* ١: ٢٤٦.

[وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾]

قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾

أخذ الشيء من الشيء، يوجب انفصال المأخوذ من المأخوذ منه، فتدلّ الآية على تفريق الذرّية من بني آدم وفصلهم من بني آدم، وحيث كانت لفظة: (من) نشويّة أريدت زيادة التوضيح، فقيل: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾، ليعلم أنّ الأخذ لم يكن من قبيل أخذ المماس الملاصق من مماسه كأخذ اللباس والنعل من الإنسان، ولا من قبيل أخذ البعض من الكلّ وإبقاء البعض بالقطع ونحوه، كأخذ الجرعة من ماء القدح وأخذ اللقمة من الطعام، بل كأخذ المادّة من المادّة بحيث لا ينقص من المأخوذ منه بالأخذ شيء، ثم الأخذ من المأخوذ، ثم من المأخوذ من المأخوذ وهكذا، فيفيد أنّا فصّلنا بني آدم بأن أخذنا كلّ ذريّة من ظهر من

يلده فلم يبق واحد منهم إلّا انفصل عن والديه، ولو قال تعالى: وإذ أخذ ربك من بني آدم [ذريّتهم] أو نشرهم أو ما يشبهه لم يفد ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾
الاشهاد على الشيء: إحضار الشاهد عنده واراءته حقيقته ليتحمّله، فإشهادهم على أنفسهم إراءتهم حقيقة أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾
عطف بيان، وهو الذي أشهد عليه، فإشهاد على أنفسهم هو إشهاد على أنّه ربّهم، فمشاهدتهم أنفسهم كانت مشاهدة أنّ الله ربّهم.

وقوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾
اعتراف منهم بأنّ مشاهدة أنفسهم أوجبت مشاهدة أنّه ربّهم، أو أنّه هو بنحو من العناية، ولذا قيل: إنّ الآية تشير إلى ما يشاهده كلّ انسان في حياته الدنيا أنّه محتاج في جميع جهات حياته من وجوده، وكلّ ما يرتبط بوجوده من اللوازم.

فيؤول معنى الآية إلى أنّا نشرنا بني آدم وفرّقناهم في هذه الدنيا وجعلناهم مفتقرين محتاجين في جهات الحياة وأوقفناهم على احتياجهم، وأنّهم مربوبون فاعترفوا بذلك فيكون قولهم: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾، من قبيل لسان الحال، أو من قبيل إسناد القول باللازم إلى من يقول بملزومه، والفرق بين لسان الحال والقول بلازم القول؛

أنّ الأوّل: إنكشاف المعنى عن القائل لاتّصافه بحالٍ من الأحوال سواء شعر

به أو لم يشعر كما يدلّ آثار الأبنية الخربة على حال ساكنيها وغرور الدنيا بهم ولعب الدهر بشملهم، وكما يدلّ سيما المسكين البائس على سؤاله ما يسدّ به فاقته.

والثاني: انكشاف المعنى عن القائل لإذعانه بما يستلزمه او تكلّمه بما يدلّ عليه بالالتزام.

وكيف كان، فقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، من باب حذف المضاف، والتقدير: كراهة أن تقولوا، وهو شائع، فيدلّ على أن الأخذ والإشهاد المذكورين كان الغرض منهما إبطال حجتين لكم وهما ما يشتمل عليه قوله: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾، أي كراهة ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾، أي عن احتياج أنفسنا وإيجاب الإحتياج وجود ربّ محتاج إليه ﴿غَافِلِينَ﴾، ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً﴾ لهم ﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾، فتبعناهم في شركهم، فالمبطلون المستقلّون فيه هم آبائنا، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ﴾، غيرنا.

هذا غاية ما يمكن في تقريب قول المفسرين في الآيتين والآيتان مع ذلك عجيبتا النظم لا يساعد نظمهما على ذلك، فإنّ الحجّتين إنّما عطفت إحداهما على الأخرى بـ(أو) الترديدية، ومقتضى ذلك كون كلّ واحدة منهما حجة مستقلة دون الأخرى، مع أنّ الغفلة حجة مستقلة في إسقاط العذاب، ولكن التبعية في الولادة ليست بحجة وحدها مع فرض عدم الغفلة على أنّ الحجة الثانية لا تستقيم في نفسها أيضاً.

بيان ذلك: أنّ التعليل بقوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾.

وإن شئت قلت: سقوط الحجتين إمّا متفرّع على مجموع أخذ الذرّيّة

وإشهادهم كما هو ظاهر وإمّا متفرّع على الإشهاد.

ويكون المعنى على الأول: إنّا أخذناكم من الظهور وأشهدناكم لتسقط الحجّتان، فلو لم نفرّق بينكم وبين آبائكم لكانت لكم الحجة علينا، ومن المعلوم أن لو يفرّق بينهم في الدنيا لم يكن هناك مبطلون حتى يحشروا ويحتجوا على ربّهم بغفلة أو تبعيّة.

ويكون المعنى على الثاني: أن لو نشهدكم في الدنيا على أنفسكم وعلى ربّكم لقلتم يوم القيامة: إنّا كنّا غافلين عن التوحيد، أو قلتم: إنّا وإن لم نغفل عن التوحيد، لكن الشرك إنّما فعله آبائنا وكنّا تابعين محضاً من غير استقلال، ومن المعلوم أنّ فرض عدم الإشهاد يناقض فرض عدم الغفلة، فإذا لم يشهدوا في الدنيا فكيف يتصوّر أن لا يغفلوا.

ولو فرض أنّ الحجتين جميعاً على تقدير الغفلة كان ذكر التبعية في الولادة والشرك لغواً، حاشا كلامه سبحانه عن ذلك، وذلك أنّ التبعية مع فرض عدم الغفلة لا يوجب معذوريّة عند العقل وهو ظاهر.

وأيضاً قوله تعالى: في الآية الثانية: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾، يعطى أنّ الشرك منحصر حينئذ فيهم من غير وجوده في ذريّتهم مع أنّه خلاف فرض شركهم واحتجاجهم، وكذا قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾، يفيد أنّ الفعل فعل آبائهم وليس بفعلهم مع أنّ الضرورة تقتضي بخلافه، فإنّ الضعيف التابع في الدنيا فاعلٌ مستقلٌ غير مسلوب عنه الفاعلية، ولا معنى لاحتمال المسامحة في التعبير لمكان التبعيّة، فإنّ مقام الإحتجاج يأبى عن ذلك وخاصة في يوم لا ينطقون ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾[1].

---

١. النبأ (٧٨): ٣٨.

فهذا كلّه يوجب أن تكون هذه الواقعة في ظرفٍ وعالمٍ غير عالم الدنيا، ويكون فيه ذرّيّة بني آدم مجتمعة وجوداً وهم أحياء عقلاء، فلو أُخذوا مؤاخذة يوم القيامة توجّه على جميعهم، ولو وقع منهم شرك كان ذلك فعلاً للمتبوع دون التابع، ويتفرّع على ذلك الأمر في الدنيا.

توضيح ذلك: أنّ الكلام يدلّ على أنّ هلاك المشركين يوم القيامة يدور مدار صحة إحدى الحجّتين وبطلانهما، وقد أبطل الله سبحانه الحجّتين بهذا الأخذ والإشهاد، فلكون كلّ واحد[1] من بني آدم موجوداً بوجود مستقلّ غير تابع لم يصح أن يحتجّ الذرّيّة في هلاكهم على الله سبحانه بأنّا لم نكن موجودين مستقلين في الوجود، بل كنّا موجودين بتبع وجود آبائنا وهم كانوا موجودين مستقلين والشرك فعلهم لا فعلنا، إذ الفعل لفاعله المستقل بالوجود لا لما يوجد بتبع وجود الفاعل، ولكونهم شاهدين للربوبيّة لم يصحّ أن يقولوا: إنّا وإن كنّا موجودين مستقلين، لكنّا غافلون ولا يصحّ مؤاخذة الغافل وإهلاكه.

ولازم ذلك أن لو لم يتحقق ذلك الأخذ والإشهاد كانوا جميعاً موجودين بوجود جامع غير مفرّق بحيث يوجد كلّ ذرّيّة بتبع وجود أبيه، لكنّهم أحياء عقلاء غافلون عن الربوبيّة، فلمكان تبعية وجودهم كان الشرك لمتبوعهم، ولمكان عدم المشاهدة كانوا غافلين لا يصحّ إهلاكهم.

وحيث كان هذا النحو من الوجود غير متحقّق في الدنيا فهو في عالم آخر قبل الدنيا، كان نفوس بني آدم وأرواحهم موجودين فيه بوجود جامع كل ذرّيّة بتبع وجود متبوعه، ثم فرّق الله بينهم بعد ذلك الإتصال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ

---

١. في نسخة: «نفس»، «منه ـ رحمه الله ـ».

﴿أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، ليصح إهلاك المشرك به يوم القيامة، وإنّما استقلّ كلّ من بني آدم بالنفس في الدنيا واضطرّوا إلى التوحيد بالفطرة من هناك، فالسعادة والشقاء يوم القيامة يتفرّع على ذلك إليوم فقد رجع آخر الأمر إلى أوّله.

فالآيتان من سنخ الآيات المبيّنة لأصل الشقاء والسعادة الكاشفة عن عود الأمر إلى ما بدء منه كقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾[١]، وقد مرّ الكلام فيها، وقوله سبحانه: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقاً غَلِيظاً * لِيَسْأَلَ ٱلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾[٣].

وسيجيء إشارة إلى وجه دلالتهما عند نقل الروايات.

وبالجملة، فهذا هو الذي تدلّ عليه هاتان الآيتان، لا ما فسّرهما به المفسّرون بما عرفت من البيان، أن المراد بالآيتين أنّ الله سبحانه أخرج بني آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمّهاتهم ومنها إلى الدنيا وأشهدهم في الدنيا على أنفسهم وأراهم آثار صنعه ودلائل توحيده ووجوه احتياجاتهم المستغرقة لهم الدالة على وجوده ووحدته، فكأنّه قال لهم عند ذلك: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾، وإنّما فعل ذلك كلّه لئلا يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾، ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، فتبعناهم ونشأنا على شركهم من غير ذنب.

---

١. الأعراف (٧): ٢٩ ـ ٣٠.
٢. الأعراف (٧): ١٠١.
٣. الأحزاب (٣٣): ٧ ـ ٨.

هذا، وقد طرحوا عدّة من الروايات وردت في تفسير الآية بعالم الذرّ بأنها غير تامّة السند مخالفة لظاهر الكتاب، وقد ذكروا وجوهاً في إبطال دلالة الآيتين بعالم الذرّ.

منها: إنّ هذه الذرّيّة المستخرجة من صلب آدم لا يخلو إما أن جعلهم الله عقلاء أو لم يجعلهم كذلك، فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصحّ أن يعرفوا التوحيد وأن يفهموا خطاب الله تعالى، وإن جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب أن يتذكّروا ذلك ولا ينسوه، لأنّ أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه إلّا أن يكون ذاكراً له، فيجب أن نذكر نحن الميثاق.

والجواب: إنّ الذي هو حجة إنّما هو معرفة التوحيد لا خصوصيات الموقف، والمعرفة بالتوحيد محفوظة غير منسيّة وإنّما المنسيّ خصوصيات الموقف وليست بحجّة، ألا ترى إنّك إذا أردت أخذ عهد من زيد مثلاً فأحضرته دارك وأكرمته وأجلسته مجلس الكرامة، ثمّ خاطبته بالإنذار والتبشير، ولم تزل به حتى أرضيته فأعطاك العهد، فهو مأخوذ بعهده ما دام يذكره وإن نسي الموقف وجميع المقارنات التي قارنت إعطائه العهد وهو ظاهر.

ومنها: أنّه لا يجوز أن ينسى الجمع الكثير والجمّ الغفير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وميّزوه، حتى لا يذكره واحد منهم وإن طال العهد، حتى أنّ أهل الجنّة يذكرون بعض ما وقع لهم في الدنيا على ما حكاه الله تعالى عنهم في مواضع من كلامه، ولو جاز النسيان مع هذه الكثرة لجاز أن يكون الله تعالى قد كلّف الخلق فيما مضى، ثم أعادهم إما ليثيبهم وإما ليعاقبهم ونسوا ذلك.

ولازم ذلك صحة قول التناسخية أنّ المعاد إنّما هو خروج النفس من البدن ودخولها في بدن آخر لتجد في الثاني جزاء الأعمال التي عملتها في الأول.

والجواب: أمّا عن صدر الإحتجاج فبأنّ: مجرد الإستبعاد غير مفيد مع أنّا ذكرنا أنّ الذي يتمّ به الحجة وهو معرفة التوحيد محفوظ غير منسيّ، وإنّما المنسيّ خصوصيات الموقف ولا مدخل لها في تمام الحجّة.

وأمّا عن ذيله فبأنّ: الطريق إلى إبطال قول التناسخية غير منحصر في ذلك حتى لو لم يمتنع نسيان ما مضى جاز التناسخ وهو ظاهر بالرجوع إلى محلّه، ولا دليل على امتناع نسيان بعض العوالم في بعض آخر.

ومنها: غير ذلك ممّا أورد على الأخبار الناطقة بأن الله سبحانه أخذ من صلب آدم ذريّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فأخذ منهم الميثاق، بأنّها مخالفة لظاهر الكتاب، فإنّه تعالى قال: ﴿**مِنْ بَنِي آدَمَ**﴾، ولم يقل: من آدم، وقال: ﴿**مِنْ ظُهُورِهِمْ**﴾، ولم يقل من ظهره، وقال: ﴿**ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾، ولم يقل: ذريّته، ثم أخبر بأنه فعل ذلك بهم كراهة أن يقولوا يوم القيامة: ﴿**إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ**﴾، ﴿**أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾، وهذا يقتضي أن يكون لهم آباء مشركون، فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه.

ومن هنا قال بعضهم: بأنّ الآية مخصوصة ببعض بنى آدم لا جميع البشر، فهى غير شاملة لآدم وولده من صلبه وجميع المؤمنين، ومن المشركين من ليس له آباء مشركون، بل يختصّ بالمشركين الذين لهم سلف مشرك، هذا.

والجواب: أنّ قوله تعالى: ﴿**مِنْ بَنِي آدَمَ**﴾، يدلّ بنفسه على أخذ ولده من ظهره فلا حاجة إلى التصريح معه، وأمّا الأخبار، ففي مقام بيان القصة لا شرح الفاظ الآية حتى يورد عليها مخالفة ظاهر وأمّا عدم شمولها لولد آدم من صلبه، فغير وارد، لأنّ المراد أنّه تعالى إنّما فعل ذلك لئلّا يقول المشركون: ﴿**إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا**﴾، لا أن يقول كل واحد منهم: إنّما أشرك آبائى، فالقول قول المجموع من

حيث المجموع لا قول كلّ واحد، فيؤول المعنى إلى أنّا لو لم نفعل ذلك لكان كلّ من أردنا إهلاكه يوم القيامة يقول: لم أشرك أنا، إنّما أشرك من كان قبلي ولم أكن إلّا ذرّيّة وتابعاً لا متبوعاً إلّا واحد منهم أو بعضهم.

ومنها: إنّ تفسيرها بعالم الذرّ ينافي قولهم: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا﴾، لدلالته على وجود آباء مشركين، وهو ينافي وجود الكلّ بوجود واحد جمعي.

والجواب عنه ظاهر بما أجبنا به عن الوجه السابق.

وأمّا الروايات:

ففي *الكافي*: عن زرارة عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾[1] قال ـ عليه السلام ـ: «الحنفية من الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال: فطرهم على المعرفة به»، قال زرارة: وسألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا﴾، قال: أخرج من ظهر آدم ذرّيّته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذرّ فعرّفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه، وقال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: كل مولود يولد على الفطرة يعني المعرفة بأنّ الله خالقه، كذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[2][3].

أقول: والرواية مشهورة مرويّة أيضاً في *التوحيد* وتفسيري *القمي* و*العيّاشي*[4]

---

١. الحج (٢٢): ٣١.

٢. لقمان (٣١): ٢٥.

٣. *الكافي* ٢: ١٢، الحديث: ٤.

٤. *التوحيد*: ٣٣٠، الحديث ٩؛ تفسير *العياشي* ٢: ٤٠، الحديث ١١١؛ لم نجده في تفسير *القمي*.

وروى هذا المعنى عدة من الرواة بطرق مختلفة[١] وهي كما ترى يرجع الميثاق إلى الفطرة كما مرّ سابقاً.

وفي *الكافي* ـ أيضاً ـ: عن عبدالله بن سنان، عن الصادق ـ عليه السلام ـ، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢] ما تلك الفطرة؟ قال: «هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وفيهم المؤمن والكافر»[٣].

وفي *الكافي* ـ أيضاً: ـ عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: كان علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ لا يرى بالعزل بأساً يقرأ هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، فكلّ شيء أخذ الله منه الميثاق فهو خارج وان كان على صخرة صمّاء[٤].

وفي *الخصائص* للسيد الرضي: عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتى ابن الكوّاء أمير المؤمنين وكان معنّتاً في المسائل فقال: يا أمير المؤمنين! خبّرني عن الله عزّوجلّ هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم وردّوا عليه الجواب» قال: فثقل على ابن الكوّاء ولم يعرفه فقال: وكيف كان ذلك فقال: «أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيه»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، فقد أسمعهم كلامه

---

١. *الكافي* ٢: ١٢ ـ ١٣، الحديث ٤؛ تفسير *فرات*: ١٤٨، الحديث ١٨٦؛ متشابه *القرآن* ١: ١٥١.
٢. الروم (٣٠): ٣٠.
٣. *الكافي* ٢: ١٢، الحديث: ٢.
٤. *الكافي* ٥: ٥٠٤، الحديث: ٤.

وردّوا عليه[١] كما تسمع في قول الله يا بن الكواء!: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، ثم قال: اني أنا الله لا إله إلّا أنا وأنا الرحمن الرحيم، فأقروا له بالطاعة والربوبية، وأنه ميّز الرسل والأنبياء والأوصياء وأمر الخلق بطاعتهم فأقرّوا بذلك في الميثاق[٢] وأشهد الملائكة عليهم ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا غَافِلِينَ﴾[٣].

أقول: ورواه *العيّاشي* في تفسيره[٤].

وفي *تفسيري العياشي والقمّي*: عن رفاعة، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية قال: «لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق نعم هكذا وقبض يده»[٥].

وفي *الكافي وتفسير العياشي*: عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبدالله ـ عليه السلام ـ: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه» وزاد *العياشي*: يعني في الميثاق[٦].

أقول: وربّما استشهد بالرواية على كون الميثاق مأخوذاً بلسان الحال.

وفيه: أنّ المراد أنه هيّأ فيهم أسباب أخذ الميثاق والعهد في عالم الميثاق لافي الدنيا، ويشهد به ما في رواية *العيّاشي* من الزيادة.

وفي *تفسير العياشي* ـ أيضاً ـ: عن أبي بصير، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في

---

١. في المصدر: + «الجواب»
٢. في المصدر: + «واشهدهم على أنفسهم»
٣. *الخصائص*، للسيد الرضي: ٨٧.
٤. تفسير *العياشي* ٢: ٤١، الحديث: ١١٦.
٥. تفسير *العياشي* ٢: ٣٧، الحديث: ١٠٢؛ لم نجده في *تفسير القمي*.
٦. *الكافي* ٢: ١٢؛ الحديث: ١، *تفسير العياشي* ٢: ٣٧، الحديث: ١٠٤، وفي *الكافي* أيضاً: «يعني في الميثاق».

قول الله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ، قالوا بالسنتهم ؟ قال : « نعم وقالوا بقلوبهم » ، فقلت : « وأين كانوا يومئذ ؟ قال : « صنع منهم ما اكتفى به »(١).

أقول: ظاهر الرواية أن الجواب كان باللسان والقلب جميعاً أي بكلّهم فيؤول إلى أنّهم يومئذٍ كانوا ولم يتميز منهم جارحة عن جارحة وهو الروح، غير أنّ له كلاماً كالكلام الذي باللسان لصدق حقيقة الكلام عليه، ويؤيّد هذا المعنى قوله ـعليه السلام ـ: «صنع منهم ما اكتفى به »، ومحصل الجميع : أنّ هذه المرحلة مرحلة تفرّق الأرواح وانفصالها بعد اجتماعها واتّصالها بحسب الحقيقة ولها كلام.

وفي *تفسير العياشي* ـ أيضاً ـ: عن الصادق ـعليه السلام ـ قال : «إنّ بعض قريش قال لرسول الله ـصلّى الله عليه وآله ـ: بأيّ شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال : إني كنت أوّل من أقرّ بربّي ، وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيّين ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ ، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ، فكنت أوّل من قال : بلى ، فسبقتهم إلى الإقرار بالله»(٢).

أقول: الآية المشتملة على أخذ الميثاق من النبيّين .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾(٣).

وقد مرّت في سورة البقرة، ومرّت عدّة من الروايات الواردة فيها هناك.

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ

---

١ . تفسير *العياشي* ٢ : ٤٠ ، الحديث : ١١ .
٢ . تفسير *العياشي* ٢ : ٣٩ ، الحديث : ١٠٧ .
٣ . آل عمران (٣) : ٨١ .

وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾[١].

وسيجيء في سورة الأحزاب، ويأتي ما يتعلّق بها من الكلام وما وردت فيها من الروايات.

وقوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ في الرواية: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، يشعر بأنّ الميثاق ميثاق واحد مأخوذ على الأنبياء وغيرهم جميعاً أخذاً واحداً، وإنّما تعيّن في كلّ طائفة بحسب حالهم كما مرّ ذلك في سورة البقرة.

وفي *تفسير القمي*: عن ابن مسكان، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾، قلت: معاينة كان هذا؟

قال: «نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه [في الذرّ] ولم يؤمن بقلبه فقال الله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾»[٢][٣].

أقول: قد مرّ أنّ الغيب والشهادة أمران نسبيّان، فكلّ غائب مشهود في نفسه غيب بالنسبة إلى غيره، فالدنيا كانت غيباً في الميثاق؛ كما أنّ الميثاق غيب بالنسبة إلى الدنيا، فلو فرض في الميثاق مخالفة بين الظاهر والباطن بأن يُظهر أحد الإيمان ويُبطن الشرك كان ذلك في الدنيا كفراً ظاهراً واعترافاً باطناً، وهذا هو الذي ذكره ـ عليه السلام ـ بقوله: فمنهم من أقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه.

والمراد بالإيمان المنفي مطاوعة القلب بمعنى عقده على الإطاعة والخضوع

---

١. الأحزاب (٣٣): ٧.

٢. يونس (١٠): ٧٤.

٣. *تفسير القمي* ١: ٢٤٨.

دون مجرد المعرفة فإنه فطري شامل موجود في المشرك والمؤمن، غير منفي عن المشرك، وأمّا دلالة قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[1].

فبيانه أنّ مثل هذا التركيب إنّما يورد فيما كان هناك ترقّب وانتظار، كالفرق بين أن يقال: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا به مِن قَبْلُ﴾[2]، وبين أن يقال: فلم يؤمنوا بما كذّبوا به من قبل.

فإنّ الأوّل: يفيد أنّهم لم يؤمنوا وكان مترقّباً منهم ذلك، لكونهم كذّبوا به من قبل.

والثاني: يفيد أنّهم لم يؤمنوا به بعد أن كذّبوا به من غير انتظار ولا اقتضاء من التكذيب السابق لعدم الإيمان اللاحق بخلاف الأوّل فإنّه يثبت اقتضاء الحالة الأولى للحالة الثانية واستلزامها لها، ولو كان المراد من التكذيب السابق، التكذيب الدنيوي، بمعنى أنّهم لم يؤمنوا لاحقاً لتكذيبهم بآيات الله سابقاً وعدم اعتنائهم بما تدلّ به من المبدء والمعاد وعدم اعتبارهم بما ينبغي أن يعتبر به المعتبرون، كان ذلك بناء الكلام على الإقتضاء العادي، والإقتضاءات العاديّة كثيراً ما تتخلّف من غير تأثير، فإنّا كثيراً ما وجدنا أو سمعنا بالعتاة والطغاة والفجّار البالغين في هتك محارم الله عادوا بعد وتابوا وحسن رجوعهم ونصحت توبتهم فأصلحوا بعد أن كانوا مفسدين، والإعتماد على امثال هذه الإقتضاءات منّا لمسامحتنا في أمر العلم وركوننا بالظنون والأوهام، لكنّه لا يصحّ منه سبحانه.

ومن ذلك يظهر أنّ هذا التكذيب السابق منهم لا يتخلّف عن مقتضاه، وهذا

---

١. يونس (١٠): ٧٤.
٢. يونس (١٠): ٧٤.

يوجب أن يتحقق منهم تكذيب سابقاً لا يتخلف عن عدم الإيمان اللاحق فهو في نشأة قبل نشأه الدنيا وهو الميثاق.

وفي *الكافي*: عن زرارة، قال: إنّ رجلاً سأل أبا جعفر عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾، فقال: ـ وأبوه يسمع ـ «حدثني أبي أنّ الله عزّ وجلّ أخذ قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم فصبّ عليها الماء العذب الفرات، ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صبّ عليها الماء المالح الأُجاج، فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً فخرجوا كالذرّ من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا في النار، فدخل أصحاب إليمين فكانت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها»[1].

أقول: ورواه *العيّاشي* في تفسيره[2] والأخبار في هذا المعنى وأمره سبحانه للفريقين بالدخول في النار كثيرة جدّاً وكأنّه تمثيل للإيمان فإنّه نار للكافر وسلام على المؤمن، فكانّ هناك بارزاً في صورة النار وأمروا بدخولها فدخلها فريق وأبى آخرون، ويمكن أن يكون تمثيلاً وكناية في كلام الأئمة ـ عليهم السلام ـ.

*

١. *الكافي* ٢: ٧، الحديث: ٢.

٢. تفسير *العياشي* ٢: ٤٠، الحديث: ١٠٩.

[وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ
هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ
مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾
سَاءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ
ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا
لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلّٰهِ ٱلأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾]

قوله سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾

نزلت في بلعم بن باعورا على ما ذكره المفسرون.

وفي تفسير *القمي*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ: إنّه أعطي بلعم بن باعورا

الاسم الأعظم وكان يدعو به فيستجاب له فمال إلى فرعون، فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربني أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبيّ الله وقوم مؤمنين؟! فلم يزل يضربها حتى قتلها، فانسلخ الإسم من لسانه وهو قوله: ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾، وهو مثل ضربه الله»، الحديث[١].

أقول: قوله ـ عليه السلام ـ: «أُعطي الإسم الأعظم» يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿آيَاتِنَا﴾، حيث أطلق الآيات ولم يقل من آياتنا، وسيأتي إن شاء الله معنى الإسم الأعظم ويظهر منه معنى إيتاء الآيات وإعطائها.

وقوله تعالى: ﴿فَانْسَلَخَ﴾

السلخ: نزع الجلد واللباس ونحوها، وفيه إشارة عن كونها مستعارة فيه غير راسخة.

وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾

من الإتباع وهو الدرك واللحوق، وفيه إشارة إلى أنّ تسلّط الشيطان عليه إنّما تفرّع على سوء سريرته لا بالعكس كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢].

١. تفسير *القمي* ١: ٢٤٨.
٢. الصف (٦١): ٥.

وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾

الغيّ: خلاف الرشد، كالضلال خلاف الهدى، والفرق بين الغيّ والضلال أنّ الضلال فقد المقصد مع قصده، والغيّ فقد المقصد مطلقاً، فالغاوي هو الخارج عن الطريق من غير مقصد، والضالّ هو الخارج عنه الواقع فيما لا يوصل إلى المطلوب، ولذلك يستعمل الغاوي فيمن لا يقدر على تدبير نفسه في السير ولا يحسن السلوك.

وقوله: ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾

اللهث: شدة تنفس الكلب مع إخراج لسانه لتعب أو عطش، وهو أخسّ أحواله، فهو مثل لسوء سريرة الرجل وإنّ سوء السريرة ممّا لا يؤثّر فيه التعرّض وعدمه فهو مؤثّر لا محالة، والآيتان من جملة آيات الميثاق تدلّ على أنّ السعادة والشقاء راجعتان إلى السريرة ومرحلة الروح.

وقد عرفت في ذيل قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1]، إنّ ذلك كلّه راجع إلى الطينة والميثاق فارجع.

قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾

الذرء: الخلق، والآية تدل على أنّ النار غاية لخلق كثير من الثقلين في بدئه، فموقعها قبل موقع الميثاق، فهي من آيات الطينة كالآيتين السابقتين عقّب بها جميعاً آيات الميثاق للإتصال الذي بين بدء الخلق وأخذ الميثاق، ويستنتج من جميع الآيات الستّ أنّ الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم صنفين: سعيد إلى

---

١. الأعراف (٧): ٢٩.

الجنة لا محالة، وشقي إلى النار لا محالة، ثم أخذ منهم الميثاق للتوحيد وسائر آياته من النبوة والولاية وغيرهما، فمنهم من أقرّ وباطنه طاهر من الشرك وهم المؤمنون حقاً، ومنهم من أقرّ وباطنه خبيث وهم المشركون في الدنيا كما مرّ في رواية ابن مسكان عن الصادق[١].

وفي *الكافي*: عن حمران، عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماءاً عذباً وماءاً مالحاً أجاجاً، فامتزج الماء بالماء، فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فقال لأصحاب اليمين: وهم كالذرّ يدبّون إلى الجنة [بسلامٍ] ولا أُبالي[٢]، وقال لأصحاب الشمال: إلى النار ولا أُبالي، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾»[٣]، الحديث[٤].

أقول: وقد مرّ في هذا المعنى عدّة روايات في مطاوي أخبار الطينة عند قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ﴾[٥]، وقوله ـ عليه السلام ـ حكاية عنه سبحانه: «إلى الجنّة ولا أبالي»، وقوله: «إلى النار ولا أبالي» إشارة إلى قوله: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[٦]، وقد مرّ فيما مرّ، أنّه سبحانه مالك على الإطلاق وكلّ شيء ملكه وكلّ فعل منه تصرف في

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢٤٨.
٢. في المصدر: ـ «ولا أُبالي»
٣. الأعراف (٧): ١٧٢.
٤. *الكافي* ٢: ٨، الحديث: ١.
٥. الأعراف (٧): ٢٩ ـ ٣٠.
٦. الأنبياء (٢١): ٢٣.

ملكه، ولا ينافي ذلك تعليل أفعاله بالمصالح والخيرات، فارجع.

قوله سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا﴾

نفي التفقه مع إثبات القلوب، ونفي الإبصار مع إثبات الأبصار، ونفي السمع مع إثبات الآذان ليس من المجاز بمعنى نفي الكمال، بل يفسره قوله سبحانه: ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(١)، فالمراد نفي سنخ منها وإثبات سنخ آخر، وليس من قبيل نفي نوع وإثبات نوع آخر، بل نفي الباطن والحقيقة واثبات الظاهر كما يشير إليه قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾(٢)، وقد قال تعالى أيضاً: ﴿وَمَا هٰذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾(٣).

فالحياة الدنيا حياة وهميّة مستقرّة على حياة حقيقيّة هي باطنها وهي الحياة الآخرة، والعلم المتعلّق بهذه الحياة الوهميّة ليس علماً حقيقياً بل علم ظاهري وهميّ مثل علوم الأنعام وإحساساتها.

ومن هنا يظهر أنّ قوله تعالى في ذيل الآية: ﴿أُولٰئِكَ كَالأَنْعَامِ﴾، تفسير لهذا النفي والإثبات.

وقوله: ﴿أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ﴾

في الحصر اشارة إلى التحديد، وإن الغفلة حدّها أن يكون للإنسان قلب لا يفقه

---

١. الروم (٣٠): ٦ ـ ٧.
٢. النجم (٥٣): ٢٩ ـ ٣٠.
٣. العنكبوت (٢٩): ٦٤.

به وعين لا يبصر بها واذن لا يسمع به.

وقوله سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾

إشارة إلى أن جهل الأنعام جهل بسيط بخلاف هؤلاء.

وفي *تفسير القمي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَايَفْقَهُونَ بِهَا﴾، يقول: طبع الله عليها فلا تعقل، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ﴾ عليها غطاء عن الهدى ﴿لَايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَايَسْمَعُونَ بِهَا﴾، جعل في آذانهم وقراً، فلم يسمعوا الهدى[1].

وفي *العلل*: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقلُه شهوته ـ فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم[2].

أقول: المراد بالشهوة ـ بقرنية مقابلتها ـ للعقل مطلق الهوى أعمّ من الشهوة والغضب الحيوانيتين والوهم، فكما أنّ اتّباع الهوى في الأعمال يوجب تنزّل الإنسان عن مدرج الكمال، كذلك اتّباع الهوى في العلوم والإعتقادات الحقّة يوجب ذلك، فليست المضرّة الحاصلة من الإنحطاط العلمي في أصول المعارف بأقلّ منها في باب العمل لو لم يكن أكثر بما لا يقاس، فقد أكثر سبحانه في كلامه ذمّ من يعصيه وهو يحسب أنّه يحسن، واستعظم أمر مخالفتهم وهم يريدون الطاعة، وهؤلاء هم المقصرون في باب العلم أو القاصرون، وما ورد من الكتاب

---

١. *تفسير القمّي* ١: ٢٤٩.

٢. *علل الشرائع* ١: ٤ ـ ٥، الحديث: ١.

والسنّة في تفضيل العالم على العابد يشمل ذلك، وسيأتي الكلام في ذلك فيما يناسبه من المحل.

قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾

تقديم المسند على المسند إليه يفيد الحصر، ودخول اللام على الجمع يفيد ـبحسب الإطلاق ـ الإستغراق والعموم، كما يفيد ما ورد في كلامه تعالى من نظائر هذه الجملة كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١]، وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣]، إلى غير ذلك.

وبالجملة، فيفيد أنّ كلّ اسم أحسن فهو لله تبارك وتعالى ليس لغيره، وقد مرّ الكلام في معنى الحسن عند قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[٤]، الآية من سورة النساء وإذ كان الذي له الإسم الأحسن بصيغة التفضيل دون مطلق الإسم الحسن، فأسماؤه تعالى هي الأسماء التي كانت جهة الحسن والكمال فيها غالبة على جهة النقص، هذا بحسب المفهوم، وأمّا من جهة المصداق فقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٥]، وقال: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٦]، فأفاد أنّ ما وقع عليه اسم شيء فهو من حيث إنّه شيء مخلوق، كما

---

١. طه (٢٠): ٨.
٢. الإسراء (١٧): ١١٠.
٣. الحشر (٥٩): ٢٤.
٤. النساء (٤): ٧٩.
٥. غافر (٤٠): ٦٢.
٦. الأنعام (٦): ١٠١.

ورد عن الصادق ـ عليه السلام ـ ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله تعالى[١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[٢]، فأفاد أنّ الحسن يدور مدار الخلق والإيجاد حيثما دار، فكلّ موجود من حيث إنه موجود حسن، ثم قال سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٤]، وقد مرّ في الكلام على الآية أنّ المحصّل من مجموع هذه الآيات أنّ الوجوديات والخيرات أمور موجودة، والسيئات والشرور أمور معدومة، على ما مرّ من تفصيل معناه.

إذا عرفت هذا كلّه عرفت أنّ الإسم الأحسن هو الكمال الذي يغلب فيه جهة الوجود والكمال جهة العدم والنقص، فإنّ الصفات والأسماء الموجودة في الخارج على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يغلب فيه جهة المنقصة على جهة المزيّة كالفاقة والفقر والإحتياج والفقد وأمثال ذلك، فإنّها وان كانت ربّما لا تخلو عن بعض المزايا لكنّ الغالب فيها جهة المرجوحية والمنقصة.

وثانيها: ما لايغلب فيه إحدى الجهتين على الأخرى كالصفات الوجودية المختصة بالجسمانيّات كالنفر والمكر والأكل والشرب والحركة وغير ذلك، وهذه وإن كانت قسماً برأسها لكنّها بحسب الحقيقة من القسم الأوّل لاحتفافها بأقسام الحاجة والفقر الذي مرجعه إلى النقص في الوجود.

---

١. *الكافي* ١: ٨٢، الحديث:٣؛ ١: ٨٣، الحديث::٥؛ *التوحيد*: ١٠٥، الحديث:٣؛ ١٤٢، الحديث:٧؛ *بحارالأنوار* ٣: ٣٢٢.

٢. السجدة (٣٢): ٧.

٣. النساء (٤): ٧٩.

٤. النساء (٤): ٧٨.

وثالثها: الصفات الوجوديّة الكماليّة كالعلم والقدرة والحياة والإيجاد والجود والإحاطة ونحوها، فهي أُمور يغلب جهة وجودها على جهة العدم لو كان محقّقاً فيها، فالعلم بما أنّه انكشاف للمعلوم وحضور منه عند العالم لا نقص فيه، وإنّما النقص فيه أنّ العلوم التي توجد عندنا تحتاج في تحقّقها إلى وجود شرائط وأدوات وعدم موانع كزمان ومكان ونسب وحس و قوى مدركة أخرى، فلو أسقطنا هذه النواقص منها لم يبق إلّا الكمال المحض الذي لا يحتاج إلى شيء ويختص حينئذٍ بواجب الوجود تعالى وتقدّس وهو حقيقة المعنى، وأمّا نفس المعنى والإسم الدالّ عليه الذي يغلب فيه الحسن على النقص فهو اسم له سبحانه لا يشاركه فيه غيره.

فإذن المفاهيم والمعاني التي لا يؤخذ معها جهات النقص والمعاني العدمية والأسماء الدالّة عليها كالعلم والعالم، والجود والجواد، والرزق والرازق والرزّاق، أسماء حسنى مختصة به تعالى.

والذي ورد في القرآن من هذه الأسماء مأة وسبعة عشر إسماً هي:

أ: الله، إله، أحد، أوّل، آخر، أعلى، أكرم، أعلم، أرحم الراحمين، أحكم الحاكمين، أحسن الخالقين، أهل التقوى، أهل المغفرة؛

ب: بارىء، باطن، بديع، البرّ، بصير؛

ت: توّاب؛

ج: جبّار، جامع؛

ح: حكيم، حليم، حيّ، حقّ، حميد، حسيب، حفيظ، شحفي؛

خ: خبير، خالق، خلاق، خير الماكرين، خير الرازقين، خير الفاصلين، خير الحاكمين، خير الفاتحين، خير الغافرين، خير الوارثين خير الراحمين؛

ذ : ذو العرش، ذو الطول، ذو انتقام، ذو الفضل العظيم، ذو الرحمة، ذو القوة، ذو الجلال والأكرام؛

ر : رحمن، رحيم، رؤوف، ربّ، رفيع الدرجات، رزاق، رقيب؛

س : سميع، سلام، سريع الحساب، سريع العقاب؛

ش : شهيد، شاكر، شكور، شديد العقاب، شديد المحال؛

ص : صمد؛

ظ : ظاهر؛

ع : عليم، عزيز، عفو، عليّ، عظيم، علّام الغيوب، عالم الغيب والشهادة؛

غ : غنيّ، غفور، غالب، غافر الذنب، غفّار؛

ف : فالق الإصباح، فالق الحبّ والنوى، فاطر، فتّاح؛

ق : قوي، قدّوس، قيّوم، قاهر، قهّار، قريب، قادر، قدير، قابل التوب؛

ك : كريم، كبير؛

ل : لطيف؛

م : ملك، مؤمن، مهيمن، متكبّر، مصور، مجيد، مجيب، مبين، مولى، محيط، مقيت، متعال، محيي، متين، مقتدر، مستعان؛

ن : نصير، نور؛

و : وهّاب، واحد، وليّ، واسع، وكيل، ودود؛

وأنت بالتأمّل في معاني هذه الأسماء تجد أنّ ما بين مفاهيمها ترتّباً مفهوميّاً يتفرّع بعضها على بعض بحسب المفهوم، كما أنّ السميع والبصير والخبير واللطيف والحفيظ، والحسيب والمحيط، كأنّها فروع تتفرّع على اسم العليم، والرازق والخالق والبارىء والمصوّر والخلّاق وذو القوّة والقويّ والمتين كأنّها

شعب الإسم القادر، فبعض الأسماء ينشأ من بعض وبعضها واسطة في ثبوت بعض بحسب المفهوم، كما أنّها وسائط في ثبوت أنواع الحوادث بحسب مناسبة المفاهيم.

بيان ذلك: إنّا نجد كلامه سبحانه يشتمل على تعليل أقسام فعله بأقسام اسمائه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى ٱلْمَوْتَىٰ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَارَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّهُ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة جداً، وهذا يوجب كون أسمائه تعالى وسائط في ثبوت الأشياء وأقسام إيجادها وتدبيرها، وغريزة العقل وفطرة الإنسان يقضي بذلك، فالفقير منّا يستعين بالغني لغناه، والمريض يتّصل بالطبيب المعالج لعلاجه، وذلك رائج شائع في جميع أجزاء نظام الوجود، فكلّ جهة من جهات النظام تستعين بغيرها لاحتياجها إليه ورفعه لاحتياجها وهذا بعينه وحقيقته موجود بين الأمور الموجودة بين صفات الله تعالى واسمائه، فاحتياج الأشياء بحسب الرزق إنّما هو إلى اسم الرازق واحتياجها بحسب التدبير إلى اسم الربّ وهكذا.

ونظير هذا الإرتباط والترتّب موجود فيما بين الأسماء والصفات أنفسها وقد جرى عليه كلامه سبحانه كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[4] وكما مرّ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى ٱلْمَوْتَىٰ إِنَّهُۥ عَلَىٰ

---

١. فصلت (٤١): ٣٩.
٢. الأنعام (٦): ١٠٣.
٣. غافر (٤٠): ٢٢.
٤. الأعراف (٧): ٥٤.

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٢] الآية فكل جملة فيها كالتعليل لما يتّصل بها، وهذا وارد في كلامه في كثير من صفاته وأسمائه، فكما أنّ المفاهيم المتعيّنة في الخارج ترجع إلى المفاهيم المطلقة نحو رجوع، وهكذا المطلقة إلى ما هو أشد إطلاقاً حتى ينتهي إلى المفاهيم العامّة الشاملة، كذلك التعيّنات الأسمائية ترجع إلى الإطلاقات، وهكذا حتى ينتهى إلى اسمٍ لا اسم فوقه.

وهذا المعنى الذي نحكي ونعبّر عنه بأنه لا اسم فوقه اسم بعينه إذ لا نعني بالإسم إلّا الذات مأخوذاً بوصف.

وقولنا: لا اسم فوقه، هو الذات مأخوذاً بوصف، وبعبارة أخرى كون الذات أعظم من أن يحيط به مفهوم بعينه مفهوم، جلّ الذات أن يتقيّد به ويحاط به، فهو تعيّن في عين عدم التعيّن، وإثبات في عين النفي كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣]، كما سيجيء بيان معناه.

ومن هنا يظهر أنّ إطلاق الصفات والأسماء فيه تعالى وفي غيره بمعنى واحد، وإنّما الإختلاف بحسب المصداق، فالوجود والحياة والعلم والقدرة وغيرها يستعمل فيه تعالى بعين المعنى الذي يستعمل في غيره من غير فرق، كما هو ظاهر كلامه تعالى، وخاصة الآيات التي تشتمل على الوصف وغيره.

منها: كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٤]،

---

١. فصلت (٤١): ٣٩.
٢. البقرة (٢): ٢٥٥.
٣. الإسراء (١٧): ١١٠.
٤. البقرة (٢): ٣٢.

قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ﴾(١)، و مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٢)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِى ٱلْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ﴾(٤)، إلى غير ذلك، ولولا الإشتراك المعنوي والإرتباط بحسب المعنى لم يستقم الكلام في هذه الآيات البتّة، نعم، المصداق مختلف على ما سيجيء توضيحه.

وبذلك كلّه يدفع قول من يقول: إنّا لا ندرك معاني أسمائه تعالى وصفاته لعدم إحاطتنا به سبحانه، قال تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾(٥)، وقول من يقول: إنّ معاني الصفات ترجع إلى نفي مقابلها، فمعنى الحق فيه تعالى ليس بباطل، ومعنى العلم نفي الجهل، ومعنى القدرة نفي العجز، ومعنى الحياة سلب الموت، وهكذا، وهذا كلّه توهّم منهم أوقعهم فيه الخلط بين المفهوم والمصداق، وهؤلاء يثبتون بعين احتجاجاتهم خلاف ما يحتجّون عليه.

ومن هنا يظهر أيضاً أنّ هذه الصفات أعني مصاديقها إنّما هي موجودة بالذات وبالحقيقة فيه تعالى لا يشاركه فيها غيره من خلقه إلّا بالتبع أو بالمجاز، فالحياة في غيره تعالى ليست حياة بحسب الذات والحقيقة، بل غيره حيّ بإحيائه لا بنفسه، والعالم والقادر والمالك، وهكذا صاحب كلّ صفة كمال منّا إنّما يعلم بتعليمه ويقدر بإقداره ويملك بتمليكه، وهكذا يتصف بكلّ صفة من

---

١. المائدة (٥): ١١٦.
٢. الملك (٦٧): ١٤.
٣. فصلت (٤١): ٣٩.
٤. يونس (١٠): ٣٠.
٥. طه (٢٠): ١١٠.

صفات الكمال بتوصيفه لا بنفسه فحقائق هذه الصفات منفية عنهم إذا لوحظوا في أنفسهم؛ وثابتة عليهم من جهته تعالى.

فهذه الصفات مملوكة لله تعالى حقيقة، ومملوكة لغيره سبحانه بتمليكه، حتى أنّ ثبوت الشيء لنفسه نحو الإنسان إنسان وهو ضروريّ أوّلي، وثبوت لوازم المهيّة عليها نحو: الأربعة زوج وهو أيضاً ضروري أوّلي يحتاج في صدقه إليه تبارك وتعالى، فالشيء إنّما يملك نفسه وثبوت نفسه لنفسه، ويملك لوازم نفسه بتمليك الله سبحانه إيّاه ذلك وهو المالك له على الإطلاق، والدليل على ذلك ما ورد من كلامه سبحانه من حصر هذه الأوصاف المطلقة في نفسه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾(٤)، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾(٥) وقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إلى ٱللَّهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ﴾(٨)، وقال تعالى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِى ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

---

١. غافر (٤٠): ٦٢.
٢. غافر (٤٠): ٦٥.
٣. البقرة (٢): ١٦٥.
٤. يونس (١٠): ٦٥.
٥. آل عمران (٣): ٢٦.
٦. البقرة (٢): ٢٥٥.
٧. القصص (٢٨): ٧٠.
٨. الأنعام (٦): ٦٢.

قَدِيرٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة في حصر صفات الكمال فيه سبحانه مع ما عرفت من الحصر في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، فكلّ ذلك يدلّ على قصر صفات الكمال فيه، وهو تعالى مع ذلك يصف خلقه بهذه الصفات كقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾[٥]، وقوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[٧]، وقوله: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾[٨]، وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾[١٠]، وقوله: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١١]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٢]، وقوله: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾[١٣]، إلى غير ذلك من الآيات.

إلّا أنّ جميع الآيات محفوفة أو مفسّرة ببيانات أخرى تفيد أنّ الخلق

---

١. الشورى (٤٢): ٩.
٢. البقرة (٢): ٣٢.
٣. يونس (١٠): ١٠٧.
٤. المائدة (٥): ١١٠.
٥. الأعراف (٧): ٢٥.
٦. القصص (٢٨): ٢٦.
٧. آل عمران (٣): ٢٦.
٨. آل عمران (٣): ٢٦.
٩. التوبة (٩): ١٠٣.
١٠. النمل (٢٧): ٣٣.
١١. الصافات (٣٧): ١٥٤.
١٢. التحريم (٦٦): ٤.
١٣. المائدة (٥): ١١٠.

متّصفون بهذه الصفات الكماليّة بإذن الله ومالكون لها بتمليك الله سبحانه لهم إيّاها، فهذه الصفات الكمالية مشتركة بين الحقّ والعبد مقسومة بينه وبين خلقه، وهي له تعالى أصالة وبالحقيقة ولغيره تبعاً وبالمجاز لايسمّى بها غيره إلّا تبعاً ومجازاً ولا يجوز استعمالها في غيره إلّا كذلك، كما يشير إليه قوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمائِهِ﴾ على ما سيجيء توضيحه.

وبهذا البيان يتبيّن وجه المعنى فيما يشتمل من أسمائه على التفضيل وهي (١٤) إسماً في القرآن: الأعلى، والأكرم، وأرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأحسن الخالقين، وخير الراحمين، وخير الرازقين، وخير الحاكمين، وخير الماكرين، وخير الناصرين، وخير الفاتحين، وخير الفاصلين، وخير الوارثين، وخير المنزلين.

ويمكن أن يعدّ معها: الأقرب، والخير والأبقى.

فهذه الأسماء لاشتمالها على التفضيل يستلزم الإشتراك في معنى اللفظ، فيمكن أن يكون المراد منها ما هو كعموم المجاز، فيراد منها نفس المعنى أعمّ من الظاهر أو الحقيقة وأوسع من ما بالأصالة وما بالتبع فيكون مشتركاً بينه تعالى وبين خلقه، ثم يكون تفضيله في المعنى لكونه فيه على نحو الأصالة والحقيقة بخلاف غيره.

وكذلك الأسماء الواردة بصيغة المبالغة: كالجبّار والخلّاق، والرزّاق، وعلّام الغيوب والغفّار، والقدّوس، والوهّاب، والقيّوم، وعدّ منها: الرحمن، والشكور، والغفور والعفوّ والودود، فإنّ صيغة المبالغة تشتمل على معنى الكثرة، ولولا الإشتراك لم يكن للكثرة في معنى واحد مختص وجه صحيح.

فأسماء المبالغة مثل أسماء التفضيل دالّة على معانٍ عامّة مشتركة.

ومن هنا يظهر أيضاً أنّ الأسماء تنقسم إلى ثبوتيّة وسلبيّة.

والثبوتيّة: هي المشتملة على صفة وجودية كمإلية كالقدير والعليم.

والسلبيّة: وهي الدالة على النفي هي المشتملة على نفي صفة عدميّة متضمّنة للنقص كالقدّوس والعليّ، فإنّ معناها نفي قذارة الإمكان والإحتياج، وسلب سفالة العجز ورذالة القصور.

وتنقسم أيضاً إلى أسماء ذاتية وأسماء فعلية.

والذاتية: ما يتّصف به الذات في حدّ ذاته كالقدير والعليم والحيّ والسميع والبصير.

والفعلية: ما يحكي عن مقام الفعل كالغفور، والشكور، والرزّاق إلى غير ذلك، وهي ترجع بوجه إلى الذات كما سنبيّن، وما ذكرناه هو مضمون الروايات على كثرتها:

ففي *التوحيد*: عن الرضا، عن آبائه، عن علي ـ عليه السلام ـ: «إنّ لله عزّ وجلّ تسعة وتسعين إسماً، من دعى الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخل الجنة»[1].

أقول: والرواية غير صريحة ولا ظاهرة في الحصر، وسيجيء ما ينافي الحصر.

وفي *التوحيد* ـ أيضاً ـ: عن الصادق ـ عليه السلام ـ، عن آبائه، عن علي ـ عليهم السلام ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «إنّ لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين إسماً، مئة إلّا واحداً، من أحصاها دخل الجنة وهي:

(١) الله (٢) الاله (٣) الواحد (٤) الأحد (٥) الصمد (٦) الأوّل (٧) الآخر

---

١. *التوحيد*: ١٩٥، الحديث: ٩.

(٨) السميع (٩) البصير (١٠) القدير (١١) العلي (١٢) القاهر (١٣) الأعلى (١٤) الباقي (١٥) البديع (١٦) البارىء (١٧) الأكرم (١٨) الظاهر (١٩) الباطن (٢٠) الحيّ (٢١) الحكيم (٢٢) العليم (٢٣) الحليم (٢٤) الحفيظ (٢٥) الحق (٢٦) الحسيب (٢٧) الحميد (٢٨) الحفيّ (٢٩) الربّ (٣٠) الرحمن (٣١) الرحيم (٣٢) الذارىء (٣٣) الرازق (٣٤) الرقيب (٣٥) الرؤوف (٣٦) الرائي (٣٧) السلام (٣٨) المؤمن (٣٩) المهيمن (٤٠) العزيز (٤١) الجبار (٤٢) المتكبر (٤٣) السيد (٤٤) سبوح (٤٥) الشهيد (٤٦) الصادق (٤٧) الصانع (٤٨) الطاهر (٤٩) العدل (٥٠) العفو (٥١) الغفور (٥٢) الغني (٥٣) الغياث (٥٤) الفاطر (٥٥) الفرد (٥٦) الفتاح (٥٧) الفالق (٥٨) القديم (٥٩) الملك (٦٠) القدّوس (٦١) القويّ (٦٢) القريب (٦٣) القيّوم (٦٤) القابض (٦٥) الباسط (٦٦) قاضي الحاجات (٦٧) المجيد (٦٨) المولى (٦٩) المنّان (٧٠) المحيط (٧١) المبين (٧٢) المقيت (٧٣) المصوّر (٧٤) الكريم (٧٥) الكبير (٧٦) الكافي (٧٧) كاشف الضرّ (٧٨) الوتر (٧٩) النور (٨٠) الوهّاب (٨١) الناصر (٨٢) الواسع (٨٣) الودود (٨٤) الهادي (٨٥) الوفيّ (٨٦) الوكيل (٨٧) الوارث (٨٨) البرّ (٨٩) الباعث (٩٠) التوّاب (٩١) الجليل (٩٢) الجواد (٩٣) الخبير (٩٤) الخالق (٩٥) خير الناصرين (٩٦) الديّان (٩٧) الشكور (٩٨) العظيم (٩٩) اللطيف (١٠٠) الشافي[١].

وفي *التوحيد* ـ أيضاً ـ بسنده: عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال: إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين إسماً مئة إلّا واحداً، إنّه وتر يحب الوتر، من أحصاها دخل [الجنة]، فبلغنا أن غير واحد من أهل العلم قال: إنّ

١. *التوحيد*: ١٩٤ ـ ١٩٥، الحديث: ٨.

أولها يفتتح بـ: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، لا إله إلّا الله له الأسماء الحسنى:

(١) اللّـه (٢) الواحد (٣) الصمد (٤) الأوّل (٥) الآخر (٦) الظاهر (٧) الباطن (٨) الخالق (٩) البارىء (١٠) المصوّر (١١) الملك (١٢) القدّوس (١٣) السلام (١٤) المؤمن (١٥) المهيمن (١٦) العزيز (١٧) الجبار (١٨) المتكبّر (١٩) الرحمن (٢٠) الرحيم (٢١) اللطيف (٢٢) الخبير (٢٣) السميع (٢٤) البصير (٢٥) العلي (٢٦) العظيم (٢٧) البارّ (٢٨) المتعالى (٢٩) الجليل (٣٠) الجميل (٣١) الحيّ (٣٢) القيّوم (٣٣) القادر (٣٤) القاهر (٣٥) الحكيم (٣٦) القريب (٣٧) المجيب (٣٨) الغنيّ (٣٩) الوهّاب (٤٠) الودود (٤١) الشكور (٤٢) الماجد (٤٣) الأحد (٤٤) الوليّ (٤٥) الرشيد (٤٦) الغفور (٤٧) الكريم (٤٨) الحليم (٤٩) التوّاب (٥٠) الربّ (٥١) المجيد (٥٢) الحميد (٥٣) الوفيّ (٥٤) الشهيد (٥٥) المبين (٥٦) البرهان (٥٧) الرؤوف (٥٨) المبدىء (٥٩) المعيد (٦٠) الباعث (٦١) الوارث (٦٢) القوي (٦٣) الشديد (٦٤) الضارّ (٦٥) النافع (٦٦) الوافي (٦٧) الحافظ (٦٨) الرافع (٦٩) القابض (٧٠) الباسط (٧١) المعزّ (٧٢) المذلّ (٧٣) الرازق (٧٤) ذو القوّة (٧٥) المتين (٧٦) القائم (٧٧) الوكيل (٧٨) العادل (٧٩) الجامع (٨٠) المعطي (٨١) المجتبي (٨٢) المحيي (٨٣) المميت (٨٤) الكافي (٨٥) الهادي (٨٦) الأبد (٨٧) الصادق (٨٨) النور (٨٩) القديم (٩٠) الحقّ (٩١) الفرد (٩٢) الوتر (٩٣) الواسع (٩٤) المحصي (٩٥) المقتدر (٩٦) المقدّم (٩٧) المؤخّر (٩٨) المنتقم (٩٩) البديع[1].

---

١. *التوحيد*: ٢١٩ ـ ٢٢٠، الحديث: ١١.

أقول: وهاتان الروايتان هما المعروفتان المشهورتان في تعداد الأسماء التسعة والتسعين، والرواية الثانية كالنصّ في أنّ التعداد ليس من النبي ـصلّى الله عليه وآله ـكما هو ظاهر قوله: فبلغنا أن غير واحد من أهل العلم، قال:... إلى آخره.

وربّما كان هو المحتمل في الرواية الأُولى أيضاً، فإنّ هذا المضمون مرويّ بطرق مختلفة كلّها عن النبي ـصلّى الله عليه وآله ـ، وليس فيها تعداد الأسماء غير هذه الرواية، وهي مع ذلك مشتملة على أكثر من تسعة وتسعين إسماً، والروايتان مع ذلك لا تشتملان على كثير من الأسماء الموجودة في القرآن كعلّام الغيوب، وعالم الغيب والشهادة وخير الرازقين وغير ذلك، وتشتملان على كثير ممّا لا يوجد في القرآن كالسيّد والرشيد والمقدّم والمؤخر والأبد وغير ذلك.

وفي *الكافي*: عن الصادق ـعليه السلام ـقال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ منفيّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهّم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس واحد منها قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أشياء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها وهو الإسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت.

فالظاهر: هو الله، وتبارك، وسبحان، ولكلّ اسم من هذه أربعة أركان، فذلك إثنى عشر ركناً، ثم خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها، فهو:

الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس، الخالق، البارىء، المصوّر، الحيّ،

القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المتكبّر، العليّ، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، الباريء، المنشىء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث.

فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتمّ ثلاثمائة وستّون إسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للإسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَانَ أَيًّا مَا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾»[١][٢].

أقول: والحديث مرويّ في *التوحيد*[٣] ـ أيضاً ـ بتفاوت يسير.

قوله ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق إسماً» إلى آخره، هذه الأوصاف المعدودة صريحة في أنّ المراد بالإسم ليس هو اللفظ أو معنى اللفظ من حيث إنه مفهوم، فإنّ اللفظ أو المفهوم لا معنى لاتّصافه بما عدّه ـ عليه السلام ـ، وكذا ما ذكره من حجب بعضها بعضاً وتشعب بعضها إلى بعض، فليس المراد إلّا المصداق المطابق للفظ لو كان هناك لفظ، ومن المعلوم أنّ الإسم بهذا المعنى عين الذات أو قائم به فنسبة الخلق إليها على غير المعنى المتعارف من معنى الخلق، وقد عدّ ـ عليه السلام ـ منها اسم الله، ويدلّ عليه عدّه ـ عليه السلام ـ اسم الخالق في ضمن الأسماء الفرعية المعدودة.

فالمراد بخلق الإسم، التعيّن بالتعين الذاتي الذي يعود اسماً من الأسماء

---

١. الإسراء (١٧): ١١٠.

٢. *الكافي* ١: ١١٢، الحديث: ١.

٣. *التوحيد*: ١٩٠ ـ ١٩١، الحديث: ٣.

وحينئذٍ فينطبق الخبر على ما مرّ بيانه من ترتب الأسماء، ووساطة بعضها في تحقق بعض، وانتهائها إلى اسم تعيّنه عين عدم التعيّن وتقيّد الذات به عين علوّه عن التقيّد بقيد.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان» إشارة إلى الجهات العامّة التي ترجع إليها جميع الجهات الخاصّة من الكمال ويحتاج الخلق إليها بجميع جهات فاقتها وحاجتها وهي ثلاثة.

الهويّة، ويدل عليه إسم الجلالة وجهة الكمال.

والثبوت، ويدلّ عليه تبارك.

وجهة النقص ويدلّ على سلبه: سبحان.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «فعلاً منسوباً إليها»، أي إلى الأسماء وهو إشارة إلى ما قدّمناه من انتشار اسم من اسم.

وقوله ـ عليه السلام ـ: «حتى تتم ثلثمأة وستون إسماً»، صريح في عدم انحصار الأسماء في المأة أو تسعة وتسعين.

وقوله: «وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب»، فإنّ الإسم المكنون الذي خفائه عين ظهوره، وسلبه عين اثباته ينتهي إليه جميع الثلاثة من غير تقدّم وتأخّر بينها، فإنّ الهويّة أيضاً مثل الإسمين الآخرين أعنى تبارك وسبحان إسم من الأسماء، وأمّا الذات التي تقوّم الإسم فلا سبيل إلى تقييده وتعيينه، وكلّما عبّر عنه بعبارة أو أُشير إليه بإشارة صار اسماً من الأسماء وتنزل عن الذات.

وقوله ـ عليه السلام ـ: وذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، وجه الإستفادة أنّ الضمير في قوله: ﴿فله﴾

١. الإسراء (١٧): ١١٠.

يرجع إلى (أيّ) وهو إسم شرط من الكنايات لا تعيّن لمعناه إلّا عدم التعيّن، فالأسماء الحسنى منسوبة جميعاً إلى مرتبة لا خبر عنه ولا إشارة إليه إلّا بعدم الخبر والإشارة.

والمطلب بعيد الغور يحتاج إشباع البحث عنه إلى بسط من الكلام لا يحتمله المقام على ما بنينا عليه من إيثار الإختصار في هذا الكتاب.

وفي *البصائر*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما [كان] عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين وعندنا نحن من الإسم إثنين وسبعين حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم»(١).

وفي *البصائر* ـ أيضاً ـ: عن الصادق ـ عليه السلام ـ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى منها إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطى موسى منها أربعة أحرف، وأعطى عيسى منها حرفين وكان يحيي بهما الموتى ويبرئ بهما الأكمه والأبرص، وأعطى محمداً إثنين وسبعين حرفاً واحتجب حرفاً لئلّا يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس [العباد]»(٢).

أقول: وفي هذا المساق عدّة من الروايات، وفي بعضها أنّ الإسم الأعظم مفرقة في سورة الحمد يؤلفها الإمام فيدعو بها ويستجاب، ولا ينبغي أن يرتاب

---

١. *بصائر الدرجات*: ٢٠٨ الحديث: ١.
٢. *بصائر الدرجات*: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الحديث: ٣.

في أنّ كونه مؤلفاً من الحروف أو مفرقاً إلى ثلاث وسبعين حرفاً لا يوجب كونه من حروف الهجاء، إذ من الواضح أنّ هذه الحروف التي هي انحاء من الصوت لا يمكن تصرّفها في شيء من الأمور الخارجية، فضلاً عن نحو إحياء الموتى وإحضار سرير بلقيس والأمور العظام وأقسام التصرف في نظام الوجود، بل المراد بالإسم حقيقة هذه الأسماء، وبالإسم الأعظم الحقيقة المنتهية إليها جميع هذه الحقائق، والمراد بإعطائه لأحد، جعله متّصلاً بذلك الوجه من وجوه الأسماء كما أنّ المضطرّ المنقطع في الدعاء يستجاب له باتّصاله بما دعاه من أسماء الله تعالى.

وفي *التوحيد*: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في خطبة له ـ عليه السلام ـ: «إنّ ربّي لطيف اللطافة، فلا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، قبل كلّ شيء لا يقال شيء قبله، وبعد كل شيء لا يقال له بعد، شاء الأشياء لا بهمّة، درّاك لا بخديعة، هو في الأشياء كلّها غير متمازج بها ولا بائن عنها، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجدّ لا باستهلال روية، بائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحركة، مريد لا بهمامة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة»(١).

أقول: هو ـ عليه السلام ـ كما ترى يثبت أصل المعنى وينفي خصوصيات المصداق ونواقص المادّة، وهو الذي قدّمنا بيانه سابقاً.

وهذه المعاني واردة في أحاديث كثيرة جدّاً مرويّة عن علي والحسن

---

١. *التوحيد*: ٣٠٨، الحديث: ٢.

والحسين والباقر والصادق والكاظم والرضا ـ عليهم السلام ـ في خطب كثيرة وغيرها لم ننقلها اختصاراً، من أرادها فليرجع إلى جوامع الأخبار والله الهادي.

قوله سبحانه: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾

الدعاء بها: هو التوجه إليه سبحانه بما يختصّ به منها، وليس مجرّد النداء بحرف النداء فهو مساوق لمطلق العبادة والخضوع كما يلوح من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]، فذكر الدعاء أولاً، ثمّ وضع موضعه العبادة إيماءاً إلى اتّحادهما، وكذا قوله سبحانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2]، والدين: العبادة.

ومن موارد اطلاق الدعاء بمعنى العبادة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[3].

قوله سبحانه: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾

الإلحاد: هو الميل عن الوسط إلى جانب، ومنه اللحد في القبر، سُمّي به؛ لأنه أُلحد به وميل عن وسط القبر إلى جانب منه، وظاهر إضافة الأسماء إلى الضمير أنّ الإلحاد إنّما هو في الأسماء التي له واقعاً لا في تسميته بما لا يليق بساحة قدسه.

---

١. غافر (٤٠): ٦٠.

٢. غافر (٤٠): ٦٥.

٣. الأحقاف (٤٦): ٥ ـ ٦.

فالإلحاد هو تسمية غيره تعالى بأسمائه الحسنى المختصة بـه، كـتسميتهم الأصنام والأوثان آلهةً وأرباباً ومصادر للخلق والرزق، وكذا تسمية غيره تعالى وتوصيفه بما يختصّ به سبحانه كالخلق والرزق والملك والنفع والضرّ والأخذ والإعطاء فكل ذلك من قبيل الالحاد.

ويؤيّد ذلك تذييل الكلام بقوله تعالى: ﴿**سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، حيث يدلّ على أنّ الإلحاد عمل منهم، ولو كان مجرّد التسمية لكان حق الكـلام أن يقال: ما كانوا يصفون، كما قال في مورد آخر: ﴿**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ**﴾[١].

وفي *التوحيد*: عن الصادق ـعـليه السـلام ـ فـي حـديث: «وله الأسـماء الحسنى التي لا يُسمّى بها غيره، وهي التي وصفها في الكتاب فقال: ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ جهلا بغير علم، فالذي يُلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظنّ أنّه يحسن، ولذلك قال: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[٢]، وهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غير مواضعها[٣].

وفي *الكافي*: عن الرضا ـعليه السلام ـ: «إنّ الخالق لا يُوصف إلّا بما وصف به نفسه، وأنّى يوصف الذي تعجز الحواسّ عن أن تدركه والأوهام أن تـناله، والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عـمّا يـصفه الواصـفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون»[٤]، الحديث.

---

١. الأنعام (٦): ١٣٩.

٢. يوسف (١٢): ١٠٦.

٣. *التوحيد*: ٣٢٤، الحديث: ١.

٤. *الكافي* ١: ١٣٧ ـ ١٣٨، الحديث: ٣.

أقول: ظاهر الحديث أنّ الله سبحانه حيث لا يحاط به علماً فلا يوصف بشيء يدركه العقل من أوصافه إلاّ بما وصف به نفسه، وهذه هي المسأله المعروفة أنّ أسماء الله تعالى توقيفيّة ويمكن تفسيرها بـ: أحد وجهين:

أحدهما: إنّ عامة العقول حيث إنّها قاصرة عن نيل المعارف الإلهيّة الحقّة ـ على ما هي عليها تفصيلاً ـ إلّا النادر من العقول السليمة عن غواشي الأوهام المتدرّبة بالمعارف الحقيقيّة لم يؤمن من توصيفه تعالى بها بما لا يليق بساحة قدسه وكبرياء ذاته، فكان القول فيه بما تدركه هذه العقول قولاً بغير علم الممنوع عقلاً وشرعاً كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)، ولهذا ورد التوقيف الشرعي.

إلّا أنّ التوصيف الكلامي لا يخلو نوعاً عن قرائن تصحّح المعنى وتجرّده عمّا لا يليق بجلاله تعالى، بخلاف التسمية فإنّها مطلقة لا قرينة معها، ففرق بين أن نسمّيه تعالى: (مضّلاً) كما يُسمّى: (بالرحمان)، وبين أن يقال: يهدي به من يشاء ويضل من يشاء ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾(٢).

وكذا فرق بين أن يسمّى بالرامي وأن يقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾(٣) وأن يُسمّى مهلكاً وأن يقال: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾(٤)، وهكذا.

ولهذا حكم الشرع حكماً كليّاً بتوقيفيّة الأسماء دون التوصيفات على قرائن التنزيه.

---

١. النحل (١٦): ٧٤.

٢. البقرة (٢): ٢٦.

٣. الأنفال (٨): ١٧.

٤. الأنعام (٦): ٦.

وثانيهما: إنّ الذات المقدّسة ـ كما مرّت الإشارة إليه ـ أعلى وأرفع من أن يحيط به مفهوم اسم أو يتقيّد بمفهوم وصف، وكلّ ما يناله فيه العقل فهو دون الذات حتى هذا التوصيف والبيان، ومقتضى هذا أن لا يوصف بوصف ولا يُسمّى باسم، غير أنّه سبحانه وصف نفسه بأوصاف رحمةً منه وفضلاً، فالواجب أن يقتصر عليه ولا يتعدّى عنه.

وقوله ـ عليه السلام ـ في الرواية: «أنّى تدرك الذي تعجز الحواس»[1]، إشارة إلى هذا المعنى، وإليه يشير عدّة من الروايات السابقة.

كما في *التوحيد*: من رواية عبد الأعلى عن الصادق ـ عليه السلام ـ: تسمّى بأسمائه فهو غير أسمائه[2]، والموصوف غير الواصف[3]، الحديث.

وما في *النهج* في خطبة له ـ عليه السلام ـ: «وكمال توحيده نفي الصفات عنه»[4]، الخطبة.

*

---

١. هكذا في المخطوط لكن عبارة الحديث: على مامر ـ هكذا: «أنّى يوصف الذى تعجز الحواس ان تدركه».

٢. في المصدر: + «والأسماء غيره».

٣. *التوحيد*: ١٤٢ ـ ١٤٣، الحديث: ٧.

٤. نهج *البلاغة*: ٣٩، الخطبة: ١٠.

[وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
مَتِينٌ (١٨٣) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤)
أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥)
مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) يَسْئَلُونَكَ
عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ
ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَا أَمْلِكُ
لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ
الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)]

قوله سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ﴾

في المجمع: عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «هذه لكم وقد أعطي قوم موسى مثلها».

أقول: يشير ـ صلّى الله عليه وآله ـ إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1][2].

وفي *تفسير القمي*: هذه الآيه لآل محمد وأتباعهم[3].

أقول: وفي معنى الروايتين بعض روايات أُخر.

قوله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لَايَشعُرُونَ﴾

الإستدراج هو الإستصعاد، أو الإستنزال درجة فدرجة، وكون الإستدراج من حيث لا يشعرون، وكونه كيداً بإمهال يُشعر بأنّ هذا التقريب خفيّاً غير ظاهر لهم، بل مستبطناً فيما يشتغلون به من اللهو والمعاصي فهو تجديد نعمة بعد نعمة حتى لا يتفرّغوا للتأمّل في وبال أمرهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا ٱلضَّرَّاءُ وَٱلسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ﴾[4].

وفي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ في الآية، قال ـ عليه السلام ـ: «هو العبد يذنب الذنب فتجدّد له النعمة تلهيه تلك النعمة عن الإستغفار من ذلك الذنب»[5].

وفي *الكافي* ـ أيضاً ـ: عنه ـ عليه السلام ـ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فأذنب ذنباً

---

١. الأعراف (٧): ١٥٩.

٢. مجمع *البيان* ٤: ٣٧٨.

٣. تفسير *القمي* ١: ٢٤٩.

٤. الاعراف (٧): ٩٤ ـ ٩٥.

٥. *الكافي* ٢: ٢٥٣، الحديث: ٣.

أتبعه بنقمة ويذكّره الإستغفار، وإذا أراد بعبدٍ شرّاً فأذنب ذنباً فأتبعه[١] بنعمة لينسيه الإستغفار ويتمادى بها، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَايَعْلَمُونَ﴾ بالنعم عند المعاصي»[٢].

أقول: والإستدارج مثل الكيد نوع من الإضلال المنسوب إليه تعالى، وقد تقدم الكلام فيه في سورة البقرة وغيرها.

قوله سبحانه: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾

الإملاء: هو الإمهال، والكيد: إيصال الشرّ في صورة الخير.

فإن قلت: ما وجه الإلتفات من التكلم في قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ إلى ما في قوله: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾؟

قلت: الإملاء إمهالهم حتى يتمتعوا إلى أجلٍ مسمّى فيؤخذوا عنده، فيكون الكلام في معنى قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾[٣]، وهذه الكلمة هي قوله سبحانه حين إحباط آدم إلى الدنيا: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٤]، وهو القضاء الإلهي، والقضاء مختص به تعالى لا يشاركه فيه غيره، وهذا بخلاف الإستدراج الذي هو إيصال النعمة بعد النعمة وتجديدها، فإنّها نعم مفاضة بالوسائط من الملائكة والأمر.

فلهذا أتى في الإستدراج بصيغة المتكلم مع الغير، وبدّله في الإملاء وما فيه

١. في نسختي: «أتبعه»، «منه ـ رحمه الله ـ».
٢. *الكافي* ٢: ٤٤٥، الحديث: ١.
٣. الشورى (٤٢): ١٤.
٤. البقرة (٢): ٣٦.

من الكيد إلى صيغة المتكلم وحده.

قوله سبحانه: ﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾
وقد مرّ وسيجيء معنى الملكوت.

وفي الآية دلالة على أنّ مشاهدة الملكوت ممّا يمكن أن يناله الإنسان، وقد مرّ استيفاء القول في ذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[1]، الآية من سورة المائدة، وقد روى الفريقان عن النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «لولا أنّ الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لرأوا ملكوت السموات والأرض»[2].

قوله سبحانه: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾
الإرساء: الإثبات، فالمرسي المستقّر، والتجلية: الإظهار، وعلم الساعة ممّا استأثر الله به في علمه.

وقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾
يعني به أنّ هذه الموجودات لا تطيق حمل علمه، وبذلك يظهر أنّ العلم بها من غير جنس هذه العلوم الذهنيّة، وإنّ العلم الحصولّي الذهني لا يتعلّق بها وهو

---

١. المائدة (٥): ١٠٥.

٢. تفسير نور *الثقلين* ١: ٧٣٥، الحديث: ١٤٤؛ نور *البراهين* ١: ١٨٦؛ *الرسائل*، *للشهيد الثاني*: ١٣٨؛ عوالي *اللئالي* ٤: ١١٣، الحديث: ١٧٤؛ *المحجة البيضاء* ٢: ١٢٥؛ مسند أحمد بن *حنبل* ٢: ٣٥٣؛ في مصادر العامة: «هذه الشياطين على أعين بني آدم، لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض، ولو لا ذلك لرأوا العجائب».

كذلك، وبه يشهد قوله ثانياً: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، حيث إنّ ظاهره أنّ الناس لو علموا أنّ الساعة لا يعلم بها غير الله لم يلحّوا في السؤال عن وقتها ولكن أكثرهم لا يعلمون.

فالساعة وإن كان العلم بها مختصاً به تعالى لكنّ العلم باختصاص علمه به غير مختص، بل يمكن أن يوجد عند القليل من الناس.

قوله سبحانه: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾

لمّا أجاب سبحانه بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، لم يقنعهم ذلك جواباً وكأنّهم تخيّلوا أنّه وإن كان العلم بها عند الله لكن يمكن أن يعلّمه رسوله لمكان القرب، ويكون حال العلم بها حال العلم بالغيب المختصّ به تعالى وقد قال سبحانه: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[1]، ولذلك عادوا للسؤال بعد السؤال فكرّر ثانياً وقيل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾، والحفيّ: العالم الذى يتعلم الشيء باستقصاء.

وقوله: ﴿عَنْهَا﴾، كأنّه متعلق بقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، والمعنى يسألونك عنها كأنك عالم بها مع أنّك أجبتهم بالأياس والحرمان، وبيّنت لهم السبب في ذلك بأنّها ممّا لا يطيق علمه السموات والأرض ثم أمر بالجواب ثانياً فقيل: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، لوجه اختصاصه بالله تعالى، يعني أن الجواب هو الجواب الأوّل وليس أمر العلم بالساعة مما يختلف بالقرب والبعد من الله حتّى يمكن للمقربين تعلّمه، ولذلك بدّل اسم الربّ باسم الجلالة

---

١. الجنّ (٧٢): ٢٦ ـ ٢٧.

لما في اسم الرب من الدلالة على الرحمة والتربية والشفقة، فسبيل البيان في الآية نظير ما إذا سأل المريض الطبيب عن مسألة غامضة رياضيّة، فيجيبه بأنّها خارجة عن صناعتي لأنّها غير مربوطة بمزاج الأبدان، ثم يعيد السؤال ثانياً لحسن ظنّه بحذاقة الطبيب فيقول الطبيب: إنّها خارجة عن صناعتي وغير مرتبط بحذاقتي لكنك لا تعلم.

قوله سبحانه: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوءُ﴾

في *المعاني* و*تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «يعني الفقر»[1].

وفي *تفسير القمّي*: قال ـ عليه السلام ـ: «كنت اختار لنفسي الصحّة والسلامة»[2].

أقول: وهي مصاديق والكلمة أعمّ.

*

١. *معاني الاخبار*: ١٧٢، الحديث: ١؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٤.
٢. *تفسير القمي* ١: ٢٤٩.

[هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا
فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا ٱللهَ رَبَّهُمَا
لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ
شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ
شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلَا أَنفُسَهُمْ
يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ
أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ عِبَادٌ
أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ
يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ
وَلِيِّيَ ٱللهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ (١٩٦) وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ
إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨)]

قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

القصّة قابلة الإنطباق لآدم وحواء وعلى هذا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم﴾، خطاب للبشر من نفس واحدة وهو (آدم)، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾، أي من جنسها زوجها (حواء) ﴿لِيَسْكُنَ إليهَا﴾، ويتمّ أمر التقدير بما قدّر الله من الذريّة، ﴿فَلَمَّا تَغشَّاهَا﴾، أي جامعها، ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾ بالنطفة، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾، بالحمل لنموّ الجنين في بطنها ﴿دَعَوَا﴾ معاً ﴿ٱللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً﴾، سليماً قابلاً للبقاء بريئاً عن النقص والعاهة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ﴾، لا نعتمد على سبب دونك، ولا نركن إلى شيء سواك، ولا نغفل من جهته عنك.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً﴾، أوجب الاهتمام في شأنه والعناية في تشبّثهما بالأسباب العاديّة في حفظِه وتربيته أن غفلا عن الله بعض الغفلة، فاشتغل قلباهما بأشياء غير الله، وجعلا هذه الأُمور شركاء لله فيما آتيهما من الولد الصالح ﴿فَتَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، آدم وحواء وسائر بني آدم.

هذا ويشهد بما ذكرناه من المعنى ما مرّ في أوائل السورة: أنّ الشاكرين هم المخلصون الذين لا سبيل لإبليس عليهم.

وفي *تفسيرى العيّاشي والقمّي*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إنّما كان شركهما شرك طاعة لا شرك عبادة»[١].

أقول: قد تبيّن معناها بما مرّ من البيان، وأمّا ما روته العامّة من قصّة شركهما فممّا لا يليق بساحة الأنبياء، وقد نصّ القرآن على هداية آدم ولا يجتمع الشرك مع الهداية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[٢].

---

١. تفسير *العياشي* ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٥؛ تفسير *القمّي* ١: ٢٥٣.

٢. طه (٢٠): ١٢٢.

وربّما قيل: إن الخطاب في الآية لقريش والنفس الواحدة أبوهم قصيّ، والشرك شركهم، ولا دليل عليه.

قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ﴾

لم يتقيّد بشيء فهو الصلاح المطلق، وهذا صريح في كون النبي ـصلّى الله عليه وآله ـ من الصالحين.

*

[خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا
مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ
يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَايُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا
ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَايُوحَىٰ إِلَىَّ مِنْ رَبِّى هٰذَا بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ وَهُدىً
وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَٱذْكُر رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ
ٱلْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَايَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)]

قوله سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾

العفو: ضد الجهد، اي خذ ما يسهل أخذه من أفعالهم وأخلاقهم وغير ذلك.

وفي *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله أدّب رسوله بذلك،

أي خذ منهم ما طهر وما تيسّر قال: (والعفو) الوسط»[١].

قوله سبحانه: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ﴾

العرف: ما يعرفه الناس ولا ينكرونه من الفعل الجميل والخلق الحميد.

وفي *العيون*: عن الرضا ـ عليه السلام ـ: «إنّ الله أمر نبيّه بمداراة الناس فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ﴾»[٢].

وفي *الجوامع*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «أمر الله نبيّه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن [آية]، أجمع لمكارم الأخلاق منها»[٣].

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾

النزغ: الوسوسة، قال الزمخشري: النزغ والنسغ والنخس والغرز بمعنى واحد[٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾

في مقام التعليل للأمر بالإستعاذة، ومنه يظهر أنّ الاستعاذة هو ما للقلب، واللفظ ذريعة يحفظ بها المعنى ويثبّت به ما في القلب.

وفي *الكافي* و*تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «هو العبد يهمّ به الذنب ثم يتذكّر فيُمسك»[٥].

---

١. تفسير *العياشي* ٢: ٤٣، الحديث: ١٢٦.

٢. عيون *الأخبار* ١: ٢٥٦، الحديث: ٩.

٣. جوامع *الجامع* ١: ٧٣٢.

٤. الكشاف ٢: ١٩٠.

٥. *الكافي* ٢: ٤٣٤ ـ ٤٣٥، الحديث: ٧؛ تفسير *العياشي* ٢: ٤٤، الحديث: ١٣٠، وفيه: «يتذكر فيدعه».

وفي *تفسير القمّي*: قال: إذا ذكّرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[١].

قوله سبحانه: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾

يمكن أن يكون ضمير الجمع للمشركين المدلول عليه سابقاً بقوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[٢]، والمراد بالإخوان الشياطين، فيكون الآيات الثلاث أعني من قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ إلى قوله ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾، معترضة، وعدم الإقصار: التمادي وعدم الرجوع.

قوله سبحانه: ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾

اجتبى الشيء: أي جباه وجمعه لنفسه، فمعنى ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾، لولا افتعلتها وجمعتها لنفسك، فإنّهم كانوا يقولون: إنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ يختلق القرآن من غير وحي من الله سبحانه!.

قوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾

في *الفقيه*: عن الباقر ـ عليه السلام ـ: «إن كنت خلف إمام فلا تقرأنّ شيئاً في الأولتين وأنصت لقرائته ولا تقرأنّ شيئاً في الأخيرتين، فإن الله يقول للمؤمنين: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْآنُ﴾، يعني في الفريضة خلف الإمام ﴿فَٱسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾»[٣].

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢٥٣.
٢. الأعراف (٧): ١٩١.
٣. من لا يحضره *الفقيه* ١: ٣٩٢، الحديث: ١١٦٢.

أقول: والروايات في هذا المعنى كثيرة.

وفي *تفسير العياشي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «يجب الإنصات للقرآن في الصلاة و[في] غيرها، وإذا قرأ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والإستماع»(١).

أقول: ظاهر الآية مطلق يشمل الصلاة وغيرها، وأمّا استفادة الوجوب الإصطلاحي، فراجع إلى الفقه.

قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾
الضراعة: هي التملّق وكأنّها نوع خاص من التملّق، وهو الذي يكون عن خشوع وذلّة من النفس، وهو يستلزم نوع حركة وميل إلى المطلوب.

والخيفة: بناء نوع من الخوف، وهو حال وجداني يوجب الحذر من المخوف منه، وهو يستلزم نوع حركة وميل عن المحذور، فيكون حال النفس مع التضرع والخيفة(٢) حال الفارّ من الشيء إليه.

وصفاته تعالى حيث تنقسم إلى صفات الجمال وصفات الجلال فهو الإنفعال عن كلّ من صفتي الجمال والجلال بحسب ما يقتضيه والعياذ من غضبه إلى رحمته.

وبوجه آخر الخوف إنّما يكون من شرّ محتمل ولا شرّ في ناحيته سبحانه، وإنّما ينشأ الشرّ من ناحيتنا، ثم يكون سبباً للعقوبة الإلهيّة عن محض العدل، فالخوف من الله واتّقاء سخطه في الحقيقة خوف من النفس، فيكون مآل الذكر تضرعاً وخيفة إلى الفرار من النفس إلى الله، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ

---

١. *تفسير العياشي* ٢: ٤٤، الحديث: ١٣٢.

٢. في الاصل: «والخفية» والصحيح ما أثبتناه في المتن.

جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

وقوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾

يدلّ على أنّ المراد بذكره في النفس غير الذكر القولي.

وفي *الكافي*: عن الصادق ـ عليه السلام ـ: «من ذكرني سرّاً ذكرته علانية[٢].

وفي الكافي أيضاً: عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: «من ذكر الله في السرّ فقد ذكر الله كثيراً، [إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية و] لا يذكرونه في السرّ فقال الله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾»[٣][٤].

أقول: وهي استفادة لطيفة.

وفي *الكافي* و*تفسير العيّاشي*: عن أحدهما ـ عليه السلام ـ: «لا يكتب الملك إلا ما يسمع»[٥].

وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾، فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله[٦] [عزّ وجلّ] لعظمته[٧].

أقول: وقد مرّ عدّة من روايات الذكر في قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ﴾[٨]، من سورة البقرة.

---

١. النور (٢٤): ٣١.
٢. *الكافي* ٢: ٥٠١، الحديث: ١.
٣. النساء (٤): ١٤٢.
٤. *الكافي* ٢: ٥٠١، الحديث: ٢.
٥. في *الكافي*: «سمع»؛ في *تفسير العياشي*: «أسمع نفسه»
٦. في *تفسير العياشي*: «في نفس العبد لعظمته إلا الله»
٧. *الكافي* ٢: ٥٠٢، الحديث: ٤؛ *تفسير العيّاشي* ٢: ٤٤، الحديث: ١٣٤.
٨. البقرة (٢): ١٥٢.

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾

في مورد التعليل للحكم في الآية السابقة، فيكون المعنى واذكر ربّك حتى تدخل في زمرة الذين عند ربّك.

ومن هنا يظهر أنّ الكون عند الله سبحانه لا يختصّ بالملائكة وهو ظاهر لمنافاته التعليل، وبذلك يتأيّد ما في *تفسير القمّي*: يعني الأنبياء والرسل والأئمّة[1].

أقول: وقد تقدّم ما يتعلّق بالمقام في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2]، من سورة البقرة، وسيأتي بقية ما يتعلّق بها في سورتي (الفرقان) و(حم السجدة).

وفي الآية دلالة على أنّ الذكر المذكور عبادة، وأنّها تسبيح، وأنّها سجدة والله العالم وله الحمد، وعلى رسوله وآله الصلاة والسلام.

تم ليلة الأربعاء العاشر من شهر جمادى الثانية من شهور سنة ١٣٦٩.

*

---

١. *تفسير القمي* ١: ٢٥٣.

٢. البقرة (٢): ١٥٢.

فهرس مصادر التحقيق

١. *الاحتجاج*، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢. *الاختصاص*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣. *أسباب نزول الآيات*، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابوري (المتوفى سنة ٤٦٨ هجري قمري)، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤. *الاستبصار*، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٩٠ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٥. *أسد الغابة*، ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هجري قمري)، الناشر اسماعيليان، طهران ـ إيران، المجلدات: ١٠.

٦. *الأربعين*، الشيخ الماحوزي (المتوفى سنة ١١٢١ هجري قمري)، تحقيق السيد مهدي رجائي، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هجري قمري،الناشر: المحقق، المجلدات: ١.

٧. *الإرشاد*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٨. *إرشاد القلوب*، حسن بن أبي الحسن الديلمي، منشورات الشريف الرضـي، ١٤١٢ هجري قمري، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

٩. *الأصفى في تفسير القرآن*، محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سـنة ١٠٩١ هـجري قمري)، تحقيق مركز الابحاث والدراسات الإسلامية، الناشر مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٨.

١٠. *الإعلام*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيـران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١. *أعلام الدين*، حسن بن ابي الحسن الديلمي، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيـران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢. *إعلام الورى*، أمين الاسلام الفضل بن حسن الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١٣. *الإفصاح في الإمامة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمرى، المجلدات: ١.

١٤. *إقبال الاعمال*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الكتب الإسلامية، طـهران ـ إيران، ١٣٦٧ هجري شمسي،المجلدات: ١.

١٥. *الألفين*، العلامة الحلي حسن بن يوسف، انتشارات دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦. *الأمالي*، الشيخ الصدوق، مكتبة الاسلامية، ١٣٦٢ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٧. *الأمالي*، الشيخ الطوسي، دارالثقافة، قم ـ إيران، ١٤١٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٨. *الأمالي*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيـران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٩. *الأمان*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٠. *الايضاح*، الفضل بن شاذان الازدي النيسابوري، (المتوفى سنة ٢٦٠ هجري قمري)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الارموي المحدث، المجلدات: ١.

٢١. *بحار الأنوار*، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١١٠.

٢٢. *البرهان في تفسير القرآن*، السيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى سنة ١١٠٧ هجري قمري)، الناشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، طهران ـ إيران، المجلدات: ٢.

٢٣. *البرهان في علوم القرآن*، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (المتوفى سنة ٧٩٤ هجري قمري)، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الطبعة الأُولى، ١٣٧٦ هجري قمري، الناشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ مصر، المجلدات: ٤.

٢٤. *بشارة المصطفى*، عماد الدين الطبري، مكتبة الحيدرية، النجف ـ العراق، ١٣٨٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٥. *بشارة المصطفى*، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (المتوفى سنة ٥٢٥ هجري قمري)، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٢٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٦. *بصائر الدرجات*، محمد بن حسن بن فروخ الصفار، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٢٧. *البلد الأمين*، ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي، الطبع الحجري، المجلدات: ١.

٢٨. *تاج العروس من جواهر القاموس*، الزبيدي.

٢٩. *تاريخ المدينة المنورة*، عمر بن شبّة النميري (المتوفى سنة ٢٦٢ هجري قمري)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ٤.

٣٠. *تأويل الآيات الظاهرة*، السيد شرف الدين الحسيني الاسترابادي، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣١. *التبيان في تفسير القرآن*، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق احمد حبيب قصير العاملي، الناشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١٠.

٣٢. *التحصين*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٣. *التحصين*، ابن فهد الحلي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٤. *تحف العقول*، حسن بن شعبة الحرّاني، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٥. *تذكرة الفقهاء*، العلّامة الحلّي (المتوفى سنة ٧٢٦ هجري قمري)، الناشر مكتبة الرضوية لاحياء الآثار الجعفرية، طهران ـ إيران، المجلدات: ٢.

٣٦. *تصحيح الاعتقاد*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٧. *تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي* ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١٠ هجري قمري.

٣٨. *تفسير الامام العسكري (ع)*، منسوب الى الامام الحسن العسكري ـ عليه السلام ـ، مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

٣٩. *تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن*، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المالكي (المتوفى سنة ٨٧٥ هجري قمري)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة و غيره، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٠. *تفسير الرازي*، فخر الدين بن محمد بن ضياء الدين الرازي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٠ هجري قمري.

٤١. *تفسير الصافي*، محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١ هجري قمري)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، الناشر مكتبة الصدر، طهران ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٢. *تفسير العياشي*، محمد بن مسعود العياشي، المطبعة العلمية، طهران ـ إيران، ١٣٨٠ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٤٣. *تفسير فرات الكوفي*، أبو القاسم فرات بن ابراهيم الكوفي (المتوفى سنة ٣٥٢ هجري قمري)، تحقيق محمد الكاظم، الناشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤٤. *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤ هجري قمري)، دارالمعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٤٥. *تفسير القمّي*، علي بن ابراهيم بن هاشم القمّي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٤٦. *تفسير الكاشف*، محمد جواد مغنية (المتوفى سنة ١٤٠٠ هجري قمري)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ ميلادي، المجلدات: ٧.

٤٧. *تفسير نورالثقلين*، الشيخ عبد علي بن جمعه العروسي الحويزي (المتوفى سنة

١١١٢ هجري قمري)، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الناشر مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٤٨. *تقريب المعارف*، ابو الصلاح الحلبي، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

٤٩. *التمحيص*، محمد بن همام الاسكافي (المتوفى سنة ٣٣٦ هجري قمري)، تحقيق مدرسة الامام المهدي (عج)، الناشر مدرسة الامام المهدي(عج)، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٥٠. *تنزيه الانبياء (ع)*، السيد المرتضى علم الهدى، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٥١. *التوحيد*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٣٩٨ هجري قمري ـ ١٣٥٧ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٢. *توحيد المفضل*، مفضل بن عمر الجعفي الكوفي، مكتبة الداوري، قم ـ إيران، ١٩٦٩ ميلادي، المجلدات: ١.

٥٣. *تهذيب الاحكام*، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ايران، ١٣٦٥ هجري شمسي، المجلدات: ١٠.

٥٤. *ثواب الأعمال*، الشيخ الصدوق، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٤ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٥. *جامع الأخبار*، تاج الدين الشعيري، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٣ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٥٦. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بـ: تفسير الطبري*، الطبري، (المتوفى سنة ٣١٠ هجري قمري)، تحقيق صدقي جميل العطار، الناشر دار الفكر، بيروت ـ

لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ٣٠.

٥٧. *جامع الجوامع*، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبري (المتوفى سنة ٥٦٠ هجري قمري)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم ـ إيران، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٥٨. *الجامع لأحكام القرآن، المعروف بـ: تفسير القرطبي*، أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (المتوفى سنة ٦٧١ هجري قمري)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٢٠.

٥٩. *الجعفريات (الاشعثيات)*، محمد بن محمد بن الاشعث الكوفي، مكتبة نينوى الحديثة، طهران ـ ايران، المجلدات: ١.

٦٠. *جمال الاسبوع*، السيد علي بن موسى بن طاوس، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٦١. *الجمل*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٢. *الخرائج والجرائح*، قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ٣.

٦٣. *خصائص الأئمة (ع)*، السيد الرضي، مجمع البحوث التابعة لآستانة القدس الرضوي، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٤. *الخصال*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري،المجلدات: ٢.

٦٥. *خلاصة الإيجاز*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

٦٦. *خلاصة عبقات الأنوار*، السيد حامد الحسيني النقوي، تلخيص الميلاني، (المتوفى سنة ١٣٠٦ هجري قمري)، الناشر مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ٩.

٦٧. *الخلاف*، شيخ الطائفة الامام ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق السيد علي الخراساني وغيره، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٦٨. *دعائم الإسلام*، النعمان بن محمد التميمي المغربي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ١٣٨٥ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٦٩. *الدر المنثور* (وبهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس)، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هجري قمري)، دار المعرفة، الطبعة الأُولى، ١٣٦٥ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٧٠. *الدرة الباهرة من الاصداف الطاهرة*، الشهيد الأول، دار الاعراف للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤ هجري قمري.

٧١. *الدعوات*، قطب الدين الراوندي، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٧٢. *دلائل الإمامة*، محمد بن جرير الطبري، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٣. *ربيع الابرار ونصوص الاخبار*، محمود بن عمر الزمخشري، دار الذخائر، ١٤١٠ هجري قمري، قم ـ إيران، مجلدات: ١.

٧٤. *روضة الواعظين*، محمد بن حسن الفتال النيسابوري، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٥. *سبل السلام* ، محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بشرح *بلوغ المرام، من جمع أدلة الاحكام*، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر الكنابي العسقلاني القاهري (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هجري قمري)، الناشر شركة مكتبة ومطبعة المصطفى البابي الحلبي واولاده، القاهرة ـ مصر ـ الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٧٦. *السرائر*، ابن ادريس الحلّي (المتوفى سنة ٥٩٨ هجري قمري)، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ٣.

٧٧. *سعد السعود*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٧٨. *سنن أبي داود*، سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفى سنة ٢٧٥ هجري قمري)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٠ هجري قمري ـ ١٩٩٠ ميلادي، المجلدات: ٢.

٧٩. *سنن الترمذي*، محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى سنة ٢٧٩ هجري قمري)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ٥.

٨٠. *السنن الكبرى*، احمد بن الحسين بن علي البيهقي (المتوفي سنة ٤٥٨ هجري قمري)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١٠.

٨١. *السنن الكبرى*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى سنة ٣٠٣ هجري قمري)، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١١ هجري قمري، ١٩٩١ ميلادي، المجلدات: ٦.

٨٢. شرح *نهج البلاغة*، ابن ابي الحديد المعتزلي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ٢٠.

٨٣. *شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت(ع)*، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق شيخ محمد باقر المحمودي، الناشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الأُولى ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ٢.

٨٤. *الصحاح* ، اسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى سنة ٣٩٣ هجري قمري)، تحقيق أحمد بن عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابـعة، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ٦.

٨٥. صحيح *البخاري*، محمد بن إسماعيل البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦ هجري قمري)، الناشر دار الفكر، بيروت ـ لبنان، طبعة بالاوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول ، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ٨.

٨٦. صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج النيسابوري (المتوفى سنة ٢٦١ هجري قمري)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ٨.

٨٧. صحيح مسلم بشرح *النووي*، النووي (المتوفى سنة ٦٧٦ هجري قمري)، دار الكتاب الغربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١٧.

٨٨. *الصحيح من سيرة النبي الأعـظم (ص)*، العلامة السـيد جـعفر مـرتضى العـاملي، دارالهادي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١١.

٨٩. صحيفة *الرضا*، الامام علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ من منشورات المؤتمر العالمي للامام الرضا (ع)، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٠. *الصحيفة السجادية*، الامام السجاد ـ عليه السلام ـ نشر الهادي، قم ـ إيران، ١٣٧٦ هجري شمسي، المجلدات: ١.

٩١. *الصراط المستقيم*، علي بن يونس النباطي البياضي، مكتبة الحيدرية، النجف ـ العراق ١٣٨٤ هجري قمري، الأجزاء: ٣ ـ في مجلد واحد ـ.

٩٢. *صفات الشيعة*، الشيخ الصدوق، مطبعة الأعلمي، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

٩٣. *الصوارم المهرقة*، القاضي نور الله الشوشتري، مطبعة النهضة، طهران ـ إيران، ١٣٦٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٤. *الطرائف*، السيد علي بن موسى بن طاوس، طباعة خيام، قم ـ إيران، ١٤٠٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٥. عدة *الداعي*، ابن فهد الحلّي، دار الكتاب الاسلامي، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٦. *علل الشرائع*، الشيخ الصدوق، مكتبة الداوري، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

٩٧. *العمدة*، ابن البطريق الأسدي الحلّي (المتوفى ٦٠٠ سنة هجري قمري)، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

٩٨. *عوالي اللآلي*، ابن ابي جمهور الإحسائي، الناشر سيد شهداء (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٤.

٩٩. *عيون أخبار الرضا(ع)*، الشيخ الصدوق، الناشر جهان، طهران ـ إيران، ١٣٧٨ هجري قمري، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٠٠. *الغارات*، إبراهيم بن محمد الثقفي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠١. *الغدير*، الشيخ عبد الحسين الأميني، (المتوفى سنة ١٣٩٢ هجري قمري)، دار الكتب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ١٢.

١٠٢. *غرر الحكم ودرر الكلم*، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، الناشر دفتر تبليغات اسلامي، قم ـ إيران، ١٣٦٦ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٠٣. *الغيبة*، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٤. *الغيبة*، محمد بن ابراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، طهران ـ ايران، ١٣٩٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٥. *غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع*، ابن زهرة الحلبي (المتوفى سنة ٥٨٥ هجري قمري)، تحقيق الشيخ ابراهيم البهادري، مؤسسة الامام الصادق، الطبعة الأُولى، محرم الحرام ١٤١٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٦. *فتح الأبواب*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة آل البيت (ع)، قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري،المجلدات: ١.

١٠٧. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢هجري قمري)، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، المجلدات: ١٣.

١٠٨. *الفصول العشرة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٠٩. *الفصول المختارة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٠. *الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة*، الحرّ العاملي (المتوفى سنة ١١٠٤ هجري قمري)، تحقيق محمد بن محمد حسين القائيني، الناشر مؤسسة المعارف الإسلامية للامام الرضا(ع)، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هجري قمري، المجلدات: ٣.

١١١. *الفضائل*، شاذان بن جبرئيل القمي، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٦٣ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١١٢. *فضائل الشيعة*، الشيخ الصدوق، من منشورات الأعلمي، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٣. *فقه الرضا*، علي بن بابويه (المتوفى سنة ٣٢٩ هجري قمري)، تحقيق مؤسسة آل البيت، قم ـ إيران، الناشر المؤتمر العالمي للامام الرضا(ع)، مشهد ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٤. *فقه القرآن*، قطب الدين الراوندي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١١٥. *فلاح السائل*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دفتر تبليغات إسلامي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٦. *قرب الإسناد*، عبد الله بن جعفر الحِمْيري القمّي، مكتبة النينوى، طهران ـ إيران، المجلدات: ١.

١١٧. *قصص الانبياء (ع)*، السيد نعمة الله الجزائري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٨. *قصص الأنبياء (ع)*، قطب الدين الراوندي، الناشر آستانة القدس الرضوي، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ١.

١١٩. *الكافي*، ثقة الاسلام الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران ـ إيران، ١٣٦٥ هجري شمسي، المجلدات: ٨.

١٢٠. *كتاب سليم بن قيس*، سليم بن قيس الهلالي الكوفي، الهادي، قم ـ إيران، ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢١. *كتاب المزار*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٢. *الكشاف*، جار الله الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

١٢٣. *كشف الريبة*، الشهيد الثاني، الناشر مرتضوي، ١٣٩٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٤. *كشف الغمّة*، علي بن عيسى الإربلي، مكتبة بني الهاشمي، تبريز - إيران، ١٣٨١ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١٢٥. *كشف اليقين*، العلّامة الحلّي حسن بن يوسف، مؤسسة الطبع والنشر، طهران - إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٦. *كفاية الأثر*، علي بن محمّد الخزّاز القمّي، الناشر بيدار، قم - إيران، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٢٧. *كمال الدين*، الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، قم - إيران، ١٣٩٥ هجري قمري، الاجزاء: ٢ - في مجلد واحد -.

١٢٨. *كنز العمّال*، المتّقي الهندي (المتوفى ٩٧٥ هجري قمري)، تحقيق الشيخ بكري حيائي، الشيخ صفوة السقا، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، المجلدات: ١٦.

١٢٩. *كنز الفوائد*، أبو الفتح الكراجكي، دار الذخائر للمطبوعات، قم - إيران، ١٤١٠ هجري قمري، المجلدات: ٢.

١٣٠. *لباب النقول في أسباب النزول*، أبو الفضل جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هجري قمري)، تحقيق أحمد عبد الشافي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، المجلدات: ١.

١٣١. *المبسوط في فقه الامامية*، الشيخ الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هجري قمري)، تحقيق محمد تقي الكشفي، الناشر المكتبة المرتضوية، ١٣٨٧ هجري قمري، طهران - إيران، المجلدات: ٨.

١٣٢. *متشابه القرآن*، ابن شهراشوب المازندراني، الناشر بيدار، قم - إيران، ١٣٢٨ هجري شمسي، الأجزاء: ٢ - في مجلد واحد -.

١٣٣. *المتعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم - إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٤. *مثير الأحزان*، ابن نما الحلّي، تحيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٥. *مجمع البحرين*، الشيخ فخر الدين الطريحي (المتوفى سنة ١٠٨٥ هجري قمري)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الناشر مكتب نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٣٦. *مجمع البيان في تفسير القرآن*، امين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبري (المتوفى سنة ٥٦٠ هجري قمري)، الناشر مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هجري قمري، المجلدات: ١٠.

١٣٧. *مجموعة ورام*، ورام بن ابي فراس، مكتبة الفقيه، قم ـ إيران، الجزاء: ٢ ـ في مجلد واحد ـ.

١٣٨. *المحاسن*، احمد بن محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، قم ـ إيران، ١٣٧١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٣٩. *مسار الشيعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ ايران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٠. *المستجاد من كتاب الإرشاد* (المجموعة)، العلّامة حسن بن المطهر الحلّي (المتوفى سنة ٧٢٦ هجري قمري)، الناشر مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤٠٦ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤١. *مستدرك الوسائل*، المحدث النوري، مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١٨.

١٤٢. *مستطرفات السرائر*، محمد بن ادريس الحلّي، جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٣. *مستند الشيعة*، المحقق النراقي (المتوفى سنة ١٢٤٥ هجري قمري)، تحقيق والنشر مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، مشهد ـ إيران، الطبعة الأُولى ١٤١٥

هجري قمري، المجلدات: ١٥.

١٤٤. مسكن *الفؤاد*، الشهيد الثاني، مكتبة بصيرتي، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١٤٥. مشرق *الشمسين*، الشيخ بهاء الدين العاملي، (المتوفى سنة ١٠٣١ هجري قمري)، الناشر مكتبة بصيرتى، قم ـ إيران، ١٣٩٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٦. مشكاة *الأنوار*، أبو الفضل علي بن حسن الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف ـ العراق، ١٣٨٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٧. *مصادقة الإخوان*، الشيخ الصدوق، الطبع الكرماني، قم ـ إيران، ١٤٠٢ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٨. *المصباح*، ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي، من منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٤٩. مصباح *الشريعة*، الامام الصادق ـ عليه السلام ـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٠. مصباح *المتهجد*، الشيخ الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت ـ لبنان، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥١. معاني *الأخبار*، الشيخ الصدوق، من منشورات جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٣٦١ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٥٢. معدن *الجواهر*، أبو الفتح الكراجكي، المكتبة المرتضوية، طهران ـ إيران، ١٣٩٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٣. مفتاح *الفلاح*، الشيخ البهائي، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٤. *المفردات في غريب القرآن*، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، المجلدات: ١.

١٥٥. *المقنعة*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران،

١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٦. *مكارم الأخلاق*، رضي الدين حسن بن فضل الطبرسي، الناشر الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٤١٢ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٧. *المناقب*، الموفق بن احمد بن محمد المكّي الخوارزمي (المتوفى سنة ٥٦٨ هجري قمري)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٥٨. *مناقب آل أبي طالب (ع)*، ابن شهراشوب المازندراني، مؤسسة انتشارات العلّامة، قم ـ إيران، ١٣٧٩ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٥٩. *منتخب الأنوار المضيئة*، علي بن عبد الكريم النيلي النجفي، طباعة خيام، قم ـ إيران، ١٤٠١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٠. *من لا يحضره الفقيه*، الشيخ الصدوق، الناشر جامعة المدرسين، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ٤.

١٦١. *منية المريد في أدب المفيد والمستفيد*، الشهيد الثاني (الشهادة سنة ٩٦٦ هجري قمري)، تحقيق رضا المختاري، الناشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الأُولى ١٤٠٩ هجري قمري، ١٣٦٨ هجري شمسي، المجلدات: ١.

١٦٢. *مهج الدعوات*، السيد علي بن موسى بن طاوس، دار الذخائر للمطبوعات، قم ـ إيران، ١٤١١ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٣. *الميزان في تفسير القرآن*، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (المتوفى سنة ١٤٠٢ هجري قمري)، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، المجلدات: ٢٠.

١٦٤. *نزهة الناظر*، يحيي بن سعيد الحلّي، الناشر الشريف الرضي، قم ـ إيران، ١٣٩٤ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٥. *نظم درر السبطين*، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي، (المتوفى سنة ٧٥٠ هجري قمري)، المطبعة من مخطوطات مكتبة الامام

أمير المؤمنين(ع) العامة، الطبعة الأُولى ١٣٧٧ هجري قمري، ١٩٥٨ ميلادي، المجلدات: ١.

١٦٦. *النكت الاعتقادية*، الشيخ المفيد، من منشورات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٧. *النوادر*، احمد بن محمد بن عيسى الأشعري، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٦٨. *النوادر*، السيد فضل الله الراوندي، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، المجلدات: ١.

١٦٩. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، مؤسسة اسماعيليان، قم ـ إيران .

١٧٠. *نهج البلاغة*، الامام علي بن ابي طالب ـ عليه السلام ـ، دار الهجرة، قم ـ إيران.

١٧١. *نهج الحق وكشف الصدق*، العلامة الحلّي حسن بن يوسف، مؤسسة دار الهجرة، قم ـ إيران، ١٤٠٧ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٢. *وسائل الشيعة*، الشيخ حرّ العاملي، مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ قم ـ إيران، ١٤٠٩ هجري قمري، المجلدات: ٢٩.

١٧٣. *الوسيلة*، ابن حمزه الطوسي، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٨ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٤. *وقعة صفّين*، نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، مكتبة آية الله المرعشي، قم ـ إيران، ١٤٠٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٥. *اليقين*، السيد علي بن موسى بن طاوس، مؤسسة دار الكتاب، قم ـ إيران، ١٤١٣ هجري قمري، المجلدات: ١.

١٧٦. *ينابيع المودة لذوي القربى*، الشيخ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، (المتوفى السنة ١٢٩٤ هجري قمري)، تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة الأُولى ١٤١٦ هجري قمري، الناشر دار الأُسوة، المجلدات: ٣.